كتبه

علي مصطفى الغرابي رحمه الله

الأستاذ بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر
وجامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقًا

المنحة الإلهية

في شرح العقيدة الواسطية

للإمام العالم

الشيخ أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي

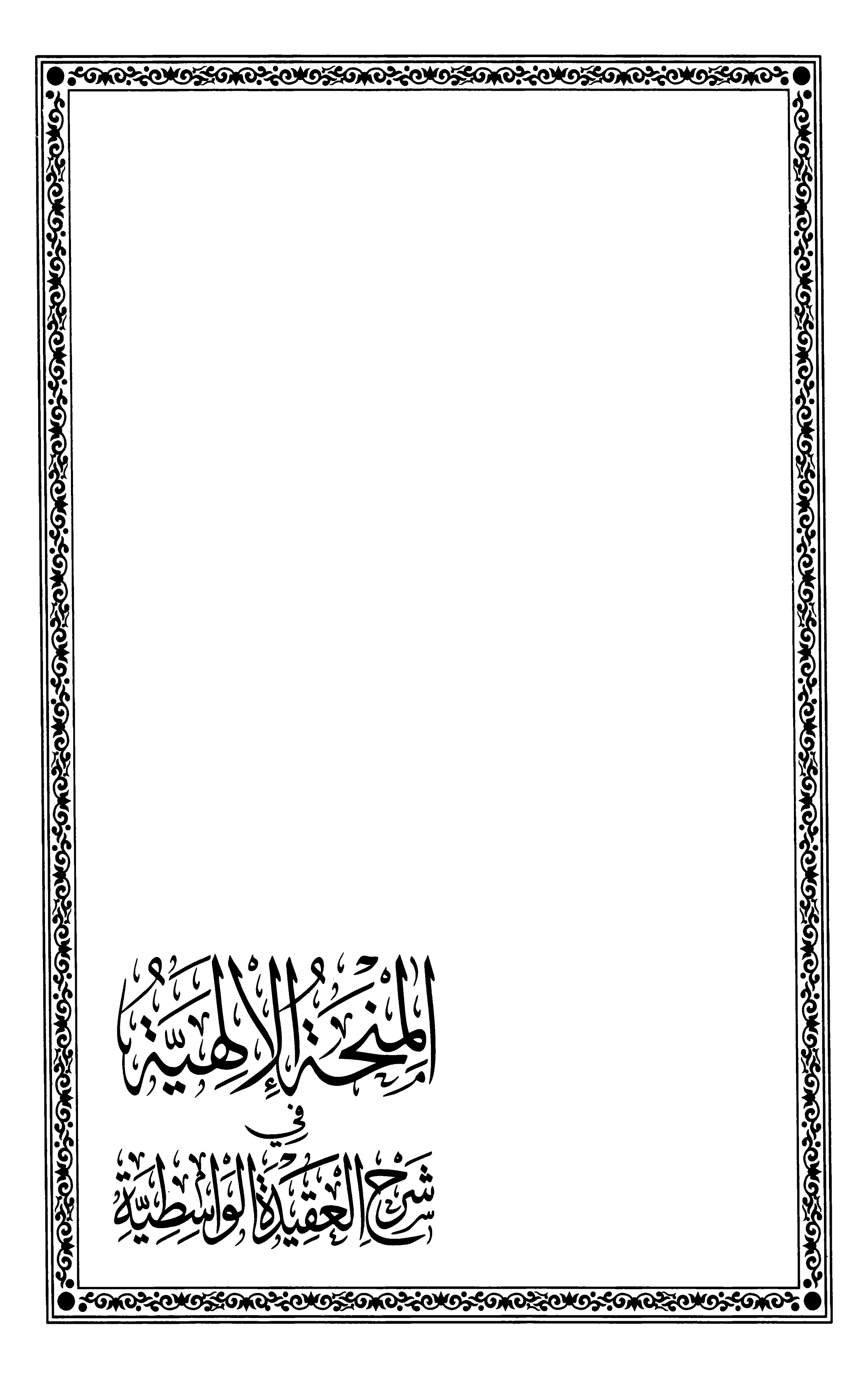
(المتوفى سنة ٧٢٨ هـ)

قرأه وعلق عليه
وتمم فوائده ومباحثه

سعد بن شايم الحضيري

مدير مركز الدعوة والإرشاد في عرعر




المنحة الإلهية
في
شرح العقيدة الواسطية



عنوان المصنف: المنحة الإلهية في شرح العقيدة الوسطية

تأليف: علي مصطفى الغرابي

رقم الإيداع: ١٣١١٩/ ٢٠١٣

الترقيم الدولي: ٣ - ٣٧ - ٥٢٣٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م



للنشر والتوزيع

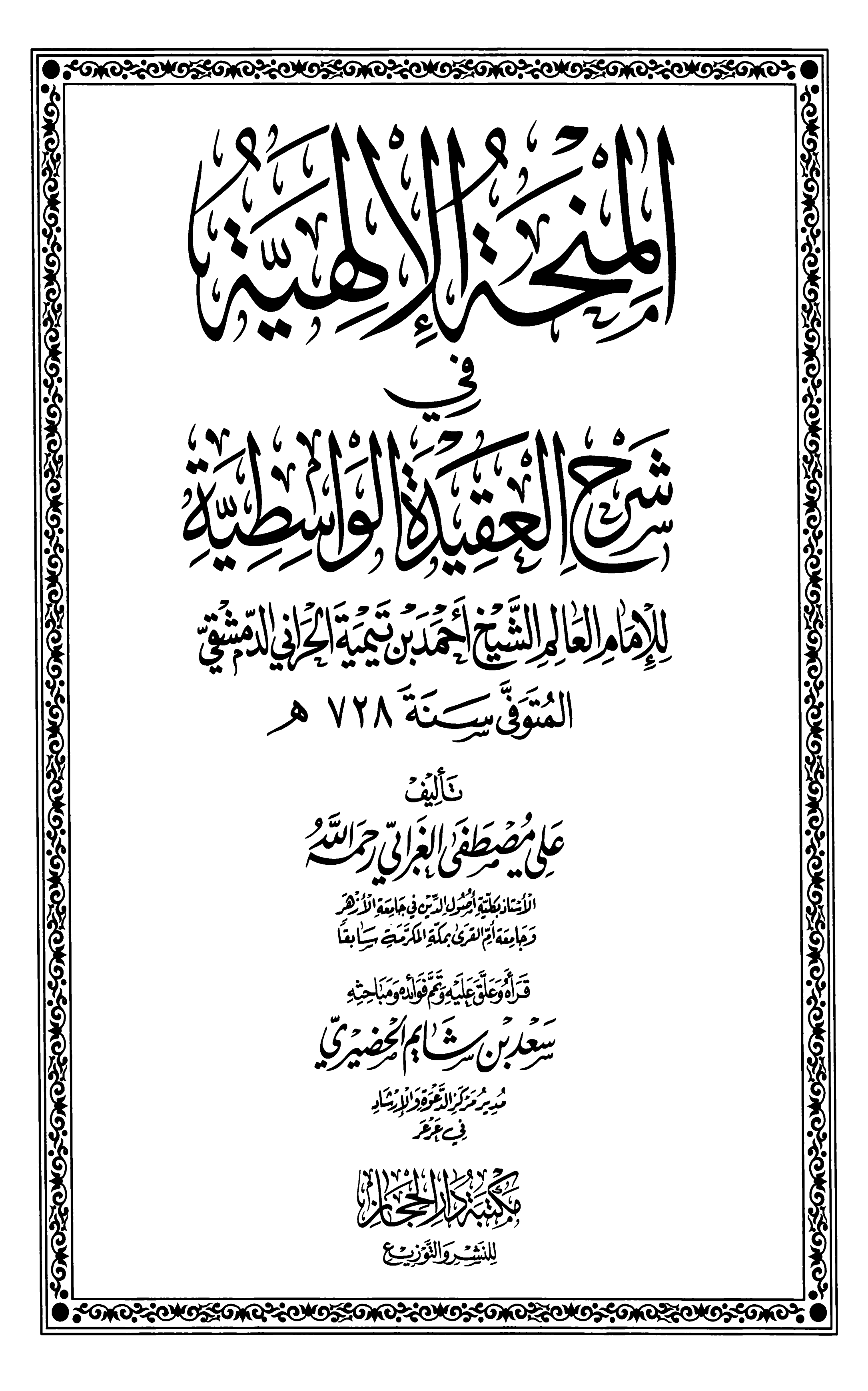
الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣

الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١

القاهرة - ٦ ش المدرسة متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢

جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩

البريد الإلكتروني: dar_alhijaz@hotmail.com



المنحة الإلهية

في

شرح العقيدة الواسطية

للإمام العالم الشيخ أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تأليف

علي مصطفى الغرابي رحمه الله

الأستاذ بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر
وجامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقًا

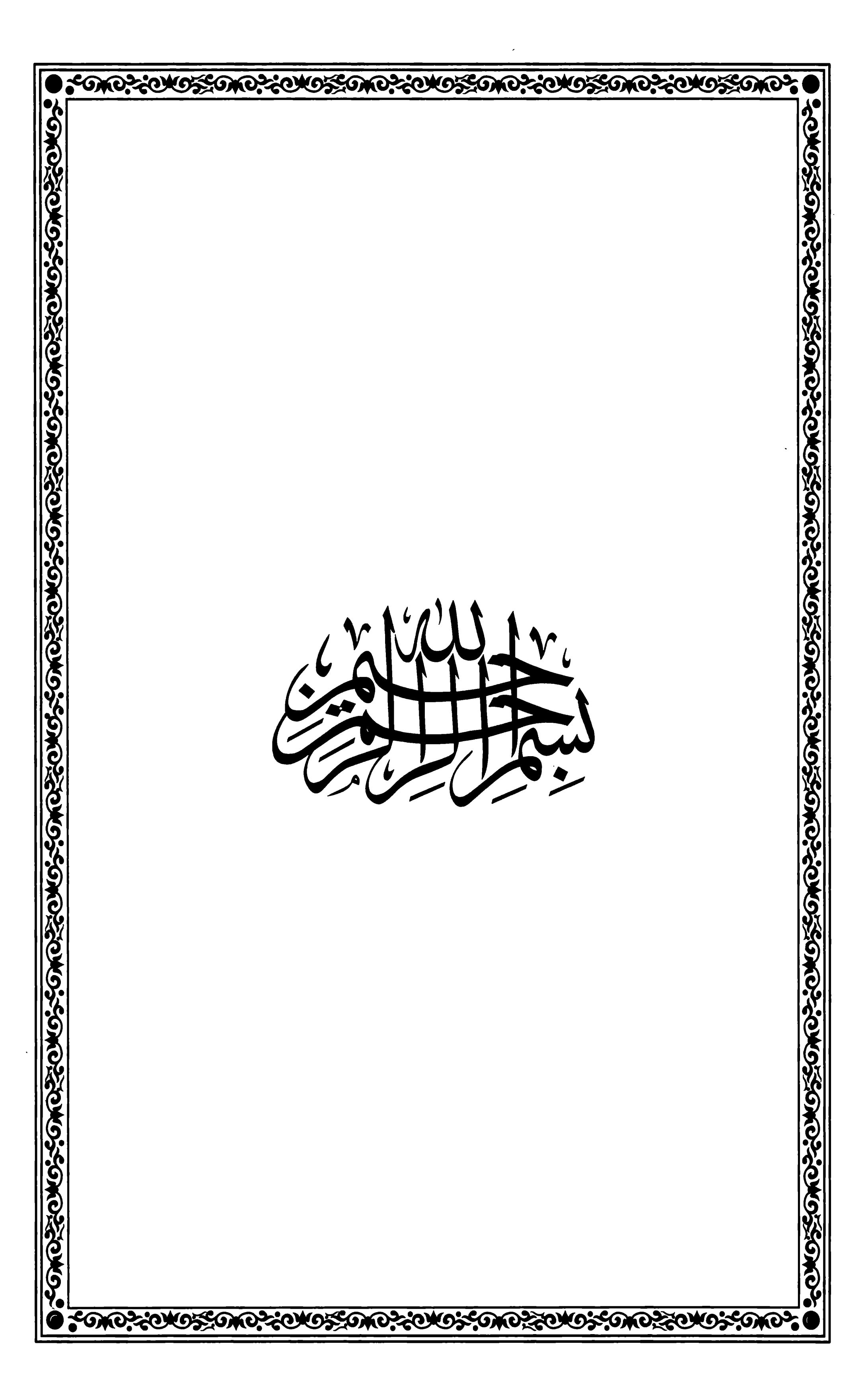
قرأه وعلق عليه وتمم فوائده ومباحثه

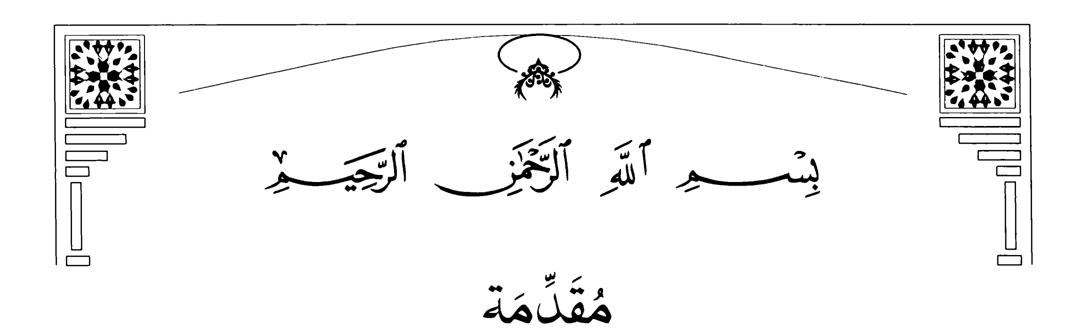
سعد بن شايم الحضيري

مدير مركز الدعوة والإرشاد
في عرعر

مكتبة دار الحجاز

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإن كتاب «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، كتاب فرد في بابه من حيث التحقيق وإيراد الأدلة وإجماع السلف على معتقد أهل السنة والجماعة على وجازته واختصاره. وقد جعل الله له القبول لدى أهل السنة والجماعة يحفظونه ويدرسونه لأصحابهم، ومنهم من نظمه كما صنع ابن عدوات النجدي، ومنهم من لخصه في جمل يسيرة كما صنع الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب في «رسالته إلى أهل القصيم» لما سألوه عن عقيدته، وما يدعو إليه.

إلا أن هذا الكتاب، وهذه العقيدة لم تزل منذ أن ألفها مؤلفها بكرًا لم تشرح بشرح يبسط مسائلها للطالبين إلاّ ما جاء عن مؤلفها من التوضيحات التي أجاب بها خصومه لما شغَّبُوا عليه بسببها فكتب المناظرة المشهورة، وذكر فيها بعض المسائل التي استشكلوها وأجاب عنها بما يشبه الشرح لها.

وبقيت على تلك الحال حتى القرن الرابع عشر الهجري حيث كثرت شروحها فشرحها الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ عبد العزيز الرشيد، والشيخ زيد بن فياض، والشيخ محمد خليل هراس، والشيخ عبد العزيز السلمان وغيرهم، ومن هؤلاء الذين اعتنوا بها الشيخ الدكتور على مصطفى الغرابي أحد علماء مصر، والأستاذ بجامعة أم القرى بمكة، وكلية أصول الدين في جامعة الأزهر، فكتب عليها شرحًا مختصرًا، طبع سنة **١٣٨٣**هـ بمكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده بالقاهرة، ونفدت من زمن بعيد حتى صار في حكم المفقود، فرغب إليَّ بعض الأحباب من إخواننا أن أعيد طباعته، وأن أعلق عليه بما يتمم فائدته، فكتبت عليه حاشية - بعد تصحيحه - نقلت جلها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم والسنة، وأتممت شرح المباحث التي تركها الشارح ونبهتُ على بعض السهو الذي زلَّ به قلم الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا عنه وهو قليل.

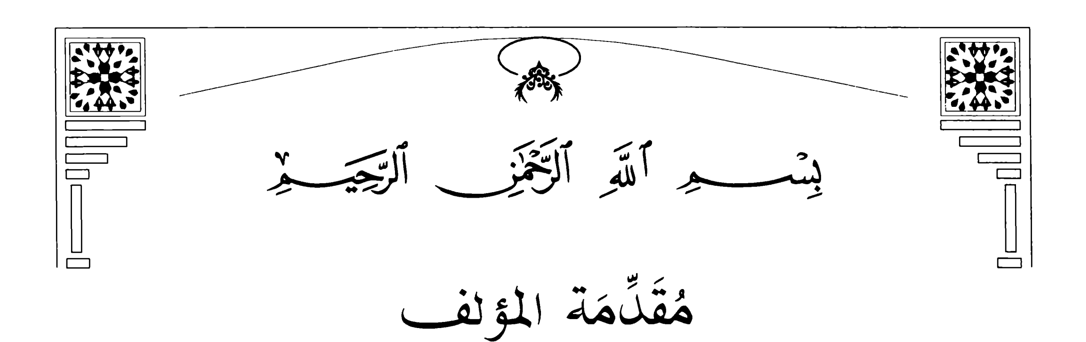
وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

✎ كتبه

سعد بن شايم الحضيري

السعودية - عرعر - ١٤٣٤/٢/١٢هـ





مُقَدِّمَة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد ﷺ إمام الموحدين، وخير المتقين وبعد:

فإن مذهب أهل السنة والجماعة، الذي يستمد أصوله في التوحيد من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، لم يكن له [مناضلون](١) يناضلون عنه بعد وفاة الإمام أحمد بن حنبل، في القرن الثالث الهجري، حتى جاء العالم الكبير الشيخ أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٨هـ(٢)، فجمع - في نضاله عن مذهب أهل السنة والجماعة - بين المنقول والمعقول، حتى ألزم أهل المذاهب الأخرى الحجة،

(١) في الطبعة (مناضلين) وهو لحن.

(٢) في هذا نظر؛ فقد كان هناك من يقوم بالمناضلة عن عقيدة أهل السنة والجماعة، بعد الإمام أحمد، وقبل ابن تيمية، كابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد كانت له صولات وجولات ومؤلفات، ومنهم شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري وله الصولات المشهورة، ومنهم الحافظ عبد الغني المقدسي صاحب العمدة، ومشاهده مشهورة حتى نفي إلى مصر وأودع السجون، ومنهم الإمام أبو محمد ابن قدامة صاحب المغني ومناظراته وكتبه في ذلك معلومة مشهورة، ولا يزال منهم طائفة في كل عصر وقرن تقوم بحجج الله وبيناته.

وبذلك ارتفع لواءُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، ولم يتركْ فِرقةً من الفرقِ إلا وجادلها، جادل المعتزلة ورد آراءهم، وجادل الجهمية والمشبهة والفلاسفة وغيرهم حتى أصبح له القِدحُ المعلّى[(١)]، وقد عُذِّب وسُجن في سبيل عقيدته حتى مات في سجنه[(٢)]! ومؤلفاته في ذلك كثيرةٌ لا تحصى[(٣)]، . . . .

---

(١) أي الحظ الأوفر، قال في «القاموس وشرحه»: القِدْحُ بالكسر: السّهْمُ قبْل أنْ يُراش ويُنصل. وقال أبو حنيفة -يعني الدينوري-: القِدْح: العُودُ إذا بلغ فشُذِّب عنه الغُصْنُ وقُطِع على مِقارِ النّبل الذي يُراد من الطُّول والقِصر. اهـ وفي «المعجم الوسيط»: القِدح قطعة من الخشب تعرّض قليلاً وتسوى وتكون في طول الفِترِ أو دونه وتخط فيه حزوز تميز كل قدح من بعدد الحزور وكان يستعمل في الميسر وقد يكتب على القدح «لا» أو «نعم» أو يغفل، ليقرّع به ويستقسم و: له القِدح المعلى الحظ الأوفر .اهـ

(٢) انظر أحداث سنة ٧٢٨هـ من كتاب البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله.

(٣) ومن أهمّ ما كتب الشيخ رحمه الله في العقيدة خاصة، وهو المطبوع منها:
١- منهاج السنة النبوية. ٢- شرح الأصفهانية.
٣- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح. ٤- درء تعارض العقل والنقل.
٥- الاستقامة. ٦- بيان تلبيس الجهمية. ٧- الرد على المنطقيين.
٨- بغية المرتاد. ٩- كتاب الصفدية.
١٠ - قاعدة في المعجزات والكرامات.
١١- الرسالة القبرصية. ١٢- الرسالة البعلبكية. ١٣- الرسالة المراكشية.
١٤- الرسالة المدنية. ١٥- شرح حديث النزول .
١٦- شرح حديث «فحج آدم موسى» ١٧- الإيمان الكبير. =

ومن كتبه هذا الكتابُ الصغيرُ «العقيدةُ الواسطيةُ»[(١)]، الذي ألفه في

= ١٨- الإيمان الأوسط. ١٩- اقتضاء الصراط المستقيم. ٢٠ - التدمرية.
٢١- الحموية. ٢٢- تفسير آيات أشكلت. ٢٣- تفسير سورة الإخلاص.
٢٤- العبودية. ٢٥- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة.

وقد صنّف الإمام أبو عبد الله ابن رشيِّق المغربي (المتوفى يوم عرفة سنة ٧٤٩هـ) فهرسًا بأسماء كتب ابن تيمية، أوصل عددها إلى (٣٢١) ما بين رسالة وكتاب كبير طبعها صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٧٦م منسوبة للإمام ابن القيم رحمه الله، وهو خطأ. وقد ذكر بعض العلماء عدداً من مصنّفات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، منهم: ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات (١/ ٧٥-٨٠). وابن عبد الهادي في العقود الدرية ص (٢٦-٦٧). والبزار في الأعلام العلية ص (٢٢-٢٨) والصفدي في كتابه الوافي بالوفيات ص (٧/ ٣٠-٣٣). وابن القيم في النونية.

ومؤلفات شيخ الإسلام رحمه الله من الصعب حصرها وجمعها، حتى قال الذهبي رحمه الله جمعت مصنفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه فوجدته ألف مصنّف، ثم رأيت له أيضاً مصنفات أخر.اهـ

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله بعد أن ذكر أسماء كثير من كتب شيخ الإسلام رحمه الله «وله من الأجوبة والقواعد شيء كثير غير ما تقدم ذكره، يشق ضبطه وإحصاؤه، ويعسر حصره واستقصاؤه. اهـ.

وقال الشيخ أبو عبد الله بن رشيق: لو أراد الشيخ تقي الدين رحمه الله أو غيره حصرها - يعني مؤلفات الشيخ - لما قدروا لأنه ما زال يكتب. وقد منّ الله عليه بسرعة الكتابة، وكان يكتب من حفظه من غير نقل». اهـ

(١) ذكر الشيخ عبد الله بن تيمية أخو الشيخ المصنف أن سبب تسميتها بذلك: أن الذي طلبها من الشيخ رجل من قضاة واسط - من أصحاب الشافعي - =

مذهب أهل السنة والجماعة، خالصاً من كل جدلٍ، فكل مسلم= إذا أراد أن يعرف العقيدة التي يجب أن يلقى الله تعالى عليها، فليقرأْ هذا الكتاب، بل يحفظْهُ ويحصِّلْهُ ويُحِطْ بما فيهِ.

ولمّا لمْ يكن مِن السهلِ على كلِّ الناسِ أن يفهموا المقصود منه! ولمّا كان - كذلك - مُركّزاً تركيزاً يجعل فهمه صعباً، فإنني استخرتُ الله تعالى أنْ يتقبل مني هذا العمل المقلّ، وأن يثيبني عليه إنه سميع مجيب.

علي مصطفى الغرابي

❀ ❀ ❀

= قدم حاجاً من نحو عشر سنين وكان فيه صلاح كبير وديانة كبيرة فالتمس من الشيخ أن يكتب له عقيدة فقال له الشيخ: الناس قد كتبوا في هذا الباب شيئا كثيرا فخذ بعض عقائد أهل السنة فقال: أحب أن تكتب لي أنت. فكتب له - وهو قاعد في مجلسه بعد العصر هذه العقيدة. اهـ من قصة مناظرة الواسطية كما في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٠٣).



المنحة الإلهية

في

شرح العقيدة الواسطية

للامام العالم الشيخ أحمد بن تيمية الحرانى الدمشقى
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تأليف

علي مصطفى الغزالي
الأستاذ بكلية أصول الدين

١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م

يطلب من
مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
بميدان الأزهر - ت ٩٠٦٥٨٠

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين — والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم إمام الموحدين ، وخير المتقين وبعد :

فإن مذهب أهل السنة والجماعة ، الذى يستمد أصوله فى التوحيد من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن له مناضلين يناضلون عنه بعد وفاة الإمام أحمد بن حنبل فى القرن الثالث الهجرى .

حتى جاء العـــالم الكبير الشيخ أحمد بن تيمية الحرانى الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٨هـ فجمع فى نضاله عن مذهب أهل السنة والجماعة بين المنقول والمعقول ، حتى ألزم أهل المذاهب الأخرى الحجة .

وبذلك ارتفع لواء أهل السنة والجماعة ، ولم يترك فرقة من الفرق إلا وجادلها ، جادل المعتزلة ورد آراءهم ، وجادل الجهمية والمشبهة ، والفلاسفة وغيرهم وغيرهم ، حتى أصبح له القدح المعلى ، وقد عذب وسجن فى سبيل عقيدته حتى مات فى سجنه . ومؤلفاته فى ذلك كثيرة لا تحصى ، ومن كتبه هذا الكتاب الصغير (العقيدة الواسطية) الذى ألفه فى مذهب أهل السنة والجماعة، خالصا من كل جدل . فكل مسلم إذا أراد أن يعرف العقيدة التى يجب أن يلقى الله تعالى عليها ، فليقرأ هذا الكتاب ، بل يحفظه ويحصله ويحيط بما فيه . ولما لم يكن من السهل على كل الناس أن يفهموا المقصود منه ، ولما كان كذلك مركزا تركيزا يجعل فهمه صعبا ، فإنى استخرت الله تعالى وشرحته شرحا مبسطا ، ليسهل فهمه ، وقد سلكت فى شرحه التزام عقيدة أهل السنة والجماعة، وأرجو من الله تعالى أن يتقبل منى هذا العمل المقل ، وأن يثيبنى عليه ، إنه سميع مجيب .

علي مصطفى الغرابي

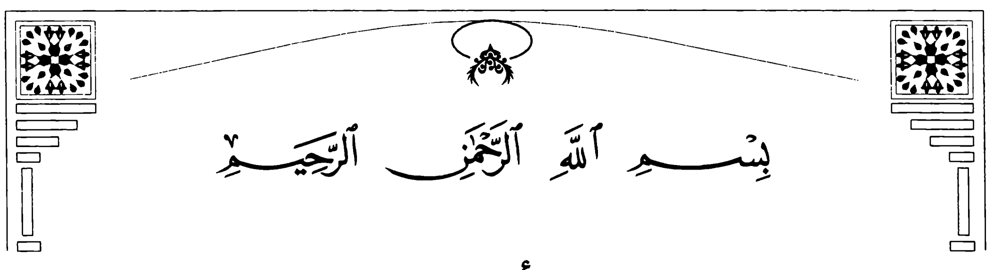
الموجودة فى الخارج، فإنه على ذلك تنتفى الأسماء المتواطئة، وهى جمهور الأسماء الموجودة فى اللغات، وهى أسماء الأجناس اللغوية، وهو الاسم المعلق على الشىء وما أشبهه، سواء كان اسم عين أو اسم صفة، جامداً أو مشتقاً، وسواء كان جنساً منطقياً أو فقهياً، أو لم يكن، بل اسم الجنس فى اللغة يدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع ونحو ذلك، وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها فى الخارج متميزة . هذا آخر بعض ما علقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطنة والقضاء والفقهاء وغيرهم .

قال الحافظ الذهبى ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفى جيد .

مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر

١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م

خاتمة الكتاب



القسم الأول: الإيمان

قال الشيخُ ابنُ تيميةَ تقيُّ الدين رَحِمَهُ اللهُ في كتابِهِ «العقيدة الواسطية»(١).

(أمّا بعْدُ؛ فهذا اعْتِقادُ الْفِرْقةِ النّاجيةِ الْمنْصُورةِ إلى قِيامِ السّاعةِ - أهْلِ السُّنّةِ والْجماعةِ- وهُو: الْإِيمانُ بِاللهِ وملائِكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والْبعْثِ بعْد الْموْتِ والْإِيمانِ بِالْقدرِ، خيْرِهِ وشرِّهِ).

(أ) تعريف الإيمان:

الإيمان في اللغة التصديق، وأما في الشرع فهو اعتقاد، وقول، وعمل.

اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وأعمال بالأبدان.

(ب) أركان الإيمان:

إن لكل شيء أركاناً يبنى عليها، وعُمُداً يعتمدُ عليها، وقوائم يقومُ

---

(١) أولها: **«بِسْمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحِيمِ، الْحمْدُ لِلهِ الّذِي أرْسل رسُولهُ بِالْهُدى ودِينِ الْحقِّ لِيُظْهِرهُ على الدِّينِ كُلِّهِ وكفى بِاللهِ شهِيدًا؛ وأشْهدُ أنْ لا إله إلّا اللهُ وحْدهُ لا شرِيك لهُ: إقْرارًا بِهِ وتوْحِيدًا؛ وأشْهدُ أنّ مُحمّدًا عبْدُهُ ورسُولهُ، صلّى اللهُ عليْهِ وعلى آلِهِ وأصْحابِهِ وسلّم تسْلِيمًا مزِيدًا».**

عليها، وأركانُ الإيمان - عند أهل السنة والجماعة - ستة، هي: ما تقدم في كتاب الشيخ[١].

(ج) شرح أركان الإيمان:

١- **أما الإيمان بالله**، فهو: أن تؤمن بوجوده تعالى، وأنه واحد لا شريك له، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في عبادته.

٢- **أما الإيمان بالملائكة**، فهو: أن تصدق بوجودهم، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم لا يفترون عن عبادته، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وليسوا بذكور ولا إناث؛ وإنما هم خلق آخر لا يعلم حقيقتهم إلا الله، ولا يعلم عددهم إلا هو تعالى، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثِّر: ٣١] وأنهم الواسطة بين الله وبين رسله ليبلغوهم عن ربهم.

٣- **وأما الإيمان بالكتب السماوية**، فهو: أن تصدق بأنه تعالى أنزل على رسله كُتُباً، ليعلم الناسُ منها الخيرَ من الشرِ والحقَ من الباطلِ، وهذه الكتب كثيرة يجب الإيمان بها جملةً، لأنه لا يعلم بها إلا الله تعالى، ولكن يجب الإيمان تفصيلاً بأربعة منها، وهي «التوراة» التي أنزلت على موسى، و«الزبور» الذي أنزل على داودَ، و«الإنجيل»

---

(١) يعني قوله: وهُو: «الْإِيمانُ بِاللهِ وملائِكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والْبعْثِ بعْد الْموْتِ والْإِيمانِ بِالْقدرِ: خيْرِهِ وشرِّهِ».

الذي أنزل على عيسى، و«القرآن» الذي أنزل على محمد ﷺ، وهو الذي فيه ما في كل الكتب المتقدمة[١]، وزيادة مما اقتضته المصلحة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٢] [المَائدة: ٤٨].

٤- **وأما الإيمان بالرسل**، فهو: أن تعتقد أن الله تعالى أرسل للناس رسلاً، مبشرين بالجنة من أطاع، ومنذرين بالنار من عصى، كما يجب أن تؤمن بأن لله رسلاً لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النِّساء: ١٦٤].

وعلينا أن نعرف أسماء خمسةً وعشرين منهم تفصيلا وهم: آدم، نوح، إدريس، إبراهيم، إسماعيل، إسحق، يعقوب، يوسف، موسى، هارون، داود، سليمان، إلياس، اليسع، هود، صالح، شعيب، ذو الكفل، أيوب، يونس، لوط، زكريا، يحي، عيسى، محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين

ملحوظة: الفرق بين النبي والرسول، هو أن النبي: إنسان أوحى

---

(١) مما لم ينسخ منها.

(٢) (مهيمنًا) أي: أمينًا وشهيدًا وحاكمًا على ما قبله من الكتب كما قال ابن عباس وغيره

وقال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل.

إليه بشرع ولم يأمر بتبليغه.

والرسول: إنسان أوحِي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

ويجب أن تؤمن بأن محمداً عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

كما يجب أن تؤمن بأن رسالته عامة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ويجب كذلك أن تؤمن بأن الرسل بلّغوا رسالات ربهم، وأنهم أمناء على ما حُمِّلوا من أداء الرسالة الإلهية، وأنهم صادقون فيما بلّغوا عن ربهم.

٥- الإيمان بالبعث، هو: أن تصدق بأن الله سيخرج الموتى من قبورهم، وأنهم يعادون بأجسامهم وأرواحهم، وأنهم محاسبون على أعمالهم، مجزيون على أفعالهم قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

٦- وأما الإيمان بالقدر، فهو: أن تصدق بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن كل ما يجري عليك مكتوب عند الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] وفي الحديث: «**أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال: وما أكتب**

قال: اكتب كل ما هو كائن»[١].

ومن الإيمان بالقدر، أن لا تحتج به على معصية الله، فإن الله أرسل لنا رسلاً أخبرونا بما يجب أن يُعمل وما يجب أن يُترك.

وأما ما قُدِّر علينا من شقاء أو سعادة، أو كفر أو إيمان، أو طاعة أو عصيان، فلا علم لنا به.

ولذا لا نحتج به في فعل المعاصي، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨] [أي:] تكذبون.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٥٧٨) والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٥) واللالكائي (٣٥٧) من طريق الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دعاني أبي، فقال: يا بني اتق الله، واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالقدر كله خيره وشره، فإنْ متَّ على غير هذا دخلت النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب؟ فقال: رب ما أكتب؟ قال: اكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد» وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.
انظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني (١٣٣).

أسئلة

١- ما هي عقيدة أهل السنة والجماعة؟

٢- عرف الإيمان، وبين أركانه، وكم عددها؟

٣- اشرح كل ركن من أركانه بإيجاز.

٤- هل الإيمان بالقدر ينافي العمل بشرع الله ودينه؟ بين ذلك.

٥- كيف تبطل قول من يتعلل في فعل المعاصي بالقدر؟

٦- ما الفرق بين النبي والرسول؟

[مذهب أهل السنة والجماعة]

مذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله.

النص:

قال الشيخ ابن تيمية: (ومِنْ الْإِيمانِ بِاللهِ: الْإِيمانُ بِما وصف بِهِ نفْسهُ فِي كِتابِهِ وبِما وصفهُ بِهِ رسُولُهُ مُحمّدٌ ﷺ مِنْ غيْرِ تحْرِيفٍ ولا تعْطِيلٍ ومِنْ غيْرِ تكْيِيفٍ ولا تمْثِيلٍ[١]، بلْ يُؤْمِنُون بِأنّ اللّه سُبْحانهُ ﴿لَيْسَ

---

(١) قال شيخ الإسلام في مناظرة الواسطية - كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٥) - عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة، فنفيت ما ذمه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات؛ لأنه لفظ له عدة معان، كما بينته في موضعه من القواعد فإن معنى لفظ «التأويل» في كتاب الله، غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين؛ من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف؛ لأن من المعاني التي قد تسمى تأويلًا ما هو صحيح منقول عن بعض السلف، فلم أنف ما تقوم الحجة على صحته، فإذا ما قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف: فليس من التحريف.
وقلت أيضا: ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه؛ لأن التمثيل نفاه =

كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١]. فلا ينْفُون عنْهُ ما وصف بِهِ نفْسهُ ولا يُحرِّفُون الْكلِم عنْ مواضِعِهِ ولا يُلْحِدُون فِي أسْماءِ اللّهِ وآياتِهِ ولا يُكيِّفُون ولا يُمثِّلُون صِفاتِهِ بِصِفاتِ خلْقِهِ لِأنّهُ سُبْحانهُ لا سمِيّ لهُ ولا كُفُوَ لهُ ولا نِدَّ لهُ ولا يُقاسُ بِخلْقِهِ ﷻ فإِنّهُ سُبْحانهُ أعْلمُ بِنفْسِهِ وبِغيْرِهِ وأصْدقُ قِيلًا وأحْسنُ حدِيثًا مِنْ خلْقِهِ).

الشـــرح:

١- مذهب أهل السنة هو المذهب الوسط:

ذهبت الجهميةُ «أصحابُ جهم بن صفوان المتوفى سنة ١٢٨هـ»[(١)].

= الله بنص كتابه، حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ [الشّورى: ١١] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وكان أحبَّ إلي من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله، وإن كان قد يعنى بنفيه معنى صحيح، كما قد يعنى به معنى فاسد. اهـ

(١) هو الجهم بن صفوان الراسبي مولاهم، أبو محرز السمرقندي، رأس الفرقة الجهمية، قتله سلم بن أحوز نائب أصبهان، سنة ثمان وعشرين ومائة. كان يقول: إنّ العباد مجبورون على أفعالهم، وإنّ الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وإنّ الجنّة والنار تفنيان وتبيدان، وإنّ القرآن مخلوق، وكان يُنكر صفات الله ﷻ وأسماءه، ويقول: إنّ الله في الأمكنة كلها! تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً.

انظر: الفرق بين الفرق ص ٢١١. والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٣٤. وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦). والبداية والنهاية (٩/ ٣٦٤). =

. . . .

= والخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٩).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «التسعينية» (ص ٢٣٨) قال أبو عبد الله محمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري في كتاب «السنة والجماعة» من تأليفه: ما جاء في بدوٍّ الجهمية والسُمنية وكيف كان شأنهم وكفرهم بآيات الله: عن حفص بن عبد الرحمن البجلي قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن أيوب بن أبي تميمة قال: ما أعلم أحدا من أهل الضلال أكذب على كتاب الله من السُمنية. قال: وهو عندنا كما قال لا أعلم أن أحدا أجهل ولا أحمق قولا منهم، لا يتعلقون من كتاب الله بشيء ولا يحتجون، إنما هو حب وبغض! ومن أحب دخل الجنة ومن أبغض دخل النار! وصارت طائفة جهمية لم تكن على عهد رسول الله ﷺ - ولا على عهد الصحابة، وإنما هو رأي محْدَث، ويرون أن أول من تكلم جهم بن صفوان، وكان جهم فيما بلغنا لا يُعرَفُ بفقه ولا ورع ولا صلاح، أعطي لسانا منكرا، فكان يجادل ويقول برأيه، يجادل السمنية وهم شِبْهُ المجوس، يعتقدون الأصنام، فكلمهم فأخرجوه حتى ترك الصلاة أربعين يومًا لا يعرف ربه! وكلامهم يدعو إلى الزندقة، وكلامهم وصفناه لغير واحد من أهل اللغة والبصر، فمالوا آخر أمرهم إلى الزندقة، والرجل إذا رسخ في كلامهم ترك الصلاة واتبع الشهوات، وكان أبو الجوزاء صاحب جهم، وكان أقوى في أمرهم من جهم فيما بلغنا، وكان يسكن الفارياب، وأخبرنا أناس من أهلها من صالحيهم أنه ترك الصلاة وشرب الخمر، واتبع الشهوات، وأفسد عالمًا من الناس، فنعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى، ما أعلم ممن تكلم في الإسلام قوما أخبث من كلامهم. القرآن كله نقض على كلامهم، وبلغنا أن منهم من يقول إن ما يفسد علينا كلامنا القرآن ويكسره، لا يرون =

. . . .

= أن في السماء ساكنا، وذكر طرفًا من كلامهم ثم قال: قال علي سمعت عبد الله [يعني ابن المبارك] يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية وقال في شعر له:

ولا أقول بقول الجهم إنّ له   قولًا يضارِع قول الشرك أحيانا

ثم قال حدثنا عبيد الله - يعني ابن واصل - حدثنا عبد الله بن محمد شيخ من أهل بغداد - حدثنا ابن صالح قال: لقيت جهما فقلت: نطق الله؟ قال: لا. قلت: فهو ينطق؟ قال: لا قلت: فمن يقول يوم القيامة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ومن يرد عليه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. قال: إنهم زادوا في القرآن ونقصوا منه! وروى أبو داود والخلال وغيرهما عن ابن شوذب قال: ترك جهم الصلاة أربعين يومًا، وكان فيمن خرج مع الحارث ابن سريج وعن مروان بن معاوية الفزاري وذكر جهمًا فقال: قبح الله جهمًا، حدثني ابن عم لي أنه شك في الله أربعين صباحًا. وذكر البخاري في كتاب خلق الأفعال عن يحيى بن أيوب، قال: كنا يوما عند مروان بن معاوية الفزاري فسأله رجل عن حديث الرؤية فلم يحدثه به، قال: إن لم تحدثني به فأنت جهمي. فقال مروان: أتقول لي جهمي وجهم مكث أربعين ليلة لا يعرف ربه. قال البخاري وقال ضمرة [عن] ابن شوذب: ترك جهم الصلاة أربعين يومًا على وجه الشك، فخاصمه بعض السمنية فشك، فأقام أربعين يوما لا يصلي. قال ضمرة: وقد رآه ابن شوذب. قال البخاري وقال عبد العزيز بن أبي سلمة: كلام جهم صفة بلا معنى، وبناء بلا أساس، ولم يُعَدَّ قط من أهل العلم. وروى أبو داود والخلال عن إبراهيم بن طهمان قال: ما ذكرته ولا ذكر عندي إلا دعوت الله عليه؛ ما أعظم ما أورث أهلَ القبلة من منطقه هذا العظيم، يعني جهماً. اهـ

والمعتزلةُ «أصحابُ واصل بن عطاء المتوفى سنة ١١٠هـ»[1] إلى نفى الصفات مع فرقٍ بينهما في هذا، وكذلك ذهب الإشاعرة «أصحاب

---

(١) المعتزلة: سموا بذلك لاعتزال رئيسهم واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري. وقيل لاعتزالهم قول الأمة في دعواهم أنّ الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر. ولهم أصول خمسة اشتهروا بها، هي: التوحيد، والعدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٠، ١١٤). والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٣). وخطط المقريزي (٢/ ٣٤٥). والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص ٤٩).

قال شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤١٩): والمعتزلة إنما أخذوا مقالتهم عن جهم، كما ذكر ذلك الإمام أحمد رحمه الله، أنه أخذ ذلك عن الجهم قوم من أصحاب عمرو بن عبيد، وأصحابُ عمرو بن عبيد هم المعتزلة، فإن أول المعتزلة هو واصل بن عطاء...اهـ

وقال في منهاج السنة النبوية (ج٨/ ص١): ولم يكن في الصحابة والتابعين أحد يستدل على حدوث العالم بحدوث الأجسام، ويثبت حدوث الأجسام بدليل الأعراض والحركة والسكون، والأجسام مستلزمة لذلك لا تنفك عنه، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث، ويبنى ذلك على حوادث لا أول لها؛ بل أول ما ظهر هذا الكلام في الإسلام بعد المائة الأولى من جهة الجعد ابن درهم والجهم بن صفوان ثم صار إلى أصحاب عمرو بن عبيد كأبي الهذيل العلاف وأمثاله، وعمرو ابن عبيد وواصل بن عطاء إنما كانا يُظهران الكلام في إنفاذ الوعيد، وأن النار لا يخرج منها من دخلها، وفي التكذيب بالقدر...اهـ

أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة **٣٣٩**هـ»[١] إلى نفي بعض الصفات[٢].

وذهبت المشبهة إلى تشبيه صفاته تعالى بصفات خلقه، «وهم أصحاب هشام بن الحكم الرافضي»[٣].

---

(١) هو الشيخ علي بن إسماعيل بن أبي بشر. ينتسب إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ. وكنيته أبو الحسن. ولد في البصرة سنة (٢٦٠هـ)، وتوفي على القول الراجح سنة (٣٢٤ هـ) في بغداد. وكان له ثلاثة أحوال، كان في أولاها معتزلياً، وسلك في الثانية مذهب ابن كلاب، ورجع أخيراً إلى معتقد السلف، وألّف عدة كتب في نصرة معتقدهم؛ ككتاب «الإبانة»، و«رسالة إلى أهل الثغر»، و«مقالات الإسلاميين».
انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٩٩). وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٢). ومقدمة تحقيق د/ عبد الله شاكر لـ «رسالة إلى أهل الثغر» لأبي الحسن الأشعري.

(٢) وهم في هذا يتبعون مذهب الكلابية أتباع أبي عبد الله بن كلاب الذي تبعه الأشعري في مرحلته الثانية، وجرى على ذلك أتباعه إلى اليوم.

(٣) هشام بن الحكم الشيباني بالولاء، الكوفي، أبو محمد: متكلم مناظر، كان شيخ الرافضة الإمامية في وقته. ولد بالكوفة، ونشأ بواسط. وسكن بغداد. وانقطع إلى يحيى ابن خالد البرمكي، فكان القيم بمجالس كلامه ونظره. ولما حدثت نكبة البرامكة استتر سنة ١٨٧هـ. وتوفي على أثرها بالكوفة نحو ١٩٠هـ. ويقال: عاش إلى خلافة المأمون.
انظر الأعلام للزركلي (٨/ ٨٥) والفهرست لابن النديم، (١/ ١٧٥) لسان الميزان (٦/ ١٩٤).
قال أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين» (ص: ٣١ ت ريتر): =

أما أهل السنة والجماعة: فإن مذهبهم وسط بين التعطيل والتشبيه، فإنهم لايعطلون الله تبارك وتعالى من صفاته، التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، بل يثبتون له صفاته تعالى، وعند إثباتها لا يشبّهْون، فلا يجعلون صفاتِه تعالى كصفاتِ خلقه، كالمشبهة إذ هم وسط بين التعطيل والتشبيه(١).

= واختلفت الروافض أصحاب الإمامة في التجسيم وهم ست فرق: فالفرقة الأولى الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي يزعمون أن معبودهم جسم، وله نهاية وحد، طويل عريض عميق، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، لا يوفي بعضه على بعض ولم يعينوا طولاً غير الطويل، وإنما قالوا: طوله مثل عرضه على المجاز دون التحقيق، وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان، كالسبيكة الصافية، يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم ورائحة ومجسة، لونه هو طعمه، وطعمه هو رائحته، ورائحته هي مجسته، وهو نفسه لون، ولم يعينوا لوناً ولا طعماً هو غيره، وزعموا أنه هو اللون وهو الطعم، وأنه قد كان لا في مكان، ثم حدث المكان، بأن تحرك الباري فحدث المكان بحركته فكان فيه، وزعم أن المكان هو العرش.اهـ

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٥٠): أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى، بائنٌ من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص، ويعلم أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال. اهـ

(ب) التحريف:

هو صرف الكلام عن ظاهره كتحريف معنى «اليد» عن معناها الظاهر إلى معنى آخر هو النعمة.

(ج) أقسام التحريف:

التحريف نوعان: تحريف لفظي، وتحريف معنوي.

فتحريف اللفظ: هو العدول عن جهة اللفظ[١] إلى غيرها: إما بزيادة في اللفظ وإما بنقصان فيه، وإما بتغيير حركة إعرابية وإما غير إعرابية.

وأما تحريف المعني: فهو العدول بالمعنى عن وجهة وحقيقته وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدرٍ ما مشترك بينهم.

(د) التعطيل:

هو الخلو والفراغ، فيكون معنى التعطيل عند المعطلة: هو تجريد الله تعالى من صفاته وأسمائه.

(هـ) أقسام التعطيل:

التعطيل ثلاثة أقسام:

١- تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه.

---

(١) أي جهته في لغة العرب ووجهه الذي جاء في لسانهم.

٢- وتعطيل الله سبحانه عن كماله المقدس، بتعطيل أسمائه وصفاته وأعماله تعالى.

٣- وتعطيل معاملته عما يجب على العباد من حقيقة التوحيد.

(و) تعريف التأويل:

هو أن يصير الشيء إلى كذا، والتأويل عند المفسرين هو: تفسير القرآن الكريم وبيانه.

وأما عند المعتزلة والجهمية، فإنه صرف اللفظ عن ظاهره المراد إلى معنى آخر، كتأويل العين بالعناية.

(ز) تعريف التكييف:

هو البحث عن كنه[1] الصفات وكيفيتها وحقيقتها، وهو ممنوع عند أهل السنة والجماعة.

(ح) تعريف التمثيل:

هو تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين، وهو ممنوع أيضاً عند أهل السنة والجماعة.

(ط) تعريف الإلحاد:

الإلحاد في اللغة: الميل فيكون الإلحاد هو الميل، والعدول عن

---

(١) قال في «شرح القاموس»: الكُنْهُ: جوْهرُ الشّيْءِ ونِهايتُه. اهـ.

الحق إلى الظلم والعدوان.

ويكون الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته، هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، إلى غيره[(١)].

(١) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].
قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «بدائع الفوائد» (١/ ٢٩٧):
والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها... فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:
أحدها: أن يسمى الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا، وهذا إلحاد حقيقةً، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.
الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو علةً فاعلة بالطبع ونحو ذلك.
وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه وقولهم: يد الله مغلولة وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.
ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة، لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها، عقلًا وشرعًا ولغًة وفطرةً، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءَه وصفاتِه لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفاتِ كمالِه وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم =

الخلاصة

أن مذهب أهل السنة والجماعة هو: أن يثبتوا لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه - وهو القرآن الكريم - أو أثبته له نبيه ﷺ، إثباتاً من غير تمثيل - فلا يمثلون صفاتِ الله تعالى بصفات

= متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئًا ممَّا وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك، فليستقل أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقولون المشبهون علوًا كبيرًا.

فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد ونغرقت بهم طرقه وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئًا من التشبيه، وتنزيههم خليًا من التعطيل، لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنمًا، أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدمًا.

وأهل السنة وسط في النحل، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾، فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله إنه قريب مجيب. اهـ.

خلقه - وتنزيهاً من غير تعطيل، فإنهم ينزهون الله تعالى عما لا يليق به، من غير أن يعطلوا[١] من صفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه والتي أثبتها له رسول الله ﷺ.

وكذلك من غير تكييف، كما لا يتعرضون لحقيقة ذات الله وصفاته؛ لأنه كما لا نعلم حقيقة ذاتِه، فإنا لا نعلم حقيقة صفاتِه، فهو ﷻ أعلم بحقيقة ذاته وصفاته، لا يعلم بهما إلا هو.

وهم كذلك لا يلحدون في أسماء الله وصفاته، فلا يغيرون في معانيها، ولا يميلون بها إلى غير ما أراد الله منها، كما لا يقيسون الله تعالى بخلقه، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

ودستورهم - في ذلك - قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١]، فالجزء الأول من الآية يستدل به على نفي التشبيه عن الله تعالى، وأنه لا يشبهه أحد من خلقه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته.

وأما الجزء الثاني وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فإنهم يستدلون به على أن لله تعالى صفاتٍ، أثبتها لنفسِهِ، منها السمعُ والبصرُ، وكلُّ ما أثبته لنفسه منها.

والجزء الأول، وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ يرد به على

---

(١) كذا! ولعل الصواب: (يعطلوه).

المشبهة، الذين شبهوا الله تعالى بخلقه.

والجزء الثاني ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ يرد به على المعطلة - كالجهمية والمعتزلة - الذين عطلوا الله تعالى من صفاته.

إذاً مذهب أهل السنة والجماعة مذهب وسط بين التعطيل والتشبيه(١)

أسئلة

١- بين كيف أن مذهب أهل السنة والجماعة مذهب وسط.

٢- عرف التكييف. وهل ينفيه أهل السنة أو يأخذون به؟

٣- بين معنى التعطيل، وما أقسامه؟ وهل يمنعه أهل السنة أو يأخذون به؟.

٤- بين معني التحريف، وما أقسامه؟ وهل هو جائز أو ممنوع؟

٥- بين معاني التأويل، وما الممنوع منه وما الجائز؟

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح» (١/ ٧١): «وأهل السنة والجماعة في الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل، فهم وسط في باب صفات الله ﷻ بين أهل الجحد والتعطيل، وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله، من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتًا لصفات الكمال، وتنزيها له عن أن يكون له فيها أنداد وأمثال، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ردًا على الممثلة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردًا على المعطلة». اهـ.

٦- بين معني التمثيل، وهل يمنعه أهل السنة أو يأخذون به، ولماذا؟

٧- بين معنى الإلحاد، وهل هو ممنوع أو جائز، ولماذا؟

❊ ❊ ❊

رسل الله صادقون فيما وصفوا به الله تعالى

النص:

قال ابنُ تيميّةَ: «ثُمّ رُسُلُهُ صادِقُون مصْدُوقُون؛ بِخِلافِ الّذِين يقُولُون عليْهِ ما لا يعْلمُون، ولِهذا قال سُبْحانهُ وتعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فسبّح نفْسهُ عمّا وصفهُ بِهِ الْمُخالِفُون لِلرُّسُلِ وسلّم على الْمُرْسلِين، لِسلامةِ ما قالُوهُ مِنْ النّقْصِ والْعيْبِ، وهُو سُبْحانهُ قدْ جمع فِيما وصف وسمّى بِهِ نفْسهُ بيْن النّفْيِ والْإِثْباتِ، فلا عُدُول لِأهْلِ السُّنّةِ والْجماعةِ عمّا جاء بِهِ الْمُرْسلُون؛ فإِنّهُ الصِّراطُ الْمُسْتقِيمُ، صِراطُ الّذِين أنْعم اللّهُ عليْهِمْ، مِنْ النّبِيِّين والصِّدِّيقِين والشُّهداءِ والصّالِحِين».

الشـــرح:

(أ) طريق إثبات الصفات لله عند أهل السنة والجماعة:

الناس في إثبات الصفات فريقان:

١- فريق سلك في إثبات هذه الصفات طريق العقل، ولذلك أثبت من هذه الصفات ما لا يليق بالله تعالى، ولا يصح التعبير بها عنه،

ولا وَصْفُهُ بها، مثل قولهم: «جسم وجوهر وعرض»(١)، وهذا المذهب مردود بتعبيراته.

٢- وأما الفريق الثاني: فهم أهل السنة والجماعة، فإنهم سلكوا في وصفهم اللهَ تعالى طريقَ الكتابِ والسنةِ، فما أثبته الكتاب والسنة

---

(١) قال الجرجاني في التعريفات: الجسم جوهر قابل للأبعاد الثلاثة وقيل الجسم هو المركب المؤلف من الجوهر.
وقال أيضاً: الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو مختصر في خمسة هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل. اهـ
قال الزبيدي في شرح القاموس في مادة «عقل»: وفي «المواقِف»: قال الحُكماء: الجوْهرُ إنْ كان حالًّا في آخر فصُورةٌ، وإنْ كان مَحَلاًّ لها فهيولى وإن كان مُركّباً منهما فجِسْمٌ، وإلاّ؛ فإنْ كان مُتعلِّقاً بالجِسمِ تعلُّق التدبيرِ والتّصرُّفِ فنفْسٌ، وإلاّ؛ فعقْلٌ انتهى.
وقال في مادة (عرض): وفي «البصائرِ»: العَرَض مُحرّكةً: ما لا يكُونُ له ثباتٌ. ومنه اسْتعار المُتكلِّمُون العَرَض لما لا ثبات لهُ إلاّ بالجوْهرِ كاللّوْنِ والطّعْمِ. وقِيل: الدُّنْيا عرضٌ حاضِرٌ تنْبِيهاً أنْ لا ثبات لها. والعَرَضُ: مُقابِلُ الجوْهرِ وهو: ما يقُومُ بغيْرِه ولا دوام له في اصْطِلاحِ المُتكلِّمِين، وهم الفلاسِفة. وأنْواعُه نيِّفٌ وثلاثُون، مِثْلُ: الألْوانِ والطعُومِ والرّوائحِ والأصْواتِ والقدرِ والإرادات كما في العُباب، وفي اللِّسان: العرضُ في الفلْسفة: ما يُوجدُ في حامِلِه ويزُول عنْهُ مِنْ غيْرِ فسادِ حامِلِهِ ومنه ما لا يزُولُ عنه. فالزّائلُ منه كأُدْمةِ الشُّحُوبِ، وصُفْرةِ اللّوْنِ، وحركةِ المُتحرِّكِ، وغيْرُ الزّائلِ كسوادِ القارِ والسّبجِ والغُرابِ. اهـ

من الصفات أثبتوه، وما لم يثبته الكتاب والسنة منه لم يثبتوه[١].

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الفتوى الحموية» (ص ٢٦٥) - وفي «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٦) - القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث، قال الإمام أحمد رضي الله عنه: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث. ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق، ليس فيه لغز ولا أحاجي؛ بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه؛ لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد. وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقة: فكذلك له صفات حقيقة، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحِق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث، لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقه العدم؛ ولافتقار المحدَث إلى محدِث، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى. ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله؛ فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته. وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل؛ فهو جامع بين التعطيل والتمثيل. أما المعطلون فإنهم لم يفهموا =

وبذلك صار طريق أهل السنة هو الطريق الحق؛ لأن الله تعالى أرسل رسله بهذه الأوصاف، وهم صادقون فيما وصفوا به ربهم، مصدَّقون من الله بتصديقه لهم بآياته ومعجزاته.

أما الآخرون فإنهم يقولون ما لا يعلمون ويتخيلون ما يجهلون[1].

= من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات؛ فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل! مثلوا أولًا، وعطلوا آخِرًا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته، بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيلٌ لما يستحقه هو سبحانه، من الأسماء والصفات اللائقة بالله ﷻ. اهـ

(١) قال العلامة ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٤٩ ط سعد): وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيمانًا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلهم على إثبات ما نطق به الكاتب والسنة كلمةً واحدةً، من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلًا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلًا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالًا، ولا ضربوا لها أمثالًا، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرًا واحدًا، وأجروها على سَنَنٍ واحدٍ، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع، حيث جعلوها عِضين، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها، من غير فرقان مبين، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه. اهـ

(ب) تصديق الله تعالى رسله وثناؤه عليهم:

لما كان رسل الله صادقين فيما وصفوا به ربهم، نزه ذاته تعالى عما يصفه به الواصفون، المعرضون عن رسل ربهم، ثُمَّ وصف نفسه تعالى بأنه رب العزة، أي القوة والغلبة(١)، ثم سلّم تعالى على رسلِهِ، حيث وصفوه بما يليق به تعالى، وفي هذا تزكية وتصديق لهم فيما وصفوا به ربهم.

ثم إنه تعالى أثنى على نفسهم بما يليق بكماله بقوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، لأنه لا يستحق «الحمد» إلا من اتصف بصفات الكمالات، وتنزه عن النقائص من الصفات(٢).

---

(١) قال البغوي: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ [الصَّافات: ١٨٠] الغلبة والقوة. اهـ
وقال القرطبي: سئل محمد بن سحنون عن معنى ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾، لِم جاز ذلك والعزة من صفات الذات! ولا يقال: رب القدرة ونحوها من صفات ذاته جل وعز؟ فقال: العزة تكون صفة ذات وصفة فعل، فصفة الذات نحو قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فَاطِر: ١٠] وصفة الفعل نحو قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ والمعنى رب العزة التي يتعاز بها الخلق فيما بينهم فهي من خلق الله ﷻ. اهـ

(٢) قال شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح» (٤/ ٤٠٥): وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه، وبما وصفته به رسله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل كما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصَّافات: ١٨٠]، أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل، =

(ج) الجمع بين النفي والإثبات فيما وصف به -تعالى- نفسه :

طريق أهل السنة أنهم يجمعون بين النفي والإثبات فيما وصف به تعالى نفسه، - أو سمى به نفسه كذلك - إجمالاً فيما أجمل، وتفصيلاً فيما فصّل، ودستورهم في ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١]، فالجزء الأول من هذه الآية الكريمة - وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشّورى: ١١] - يدل على نفي المماثلة لله تعالى، فهو تعالى لا يماثله أحد في ذاته ولا في صفاته، وهذا الجزء دل على نفي مجمل.

وعند أهل السنة أن كل نفي عن الله تعالى يلزمه إثبات كمال، فنفي العجز عن الله يلزمه إثبات القدرة له[1]، ونفي الجهل عنه تعالى يلزمه إثبات العلم[2].

وعند أهل السنة - كذلك - أن الإجمال في النفي أكثر منه في الإثبات فالله تبارك وتعالى فصل في بيان الصفات الثبوتية.

ويدل الجزء الثاني من هذه الآية - وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

= ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّافات: ١٨١]، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٢]. فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال، ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال. اهـ

(١) اثبات كمال القدرة.

(٢) اثبات كمال العلم.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١] - على التفصيل في الصفات الثبوتية(١)، وذلك لأن إثبات صفة من صفات الكمال لا يغني عن إثبات صفة البصر، أما النفي فيكتفى فيه بنفي كل النقائص عن الله تعالى، ولا يلزم أن ننفي كل صفة من صفات النقص على حدة حتى نأخذ في تفصيلها ثم ننفيها؛ إلا ما نص الله تعالى على نفيه منها، كالولد والند والمماثل(٢).

---

(١) أي الصفات التي تثبت لله ولا تنفى عنه، قال شيخ الإسلام في «الصفدية» (٢/ ٦٣): وكلام السلف مضمونه أن الله سبحانه لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال لم يزل قديرًا، ولم يزل عليمًا، ولم يزل متكلمًا إذا شاء، ولم يزل فاعلًا لما شاء، وأنه ﷻ لم يعدم كمالًا ممكنًا، بل هو المستحق لأنواع الكمال الممكن الوجود وذلك واجب له، ولا يقدر العباد أن يعلموا ما يستحقه الرب من الحمد والثناء، بل قد قال أعلمهم بالله: «**لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»، والحمد والثناء إنما يكون بالأمور الوجودية، أو ما يستلزم الأمور الوجودية فأما العدم المحض فلا مدح فيه ولا ثناء، فإن المعدوم المحض لا يثنى عليه، ولهذا لا يثني ﷻ على نفسه إلا بالصفات الثبوتية أو ما يستلزم ذلك. اهـ

(٢) قال شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٤/ ٤٠٦) الرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل فأتوا بإثبات مفصل ونفي مجمل.

فمن نفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، كان معطلًا، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين، كان ممثلًا، والمعطل يعبد عدمًا والممثل يعبد صنمًا =

(د) لا يعدل عن طريق أهل السنة في إثبات الصفات لله تعالى إلى غيرهم:

لما كان طريق أهل السنة هو طريق الكتاب والسنة في إثبات الصفات لله تعالى، وأنه الصراط المستقيم - صراط الذين أنعم الله عليهم - فإنه لا يصح العدول عنه إلى طريق غيرهم من فرق الضلال، الذين ينفون صفات الله تعالى، - مع إثبات الكتاب والسنة لها - كالجهمية، «أصحاب جهم بن صفوان»، والمعتزلة «أصحاب واصل بن عطاء».

أسئلة

١- إلى كم ينقسم الناس في إثبات الصفات لله؟

٢- ما هي طريقة أهل السنة في إثبات صفات الله تعالى؟

٣- ما هي الآية القرآنية التي يستدل بها أهل السنة على طريقتهم في نفي ما ينفون عن الله، وإثبات ما يثبتون له من صفات؟

= وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهو رد على الممثلة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وهو رد على المعطلة، فوصفته الرسل بأنه حي منزه عن الموت، عليم منزه عن الجهل، قدير قوي عزيز، منزه عن العجز والضعف والذل واللغوب، سميع بصير، منزه عن الصمم والعمى، غني منزه عن الفقر، جواد منزه عن البخل، حكيم حليم، منزه عن السفه، صادق منزه عن الكذب، إلى سائر صفات الكمال، مثل وصفه بأنه ودود رحيم لطيف. اهـ

٤- ما الآية التي استدل بها أهل السنة على صدق الرسل في تبليغهم عن الله؟ مع شرح كيفية الاستدلال بها؟

٥- كيف يجمع أهل السنة في استدلالهم على صفات الله بين النفي والإثبات؟

آيات الصفات التي وردت في القرآن الكريم(١)

١- الصفات التي في سورة الإخلاص هي : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

أ- ﴿ٱللَّهُ﴾ : ثبوتُ الاسم الدال على ذاته تعالى دلالة لا يشاركه فيها أحد فهو علمٌ على ذاته تعالى.

ب - ﴿أَحَدٌ﴾ : يعنى لا شريك له، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ولا عبادته، وهذا اللفظ لا يطلق على غيره تعالى في الإثبات(٢)، بخلاف النفي، فإنك تقول، لا أحدَ في الدار.

---

(١) قال الشيخ ابن تيمية : «وقدْ دخل فِي هذِهِ الْجُمْلةِ ما وصف بِهِ نفْسهُ فِي سُورةِ الْإِخْلاصِ الّتِي تعْدِلُ ثُلُث الْقُرْآنِ حيْثُ يقُولُ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤] **وما وصف بِهِ نفْسهُ فِي أعْظم آيةٍ فِي كِتابِهِ حيْثُ يقُولُ :** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] **ولِهذا كان منْ قرأ هذِهِ الْآية فِي ليْلةٍ لمْ يزلْ عليْهِ مِنْ اللّهِ حافِظٌ ولا يقْربُهُ شيْطانٌ حتّى يُصْبِح**».

(٢) أي في سياق الإثبات، فلا تقول: جاء أحدٌ، أو هنا أحدٌ، هذا على سبيل الإفراد، أما بالإضافة فلا بأس فتقول: جاء أحد الناس، لأنه مبهم.

(ج) ﴿ٱلصَّمَدُ﴾:

١- هو الذي لا جوف له.

٢- أو أنه السيد الذي يُصْمدُ إليه في الحوائج.

٣- أو أنه الذي بلغ السؤدد في الكمالات.

فالمعنى الأول: يدل على أن الله تعالى لا يدخل إليه شيء ولا يخرج منه شيء، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، فليس بجسم(١).

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٥٤٧): الكلام في وصف الله بالجسم نفيًا وإثباتًا بدعة، لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها: إن الله ليس بجسم، كما لم يقولوا: إن الله جسم؛ بل من أطلق أحد اللفظين استفصل عمّا أراد بذلك، فإن في لفظ الجسم بين الناطقين به نزاعًا كثيرًا، فإن أراد تنزيهه عن معنى يجب تنزيه عنه مثل أن ينزهه عن مماثلة المخلوقات فهذا حقٌّ. ولا ريب أن من جعل الرب جسمًا من جنس المخلوقات فهو من أعظم المبتدعة ضلالًا دع من يقول منهم: إنه لحم ودم، ونحو ذلك من الضلالات المنقولة عنهم، وإن أراد نفي ما ثبت بالنصوصِ وحقيقةِ العقل أيضا مما وصف الله ورسوله منه وله فهذا حق وإن سمي ذلك تجسيمًا، أو قيل: إن هذه الصفات لا تكون إلا لجسم فما ثبت بالكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة هو حق وإذا لزم من ذلك أن يكون هو الذي يعنيه بعض المتكلمين، بلفظ الجسم فلازم الحق حق، كيف والمثبتة تقول: إن ثبوت هذا معلوم بضرورة العقل ونظره، وهكذا مثبت لفظ الجسم، إن أراد بإثباته ما جاءت به النصوص صوبنا معناه، ومنعناه عن الألفاظ المبتدعة المجملة، وإن أراد بلفظ الجسم ما يجب تنزيه الرب عنه، من مماثلة المخلوقات =

والمعنى الثاني: يدل على أن الله تعالى هو المقصود في الحوائج كلها، فلا يُطلب إلا منه ولا يقصد إلا إليه.

والمعنى الثالث: يدل على اتصافه تعالى بجميع صفات الكمال.

ولا مانع من إرادة المعاني الثلاثة[1].

= رددنا ذلك عليه، وبينا ضلاله وإفكه.اهـ

(١) قال شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح»: (٤/ ٤٠٧ - ٤٠٨) «الصمد» اسم يتضمن إثبات صفات الكمال ونفي النقائص، وهو العليم الكامل في علمه القدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته. ولنا مصنف مبسوط في تفسير هذه السورة وآخر في بيان أنها تعادل ثلث القرآن وذكرنا كلام علماء المسلمين من الصحابة والتابعين في معنى الصمد وأن عامة ما قالوه حقٌ، كقول من قال منهم: إن الصمد الذي لا جوف له، ومن قال منهم: إنه السيد الذي انتهى سؤدده، كما قيل: إنه المستغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه، وكما قيل: إنه العليم الكامل في علمه، والقدير الكامل في قدرته، إلى سائر صفات الكمال. وذكر تعالى في هذه السورة أنه أحدٌ ليس له كفوًا أحدٌ، فنفى بذلك أن يكون شيئًا من الأشياء له كفوًا، وبين أنه أحدٌ لا نظير له. وقال في آية أخرى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريَم: ٦٥] وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: ١١]. وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النّحل: ٧٤]. وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البَقَرَة: ٢٢]. وما ورد في القرآن والسنة من إثبات صفات الله، فقد ورد في التوراة وغيرها من كتب الله مثل ذلك. فهو أمرٌ اتفقت عليه الرسل، وأهلُ الكتاب في ذلك كالمسلمين. اهـ

(د) ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ : ليس له سبحانه ولد، لأنه باقٍ، ولا يلد إلا الفاني وهذه صفة نفي؛ ولكن يلزمها كمال، وهو أنه تعالى باقٍ.

(هـ) ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ : أي أنه سبحانه ليس له أول، لأنه لو ولد من غيره لكان له أول، ويلزم هذا أن يكون موصوفاً بالأزلية، ويجمع هذين الوصفين قوله ﷺ: «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء**»[1].

(و) ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ : في هذه الآية نفي المماثلة عن الله تعالى، فلا يماثله أحد لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فليس هناك ذاتٌ تشبه ذاتَه تعالى، ولا صفةٌ تشبه صفاتِه، ولا فعلٌ مثل أفعالِه، فهذه السورة (الإخلاص) أثبتت لله تعالى جميعَ صفاتِ الكمالِ ونفت عنه جميع صفات النقص، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن، الذي هو توحيد، وأحكام، وقصص، وهي سورة التوحيد التام.

٢- الصفاتُ التي في آيةِ الكرسيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا

---

(١) أخرجه أحمد (٨٩٦٠) ومسلم (٢٧١٣)، وأبو داود (٥٠٥١)، وابن ماجة (٣٨٧٣)، والترمذي (٣٤٠٠)، وابن خزيمة (١/ ٢٦٦-٢٦٧)، وابن حبان (٥٥٣٧).

شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥][١].

---

(١) قال شيخ الإسلام في الصفدية (٢/ ٦٤): وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن هذه الآية أعظم آية في كتاب الله وقد وصف نفسه فيها بالصفات الثبوتية وذكر فيها خمسة سلوب:
الأول: قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] فإنه يقتضي انفراده بالألوهية، وذلك يتضمن انفراده بالربوبية، وأنَّ ما سواه عبد له مفتقر إليه، وأنه خالق ما سواه ومعبوده وذلك صفة إثبات.
الثاني: قوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] وهذا يتضمن كمال الحياة والقيومية، فإن السِنَّةَ والنوم نقص في الحياة والقيومية، والنوم أخ الموت، ومن نام لم يمكنه حفظ الأمور، فهو سبحانه منزه عن السِنَة والنوم تنزيهًا يستلزم كمال حياته وقيوميته والحياة والقيومية من الإثبات.
الثالث: قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] فإن هذا متضمن أنه لا يشفع عنده أحد، إلا بإذنه، وهذا يتضمن كمال قدرته وخلقه وربوبيته، وأن غيره لا يؤثر فيه بوجه من الوجوه، كما يؤثر في المخلوقين من يشفع عندهم، فيحملهم على الفعل بعد أن لم يكونوا فاعلين، وإنما الشفاعة عنده بإذنه، فهو الذي يأذن للشفيع، وهو الذي يجعله شفيعًا، ثم يقبل شفاعته فلا شريك له ولا عون بوجه من الوجوه، وذلك يتضمن كمال القدرة والخلق والربوبية والغنىٰ والصمدية.
الرابع: قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] فإن هذا يقتضي أنه الذي يعلم العباد ما شاء من علمه وأنه لا علم لهم إلا ما علمهم فبين أنه المنفرد بالتعليم والهداية لا يعلم أحد شيئًا إن لم يعلّمه إياه، كما أنه المنفرد بالخلق والإحداث، فهو الذي خلق فسوى وهو الذي =

(أ) ﴿ٱلْحَىُّ﴾ : هو المتصف بالحياة الأزلية الأبدية، لا يشاركه في الاتصاف بها أحد.

(ب) ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ : هو كثير القيام، البالغ فيه حد الكمال، فهو قائم بذاته لا يحتاج إلى غيره، وقائم بشؤون غيره لا شريك له في ذلك.

(ج) ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ : «السِّنة»: النوم الخفيف، وهو النعاس. «النوم»: وهو تعطيل الحواس تعطلاً مؤقتاً. فإن الله تعالى لا يأخذه نعاس ولا سهو ولا يغلبه نوم، فإن كل هذا محالٌ عليه تعالى، وهذا لازم لكونه قيوماً فإن القيوم لا ينام.

(د) ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]: في هذا النص إثبات صفة العلم له تعالى، وعلمه تعالى لا يشبهه علم، فلا أول لعلمه ولانهاية له، لا يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان، ويحيط بالجزئيات والكليات إحاطة انكشاف، بخلاف علم المخلوقات، فإنه يسبقه الجهل ويلحقه النسيان.

= قدر فهدى وأول ما نزل من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾.

الخامس: قوله ولا يؤوده حفظهما أي: لا يكرثه ولا يثقل عليه، وهذا يقتضي كمال القدرة وتمامها وأنه لا تلحقه مشقة ولا حرج، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] فإن نفي اللغوب يقتضي كمال قدرته وانتفاء ما يضادها من اللغوب. اهـ

(هـ) ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]: في هذا إثبات صفة المشيئة لله تعالى.

(و) ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]: «العلي» بذاته فوق خلقه، وبقدرته وقهره، و«العظيم» بذاته، وبجميع صفات كمالاته، فلا يلحقه نقص، ولا يفارقه كمال؛ لأن الكمال صفاتُه الذاتية التي لا تفارقه وأنه المحيط بكل شيء.

الخلاصة

أن الله تعالى ذكر - في آية الكرسي - «الحياة» التي هي أصل جميع الصفات، وذكر مع الحياة «قيوميته»، المستلزمة لأزليته وبقائه، وانتفاء جميع الآفات عنه، من النوم والسِّنةِ والسهو والعجز، ثم ذكر كمال ملكه بقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، ثم عقب ذلك بأنه لا شريك له بقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، ثم ذكر أن كرسيه وسع السماوات والأرض في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، ليبين عظمته، ثم بين قدرته تعالى بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾

فقد تضمنت هذه الآية: إثبات صفات الكمال لله تعالى، ونفي صفات النقص عنه، فهي بحق آية التوحيد الخالص، ولهذا كانت أفضل آية في القرآن[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح» (٣/ ٢٠٩): إن الله موصوف =

. . . .

= بصفات الكمال الثبوتية كالحياة والعلم والقدرة فيلزم من ثبوتها سلب صفات النقص وهو سبحانه لا يمدح بالصفات السلبية إلا لتضمنها المعاني الثبوتية، فإن العدم المحض والسلب الصرف لا مدح فيه ولا كمال، إذ كان المعدوم يوصف بالعدم المحض، والعدم نفي محض لا كمال فيه، إنما الكمال في الوجود، ولهذا جاء كتاب الله تعالى على هذا الوجه، فيصف سبحانه نفسه بالصفات الثبوتية، صفات الكمال، وبصفات السلب المتضمنة للثبوت كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، فنفْيُ أخذِ السِنة والنوم يتضمن كمالَ حياته وقيوميته، إذ النوم أخو الموت، ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون، مع كمال الراحة، كما لا يموتون، والقيوم القائم المقيم لما سواه، فلو جعلت له سنة أو نوم لنقصت حياته وقيوميته فلم يكن قائما ولا قيوما، كما ضرب الله المثل لبني إسرائيل لما سألوا موسى هل ينام ربك؟ فَأَرّقه ثلاثًا، ثم أعطاه قوارير، فأخذه النوم فتكسرت، بين بهذا المثل أن خالق العالم لو نام لنفد العالم. ثم قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[البَقَرَة: ٢٥٥]، فإنكاره ونفيه أن يشفع أحد عنده إلا بإذنه، يتضمن كمال ملكه، لما في السماوات وما في الأرض، وأنه ليس له شريك، فإن من شفع عنده غيره بغير إذنه وقبل شفاعته كان مشاركا له، إذ صارت شفاعته سببًا لتحريك المشفوع إليه بخلاف من لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فإنه منفرد بالملك ليس له شريك بوجه من الوجوه.

ثم قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، فنفى أن يعلم أحد شيئًا من علمه إلا بمشيئته ليس إلا أنه منفرد بالتعليم فهو العالم بالمعلومات ولا يعلم أحد شيئًا إلا بتعليمه، =

❀ ❀ ❀

= كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٣٢].
ثم قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] أي: لا يكرثه ولا يثقل عليه، فبين بذلك كمال قدرته وأنه لا يلحقه أدنى مشقة ولا أيسر كلفة في حفظ المخلوقات، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، بين بذلك كمال قدرته وأنه لا يلحقه اللغوب في الأعمال العظيمة مثل خلقه السماوات والأرض كما يلحق المخلوق اللغوب إذا عمل عملًا عظيمًا، واللغوب الانقطاع والإعياء، وهذا باب واسع مبسوط في موضع آخر. والمقصود هنا أنه موصوف بصفات الكمال التي يستحقها بذاته ويمتنع اتصافه بنقائضها وإذا وصف بالسلوب فالمقصود هو إثبات الكمال .اهـ

إحاطة الله بالمخلوقات[(١)]

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

تشتمل هذه الآية على الصفات الآتية:

(أ) ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: هو الذي لاشيء قبله، فأوليته تعالى أزلية، لا يسبقه شيء «**أنت الأول فليس قبلك شيء**»[(٢)] من حديث الرسول ﷺ.

(ب) ﴿ٱلْآخِرِ﴾: هو الذي لا يفنى؛ لأنه باقٍ بذاته ولا شئ بعده، بحيث يفنى هو - تعالى الله عن ذلك - ويبقى غيره «**وأنت الآخر فليس بعدك شيء**» من حديث رسول الله ﷺ.

(ح) ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: هو الذي فوق كل شيء، فهو سبحانه عالٍ بذاته

---

(١) قال ابن تيمية: «وقوْلُهُ سُبْحانهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفُرقان: ٥٨] وقوْلُهُ سُبْحانهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] وقوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢] ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١] وقوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطّلاق: ١٢].

(٢) أخرجه مسلم وقد تقدم تخريجه.

فوق الأشياء كلها فليس يعلوه شيءٌ أصلاً، «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»، من الحديث.

(د) ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: أي ليس دون الله شيء من مخلوقاته، فهو سبحانه محيط بخلقه علواً ودنواً، ومنه قول النبي ﷺ: «**وأنت الباطن فليس دونك شيء**».

(هـ) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: في هذا إثبات صفة العلم لله، فهو سبحانه محيط بكل الأشياء لا تخفى عليه خافية.

الخلاصة

أن الله تعالى محيط بمخلوقاته، إحاطةً أزليةً، قبل مخلوقاته وبقاءً أبدياً، كما أنه محيطٌ بهم علواً ودنواً، ثم إنه بعد ذلك علمه تعالى محيط بهم فلا تخفى عليه خافية منهم، فإنه بكل شيء عليم[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام في «لفتاوى» (٥/ ٥٨١): ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس**» وهذا نص في أنّ الله ليس فوقه شيء، وكونه الظاهر صفة لازمة له، مثل كونه الأول والآخر، وكذلك الباطن، فلا يزال ظاهرًا ليس فوقه شيء ولا يزال باطنًا ليس دونه شيء، وأيضًا فحديث أبي ذر وأبي هريرة، وقتادة المذكور في تفسير هذه الأسماء الأربعة، الذي ذكر فيه الإدلاء، قد ذكرناه في «مسألة الإحاطة» وهو مما يبين أن الله لا يزال عاليًا على المخلوقات مع ظهروه وبطونه، وفي حال نزوله إلى السماء الدنيا، =

❀ ❀ ❀

= وأيضًا فقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] فمن هذه عظمته يمتنع أن يحصره شيء من مخلوقاته. اهـ.

وقال أيضًا في «الفتاوى» (١٦/ ١٠٠ - ١٠١): والسلف والأئمة وسائر علماء السنة، إذا قالوا: إنه فوق العرش، وإنه في السماء فوق كل شيء، لا يقولون: إن هناك شيئًا يحويه أو يحصره، أو يكون محلًا له أوظرفًا ووعاءً سبحانه وتعالى عن ذلك، بل هو فوق كل شيء، ومستغنٍ عن كل شيء، وكل شيء مفتقر إليه، وهو عالٍ على كل شيء، وهو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته، وكل مخلوق مفتقر إليه، وهو غني عن العرش وعن كل مخلوقه. اهـ.

إثبات صفة «الحياة» لله

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفُرقان: ٥٨].

(أ) ﴿ٱلْحَىُّ﴾: في هذا إثبات صفة «الحياة» لله تعالى، (وهي)[١] غير حياة المخلوقات، لأنها حياة ذاتية، فليست حياته تعالى من غيره، وإنما هي من ذاته، ولا أول لهذه الحياة[٢].

(ب) ﴿ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾: في هذا إثبات صفة «البقاء»، فهو تعالى باقٍ لا يلحقه فناء؛ لأن حياته ذاتية.

---

(١) في الأصل المطبوع: (وهو) والصواب: (وهي).
(٢) قال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٣/ ٢٧٤): (حياة الله صفة قائمة بذاته لا تقوم بغيره ولا تختص ببعض الموجودات غيره).اهـ

إثبات صفة «العلو» لله

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سَبَأ: ٢٣].

(أ) ﴿ٱلْعَلِيُّ﴾: في هاتين الآيتين إثبات صفة (العلو) الذاتي والقهري لله تعالى[1].

(ب) ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: هو المحيط بمخلوقاته ذاتاً وعلماً ولا تدرك ذاته ولا صفاته[2].

(ج) ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: هو الذي لا يحيط به أحد، فذاته لا تعرف حقيقتها، وكذلك صفات كماله لا يعرف كنهها ولا عددها، وكذلك أسماؤه، كما في الحديث **«أو استأثرت به في علم الغيب عندك»**[3].

---

(١) وفيهما إثبات علو القدر أيضًا.

(٢) العظيم؛ ذو العظمة والجلال والكبير الذي لا شيء أعظم منه.

(٣) حديث حسن بالشواهد أخرجه الإمام أحمد (٣٧١٢) وأبو يعلى (٥٢٩٧) وصححه ابن حبان (٩٧٢) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٩-٥١٠) من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب** =

❊ ❊ ❊

= همي، إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحاً»! قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟ قال: «أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن».

إثبات صفة «العلم» لله

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سَبأ: ٢].

(أ) ﴿يَعْلَمُ﴾: في هذه الآية أثبت الله تعالى لنفسه «العلم»، الذي هو صفة تحيط بكل شيء، بما كان، وقبل أن يكون، وبعد أن يكون، كما يعلم كل ما يدخل في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يصعد فيها، لهذا كان إثبات صفة العلم بهذه الآية ظاهراً وأما الآية الثانية فهي: قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعَام: ٥٩].

في هذه الآية إثبات علم الغيب لله، ونفيه عن غيره، والغيب هو الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمَان: ٣٤]، كما تبين إحاطة علمه بكل شيء في البر أو في البحر، وكذلك ما يسقط من الأوراق، وكذلك ما هو موجود من حبة في ظلمات الأرض، كما يحيط بالرطب واليابس من كل شيء، لأن كل ذلك في كتابٍ ظاهر أو مظهر، ما فيه لا يخفى على الله تعالى،

ومن الآيات التي أثبتت صفة «العلم» لله تعالى قوله ﷻ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فَاطِر: ١١].

إثبات صفة (القدرة) لله تعالى

١- قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطّلاق: ١٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذّاريات: ٥٨].

(أ) قدير - هو البالغ في القدرة مداها:

هاتان الآيتان تثبتان القدرة لله تعالى، فالله متصف بالقدرة، لأن الاتصاف بضدها نقص، ودليل قدرته تعالى وجود هذه المخلوقات.

إثبات صفتي (السمع والبصر) مع نفى الشبيه لله

قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النِّساء: ٥٨].

(أ) في الجزء الأول من هذه الآية وهو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ [الشّورى: ١١] نفى الشبيه عن الله تعالى فلا يشبهه أحد في ذاته ولا في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله.

(ب) وأما الجزء الثاني منها وهو: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فإنه يثبت لله تعالى صفتي السمع والبصر، فالله تعالى سميع بسمع لا يعلمه إلا هو، وبصير ببصر لا يعلمه إلا هو، ولذلك يسمى (بالسميع البصير).

وكذلك الآية الثانية تثبتُ ما أثبتته الآية الأولى.

إثبات (المشيئة والإرادة) لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] **وقوْلُهُ:** ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٣] **وقوْلُهُ:** ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المَائدة: ١] **وقوْلُهُ:** ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعَام: ١٢٥]

في هذه الآيات: أثبت الله تعالى لنفسه المشيئة والإرادة، ثم إن الإرادة قسمان:

١- إرادة كونية: وهى المتعلقة بوجود الأشياء، وهى مذكورة في قوله تعالى: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف: ٣٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٣]، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعَام: ١٢٥]، فمن يرد الله له هداية التوفيق، بعمل الأوامرِ وترك النواهي، فإنه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد إضلاله، فإنه يجعل صدره لا يتسع للإسلام، وهذه الإرادة الكونية القدرية لابد من وقوعها.

٢- أما الإرادة الشرعية: فهي المتعلقة بما أمر الله به ونهى عنه، فالله تعالى يحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه، والإرادة الشرعية ليس لازمٌ وقوعها[١].

---

(١) قال الشيخ العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله في «فتاويه» (١/ ١٥٦): الارادة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: إرادة كونية. **القسم الثاني**: إرادة شرعية.

فما كان بمعنى المشيئة، فهو إرادة كونية وما كان بمعنى المحبة، فهو إرادة شرعية، مثال الإرادة الشرعية قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] لأن «يريد» هنا بمعنى يحب، ولا تكون بمعنى المشيئة، لأنه لو كان المعنى: والله يشاء أن يتوب عليكم، لتاب على جميع العباد، وهذا أمرٌ لم يكن، فإن أكثر بني آدم من الكفار.

إذن ﴿يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني يحب أن يتوب عليكم.

ولا يلزم من محبة الله للشيء أن يقع؛ لأن الحكمة الإلهية، البالغة قد تقتضي عدم وقوعه.

ومثال الإرادة الكونية، قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] لأن الله لا يحب أن يغوي العباد؛ إذن لا يصح أن يكون المعنى: إن كان الله يحب أن يغويكم؛ بل المعنى: إن كان الله يشاء أن يغويكم.

ولكن بقي لنا أن نقول: ما الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية من حيث وقوع المراد؟

فنقول: الكونية لابد فيها من وقوع المراد، وقد لا يقع، قد يريد الله ﷻ هذا الشيء شرعًا ويحبه ولكن لا يقع؛ لأن المحبوب قد يقع وقد لا يقع.

فإذا قال قائل: هل يريد الله المعاصي؟ =

❀ ❀ ❀

= فنقول: يريدها كونًا لا شرعًا، لأن الإرادة الشرعية بمعنى المحبة، والله لا يحب المعاصي، ولكن يريدها كونًا، أي مشيئةً، فكل ما في السموات والأرض فهو بمشيئة الله. اهـ.

وفي فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٢ ط العنود): الإرادة الكونية أعم مطلقًا، فتشمل الإرادة الدينية الشرعية، فهي أخص مطلقًا، فكل مطيع قد اجتمعت في إرادتان، الشرعية والقدرية، أما الكافر والعاصي، فقد انتفت منه الإرادة الشرعية في أعماله المخالفة للشرع. اهـ.

أثبات صفة (المحبة) لله تعالى

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥] ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحُجرَات: ٩] ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التّوبَة: ٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢] **وقوْلُهُ:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]، **وقوْلُهُ:** ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤]، **وقوْلُهُ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: ٤]. **وقوْلُهُ:** ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البُرُوج: ١٤].

مذهب أهل السنة والجماعة، أن الله تبارك وتعالى ثابت له صفة المحبة، وهى صفة لاتعرف كيفيتها، كبقية صفاته تعالى[١]، وإنما هو متصف بها اتصافاً يليق به تعالى، وليس بلازم أن تشبه صفةُ المحبةِ منه تعالى صفةَ المحبة بيننا، فإنه كما أن ذاته تعالى لاتشبه ذاتنا، فكذلك لاتشبه صفاته تعالى صفاتنا، وبذلك يبطل قول من ينفون صفة المحبة عنه تعالى لظنهم المشابهة، وقد أبطلنا المشابهة. وقد ثبت بالآيات المذكوره صفة (المحبة) له تعالى وكذلك صفة (الود) التى هى إحدى درجات المحبة، وهى صفو المحبة وخالصها ولبها، فالود هى الدرجة

---

(١) يعني أنها كبقية الصفات الإلهية لا نعلم كيفيتها.

الخامسة من درجات المحبة العشرة التى منها : العلاقة، الإرادة الصبابة، الغرام، الموده، الشغف، العشق[١].

❊ ❊ ❊

(١) قال العلامة ابن القيم في «روضة المحبين» (ص/ ٤٦): وأما الود فهو خالص الحب وألطفه وأرقه، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة، قال الجوهري: وددت الرجل أوده ودًا، إذا أحببته، والوُد، والوَد، والوِد، والوديد بمعنى المودود. . . والودود المحب. إلخ.

إثبات صفة (الرحمة) لله تعالى

قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

أنكر الجهمية - أصحاب جهم بن صفوان -، وكذلك المعتزلةُ صفةَ الرحمة، لأنهم قالوا: إن الرحمة ضعف وخَوَرٌ وتألم للمرحوم، ولما فسروا الرحمة بهذا التفسير نفوها عن الله تعالى! وأما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون صفة الرحمة لله، بنص هذه الآيات، ولا يفسرونها بهذا التفسير الذي ذهب إليه الجهمية والمعتزلة ومن يتبعهم في هذا، وإنما يقولون: نثبتها له تعالى على أنه لا يعلم بكيفيتها إلا اللهُ تعالى، ككُلِّ صفاته[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٠٩): وأهل السنة والجماعة المتبعون لإبراهيم وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يثبتون ما أثبتوه من تكليم الله ومحبته ورحمته وسائر ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، وينزهونه عن مشابهة الأجساد التي لا حياة فيها، فإن الله قال: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. =

والمراد بكتابةِ الرحمة هنا الكتابة القدرية، وأما الكتابة الشرعية فهي التي في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣]، والكتابة القدرية لا تتخلف في الوقوع بخلاف الشرعية فيجوز أنْ لا تقع[(١)].

= وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]، وقال: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، فوصف الجسد بعدم الحياة، فإن الموتان لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني شيئًا. وأما أهل البدع والضلالة من الجهمية ونحوهم فإنهم سلكوا سبيل أعداء إبراهيم وموسى ومحمد، الذين أنكروا أن يكون الله كلم موسى تكليمًا واتخذ إبراهيم خليلًا. وقد كلم الله محمدًا واتخذه خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ورفعه فوق ذلك درجات وتابعوا فرعون الذي قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ وتابعوا المشركين الذين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفُرقان: ٦٠] واتبعوا الذين ألحدوا في أسماء الله، فهم يجحدون حقيقة كونه الرحمن أو أنه يرحم أو يكلم أو يود عباده أو يودونه، أو أنه فوق السموات، ويزعمون أنّ من أثبت له هذه الصفات فقد شبهه بالأجسام الحسية! وهي الحيوان كالإنسان وأن هذا تشبيه لله بخلقه! فهم قد شبهوه بالأجساد الميتة فيما هو نقص وعيب وتشبيه دلت الكتب الإلهية والفطرة العقلية أنه عيب ونقص بل يقتضي عدمه.

وأما أهل الإثبات فلو فرض أن فيما قالوه تشبيهًا مّا، فليس هو تشبيهًا بمنقوص معيب، ولا هو في صفة نقص أو عيب، بل في غاية ما يُعلم أنه الكمال، وأن لصاحبه الجلالَ والإكرامَ. اهـ.

(١) كما تقدم في الإرادة الشرعية والكونية.

وكما أن الرحمة صفة لله، فإنّ منها[١] رحمةً مخلوقةً لله، والأولى أزلية[٢] والثانية ليست بأزلية، بل محدثة مثل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [هُود: ٩][٣].

(١) أي مما يقع عليه اسم الرحمة.

(٢) أي صفة لله ليست مخلوقة.

(٣) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٠): «كل ما يضاف إلى الله إن كان عينا قائمة بنفسها فهو ملك له وإن كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله.

فالأول: كقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشّمس: ١٣]، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريَم: ١٧]، وهو جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ وقال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التّحريم: ١٢] وقال عن آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: ٢٩].

والثاني: كقولنا: علم الله، وكلام الله، وقدرة الله، وحياة الله، وأمر الله، لكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به، فيسمى المعلوم علماً، والمقدور قدرةً، والمأمور به أمراً، والمخلوق بالكلمة كلمةً، فيكون ذلك مخلوقاً، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النّحل: ١] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عِمرَان: ٤٥] وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النِّساء: ١٧١] ومن هذا الباب قوله: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، أنزل منها رحمةً واحدة، وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة جمع هذه إلى تلك فرحم بها عباده»، ومنه قوله ﷺ في =

❀ ❀ ❀

= الحديث الصحيح للجنة: «أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي»، كما قال للنار: «أنت عذابي أعذب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها». اهـ

إثبات صفتي (الغضب والرضا) لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النِّساء: ٩٣]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمَّد: ٢٨] ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزّخرُف: ٥٥]، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: ٣]، ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التّوبَة: ٤٦].

من الصفات التي وصف الله بها نفسه: الغضب، والسخط، والرضا والكراهية، والأسف، والمقت[1]، فالله تعالى يغضب على العصاة. والسُخْط: أشد الغضب، ويكون على من اشتد عصيانهم لله، ويرضى الله تعالى عن عباده الصالحين.

واللعن: هو الطرد من رحمة الله، والله تعالى يوصف بأنه يلعن

---

(١) قال في القاموس وشرحه تاج العروس: «وفي «المحكم»: المقْتُ: أشدُّ الإِبْغاضِ، مَقَت مقاتةً ومَقَتهُ مقْتاً أبْغضه كمقّته تمْقِيتاً، فهو مقِيتٌ فعِيلٌ بمعنى فاعِل ككرِيم، وممْقُوتٌ، قال:

ومنْ يُكثِرِ التّسْآل ياحُرُّ لمْ يزلْ   يُمقّتُ في عيْنِ الصّدِيقِ ويُصْفحُ

وفي «الأساس»: مقتهُ مقْتاً وهو بُغْضٌ عن أمْرٍ قبِيحٍ. وفي «المُفْرداتِ» للراغب: هو أشدُّ البُغْضِ. اهـ

الكافرين، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المَائدة: ٦٠].

والأسف: الذي يوصف به الله تعالى معناه شدة الغضب والسخط.

وهذه الصفات كلها صفات أفعال[١]، وليست صفاتٍ ذاتيةً، فإنه سبحانه يغضب متى شاء، ويرضى متى شاء.

* ومذهب السلف إثبات صفات الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو هذه الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنعُ التأويل الذي يصرفها عن حقائها اللائقة بالله تعالى.

وقد أنكر الجهمية والمعتزلة اتصاف الله تعالى بصفات الأفعال، التي منها الكلام، والإرادة، والمحبة، والكراهية، والرضا، والغضب وغير ذلك من صفات الأفعال[٢]، وقالوا: إن هذه مخلوقات لله تعالى منفصلة عنه! لكن السلف الصالح ينكرون ذلك، ويثبتون لله تعالى

---

(١) أي: صفات فعلية.

(٢) هذه الصفات المذكورة صفات ذاتية فعلية، ذاتية بمعنى أنها أزلية قديمة النوع، وفعلية بمعنى أنها يفعلها إذا شاء ﷻ. فهي صفات أفعال من هذا الباب. وهناك صفات ذاتية كالحياة والعلو، وهناك صفات فعلية كالاستواء والنزول.

ما أثبته لنفسه، من الصفات في الكتاب والسنة، وأنّ من ينكر ذلك فهو كافر[1].

(١) قال شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٢٣): والرسل صلوات الله عليهم أجمعين إنما جاءوا بإثبات هذا الأصل، وهو أن الله يحب بعض الأمور المخلوقة ويرضاها، ويسخط بعض الأمور ويمقتها، وأن أعمال العباد ترضيه تارة وتسخطه أخرى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محَمَّد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتْح: ١٨] وقال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزّخرُف: ٥٥]، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أغضبونا» وقال ابن قتيبة: الأسف الغضب، يقال أسفت أسفا أي: غضبت. اهـ
قال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنعُ التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات، كما أشار إليه الشيخ -يعني الطحاوي- بقوله: «إذ كان تأويل الرؤية، وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية، بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين». وانظر إلى جواب الإمام مالك رضي الله عنه في صفة الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وروي أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً عليها، ومرفوعاً إلى النبي ﷺ.
ولا يقال: إن الرضا: إرادة الإحسان، والغضب: إرادة الانتقام! فإن هذا نفي للصفة.
ويقال لمن تأوّل الغضب والرضا - بإرادة الإحسان -: لم تأولتَ ذلك؟ =

. . . .

= فلا بد أن يقول: لأن الغضب غليان دم القلب!، والرضا الميل والشهوة!، وذلك لا يليق بالله تعالى.
فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب، لا أنه الغضب.
ويقال له أيضاً: وكذلك الإرادة والمشيئة فينا، هي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه، ويزداد بوجوده، وينقص بعدمه، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء، فإن جاز هذا جاز ذاك!، وإن امتنع هذا امتنع ذاك.
فإن قالوا: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقة!
قيل له: فقل: إن الغضب والرضا الذي يوصف اللهُ به، مخالف لما يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة.
فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات، لم يتعين التأويل، بل يجب تركه؛ لأنك تسلم من التناقض، وتسلم أيضا من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجِب، فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجِب حرام، ولا يكون الموجِب للصرف ما دل عليه عقله، إذ العقول مختلفة، فكل يقول: إن عقله دل على خلاف ما يقوله الآخر!
وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى، لامتناع مسمى ذلك في المخلوق، فإنه لابد أن يثبت شيئًا لله تعالى، على خلاف ما يعهده حتى في صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به، ووجود الباري تعالى كما يليق به، فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم، ووجود المخلوق لا يستحيل =

. . . .

= عليه العدم، وما سمى به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته، مثل الحي والعليم والقدير، أو سمّى به بعض صفاته، كالغضب والرضا، وسمى به بعض صفات عباده، فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق الله تعالى، وأنه حق ثابت موجود، ونعقل أن بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركاً، إذ المعنى المشترك الكلي لا يوجد مشتركاً إلا في الأذهان، ولا يوجد في الخارج إلا معينًا مختصاً، فيثبت في كل منهما كما يليق به؛ بل لو قيل: غضب مالك خازن النار وغضب غيره من الملائكة، لم يجب أن يكون مماثلًا لكيفية غضب الآدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة، حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه، فغضب الله أولى.

وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقالوا: إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه، ليس هو في نفسه متصفًا بشيء من ذلك! وعارض هؤلاء من الصفاتية ابنُ كلاب ومن وافقه! فقالوا: لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً، وجميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته، قديمة أزلية، فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت.

كما قال في حديث الشفاعة: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**». وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربّ، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول:** =

❀ ❀ ❀

= أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً». فيُسْتدلُّ به على أنه يُحِلُّ رضوانه في وقت دون وقت، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضوانا لا يتعقبه سخط.
وهم قالوا: لا يتكلم إذا شاء، ولا يضحك إذا شاء، ولا يغضب إذا شاء، ولا يرضى إذا شاء، بل إما أن يجعلوا الرضا والغضب والحب والبغض هو الإرادة، أو يجعلوهاصفات أخرى، وعلى التقديرين فلا يتعلق شيء من ذلك لا بمشيئته ولا بقدرته، إذ لو تعلقت بذلك لكان محلا للحوادث! فنفى هؤلاء الصفات الفعلية الذاتية بهذا الأصل، كما نفى أولئك الصفات مطلقا بقولهم ليس محلا للأعراض. وقد يقال: بل هي أفعال، ولا تسمى حوادث، كما سميت تلك صفات، ولم تسم أعراضاً. اهـ

إثبات صفة (مجيء الله ونزوله)

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

تثبت هذه الآيات صفات: الإتيان والمجيء والنزول لله تبارك وتعالى ثبوتاً يليق به تعالى، فلا يعلم بكيفية هذه الصفات إلا الله تبارك وتعالى، فهو سبحانه يعلم بكيفية إتيانه(١) وبكيفية مجيئه وكيفية نزوله.

* ولما قاس الجهمية والمعتزلة هذه الصفات بصفات المخلوقين، أنكروا أن يتصف الله تعالى بها، فهم شبهوا أولاً ثم عطلوا ثانيًا؛ لأنهم لما شبهوا صفاته بصفات خلقه أنكروا أن يتصف بها سبحانه.

وأما أهل السنة فإنهم على قاعدتهم في إثبات الصفات - التي جاء بها الكتاب والسنة - لله تعالى مع إسناد علم كيفيتها لله تعالى الذي لا يعلم بذاته وصفاته ألا هو(٢).

---

(١) في المطبوعة (إثباته) والمثبت هو الصواب؛ لدلالة السياق عليه.

(٢) لأن علم كيفية الصفة من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وأما علم =

. . . .

= معنى الصفة فهو من المحكم الذي دل على معناه حقيقةً الكتاب والسنة واللغة وإجماع السلف.
قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٧٤): والأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ في إتيان الرب يوم القيامة كثيرة، وكذلك إتيانه لأهل الجنة يوم الجمعة، وهذا مما احتج به السلف على من ينكر الحديث، فبينوا له أن القرآن يصدق معنى هذا الحديث، كما احتج به إسحاق بن راهويه على بعض الجهمية بحضرة الأمير عبد الله بن طاهر، أمير خراسان. قال أبو عبد الله الرباطي: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن راهويه، فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ فقال: نعم، فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم، قال: كيف ينزل؟ قال: أثبِته فوق حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبتُّه فوق! فقال له إسحاق: قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة! فقال إسحاق: أعز اللهُ الأميرَ، ومن يجيء يوم القيامة، من يمنعُه اليوم؟!. اهـ
وقال العلامة ابن القيم في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢]: فعطف مجيء المَلَك على مجيئه سبحانه، يدل على تغاير المجيئين، وأن مجيئه سبحانه حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب سبحانه أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك، وكذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ففرق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات ربك، فقسَّمَ ونوَّعَ، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدًا فتأمله. =

❀ ❀ ❀

= ولهذا منع عقلاء الفلاسفة حمل مثل هذا اللفظ على مجازه، وقالوا: هذا يأباه التقسيم والترديد والاطّراد. واطّراد نسبة المجيء والإتيان إليه سبحانه دليل الحقيقة، وقد صرحتم بأن من علامات الحقيقة الاطّراد، فكيف كان هذا المطّرد مجازاً.
ولو كان المجيء والإتيان مستحيلًا عليه، لكان كالأكل والشرب والنوم والغفلة، وهكذا هو عندكم سواء، فمتى عهدتم إطلاق الأكل والشرب والنوم والغفلة عليه ونسبتها إليه نسبة مجازية، وهي متعلقة بغيره؟ وهل في ذلك شيء من الكمال البتة؟ فإن قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفَجر: ٢٢] و«أتى» و«يأتي» عندكم في الاستحالة، مثل نام وأكل وشرب، والله سبحانه لا يطلق على نفسه هذه الأفعال ولا رسوله ﷺ، لا بقرينة ولا مطلقة فضلًا عن أنْ تُطْرَدَ نسبتها إليه، وقد اطّرد نسبة المجيء والإتيان، والنزول والاستواء إليه مطلقًا من غير قرينة تدل على أن الذي نُسِبَ إليه ذلك غيره من مخلوقاته، فكيف تسوغ دعوى المجاز فيه. اهـ
باختصار من «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/ ٨٥٦- ٨٥٨) ط أضواء السلف.

إثبات صفة (الوجهِ) للهِ تعالى

قال الله تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن : ٢٧] ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص : ٨٨].

إن أهل السنة يثبتون لله تعالى صفة الوجه، وقد استدلوا على ذلك بما ورد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحمٰن : ٢٧] إلخ وقوله : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص : ٨٨].

وقد أنكر غير أهل السنة هذه الصفة! وتأولوا ماورد في ذلك تأويلاتٍ فاسدةً، ومن هذه التأويلات تأويلهم للوجه (بالثواب) أو (بالقِبلة) أو (بالذات)! وكل هذا فاسد.

والوجه عند أهل السنة صفة ذاتية، وكما وردت صفة الوجه في القرآن فقد وردت في السنة، كقوله ﷺ: «**أعوذ بوجهك الكريم أن تضلني، لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٥٢) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٦٧) بسند ضعيف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقول عند مضْجعِهِ: «**اللّهمّ إِني أعُوذ بِوجهك الكريم، وبِكلماتِك التّامّات، من شرِّ كل دابّة أنت آخِذٌ بناصِيتها، اللّهمّ أنت تكْشِفُ المغْرم والمأْثم، اللّهم لا يُهْزمُ جُندُك، ولا يُخْلفُ وعدُك، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ، سبحانك اللّهمّ وبِحمدِك**».
=

❦ ❦ ❦

= وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت - أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**». أخرجه أحمد (٢٧٤٨) والبخاري (٩/ ١٤٣) ومسلم (٨/ ٨٠)، وليس فيه ذكر الوجه، وصح ذكر الوجه في الصحاح وغيرهما من حديث جماعة من الصحابة منها عن جابر، قال لما نزل على رسول الله ﷺ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: «**أعوذ بوجهك**» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: «**أعوذ بوجهك**»، قال: فلما نزلت ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: «**هاتان أهون أو أيسر**» أخرجه أحمد (١٤٣١٦)، والبخاري (٤٣٥٢، ٦٨٨٣، ٦٩٧١) والترمذي (٣٠٦٥)، وأبو يعلى (١٨٢٩) و(١٩٦٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧ - ٢٨)، وابن حبان (٧٢٢٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٣٠٢)، وفي «الاعتقاد» (ص/ ٨٩).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا دخل المسجد: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسُلطانِهِ القديم، من الشيطان الرجيم**» **قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفِظ مني سائر اليوم**» أخرجه أبو داود (٤٦٦)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٦٨) وإسناده صحيح.

إثبات صفة (اليدين) للهِ تعالى

قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المَائدة: ٦٤].

من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة صفة (اليد)، لذلك أثبتها أهل السنة لله تعالى، وأوَّلَ نفاةُ الصفات اليدَ بالنعمةِ أو القدرةِ، وهذا باطل، وقد أبطله أهل السنة بأدلة كثيرة لا نطيل بذكرها[(١)].

وقد ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من موضع تدل كلها على أنها يدٌ حقيقية[(٢)].

---

(١) أطال في ذكرها العلامة ابن القيم في المثال الرابع في رد ما ادعوا فيه المجاز من القرآن من كتاب «الصواعق المرسلة».

(٢) روى الدارمي في «نقضه على المريسي» (٤٤) عن مجاهد قال: قال عبد الله ابن عمر: خلق الله أربعة أشياء بيده العرش، والقلم، وعدن، وآدم، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان». وروى عبد الله بن الإمام أحمد في «كتاب السنة» (٥٦٩) عنْ قتادة، قال: قال كعْبٌ: «**كتب اللّهُ ﷻ التّوْراة بيدِهِ**». وله (٥٧٢) عنْ ميْسرة: فِي قوْلِ اللّهِ ﷻ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] قال: «**أُدْنِي حتّى سمِع صرِيف الْقلمِ فِي الْألْواحِ وكتب التّوْراة بِيدِهِ**» وله (٥٧٣) عنْ عِكْرِمة، قال: «**إِنّ اللّه ﷻ لمْ يمسّ بِيدِهِ شيْئًا إِلّا ثلاثًا: خلق آدم بِيدِهِ، وغرس الْجنّة بِيدِهِ، وكتب التّوْراة بِيدِهِ**». وله (٥٧٤) عن خالِدِ بْنِ =

ولفظ اليد في القرآن جاء على ثلاثة أنواع مفردًا ومثنى ومجموعًا، فالمفرد مثل قوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك: ١]، والمثنى كقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، والمجموع: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، وكلها تدل على إثبات صفة اليد لله تعالى بكيفية لا نعلمها[1].

= معْدان، قال: «إِنّ اللّه عَجَلّ لمْ يمسّ بيدِهِ إِلّا آدم صلواتُ اللّهِ عليْهِ خلقهِ بيدِهِ، والْجنّة، والتّوْراة كتبها بِيدِهِ». وله (٥٧٦) عنْ زيْدِ بْنِ أسْلم: أنّ اللّه عَجَلّ لمّا كتب التّوْراة بِيدِهِ قال: «بِسْمِ اللّهِ هذا كِتابُ اللّهِ بِيدِهِ لِعبْدِهِ مُوسى، يُسبِّحُني ويُقدِّسُنِي، ولا يحْلِفُ بِاسْمِي آثِمًا؛ فإِنِّي لا أُزكِّي منْ حلف بِاسْمِي آثِمًا».

(١) وهذا مما يدل على أن المراد حقيقة اليدين، لا المجاز الذي ذهب إليه المعطلة، بأنّ المراد باليد القدرة أو النعمة، لأنّ مثل هذا المجاز لا يستعمل بلفظ التثنية، ولا يستعمل إلا مفرداً أو مجموعاً، كقولك: له عندي يد يجزيه الله بها، وله عندي أيادٍ، وأما إذا جاء بلفظ التثنية لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية، وهذه موارد الاستعمال أكبر شاهد، فعليك بتتبعها. ولأنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية؛ بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة، كقوله ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: ١٦٥] وكقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وقد يجمع النعم، كقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمَان: ٢٠] وأما أن يقول: خلقتك بقدرتين أو بنعمتين، فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله ﷺ. ولأنه لو ثبت استعمال ذلك بلفظ التثنية لم يجز أن يكون المراد به هاهنا القدرة، فإنه يبطل فائدة تخصيص آدم، فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرته سبحانه، فأي مزية لآدم على إبليس في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. =

. . . .

= انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» لابن القيم (١/ ٣٩٣ ط - سيد إبراهيم).
قال شيخ الإسلام في «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٥/ ٤٨١): القرآن جاء صريحاً في اليد بلفظ التثنية في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ولم يقل: لما خلقته أيدينا، كما قال هناك ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١] بل أخبر أنه خلق هو وذكر أنه خلق بيديه، ومثل هذا اللفظ لا يحتمل من المجاز ما يحتمله ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ فإن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد، والمراد الإضافة إليه كقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠].
وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فأخبر عن اليهود أنهم ذكروا ذلك بصيغة المفرد ثم قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فأخبر أن يديه مبسوطتان، وجاء بلفظ المفرد في مواضع كقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ﴾ [آل عمران: ٢٦] وقوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك: ١] ولم يجئ بلفظ الجمع إلا في قوله ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ فإذا ادعى المدعي أن ظاهر القرآن أن لله أيدياً كثيرة بهذه الآية مع معارضة تلك الآيات المتعددة لها، أليس هذا في غاية البهتان؟ وكان إذا لم يعرف الجمع بين الآيات يكفيه أن يقول لا أعلم ظاهر القرآن أو يدعي أنه ليس له ظاهر، أما تعيين المجمل المرجوح للظهور دون غيره فتحريف وتبديل.
وصيغة التثنية نصٌ في مسماها؛ لأنها من أسماء العدد، وأسماء العدد نصوص، لا يجوز: اثنان أو ثلاثة أو أربعة، ويعني به إلا ذلك العدد حتى إنه قيل في مثل قوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨] =

= إن ذلك يوجب القروء الكاملة لكونه بلفظ العدد بخلاف قوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧] فإنه يراد به بعض الثلاث، لكونه لفظ جمع، ولكون مثل ذلك مستعملاً في أسماء الزمان، وأما صيغة المفرد فكثيراً ما يراد بها الجنس، فيتناوله سواء كان واحداً أو اثنين أو ثلاثة، كما قد يراد بها الواحد في العين.. وإذا كان كذلك كان ظاهر القرآن بل نصه، أن لله يدين، وكان ما ذُكر فيه من لفظ المفرد أريد به الجنس، وما ذكر فيه من لفظ الجمع أريد به المثنى، وكل هذا هو من ظاهر الخطاب وفصيح اللغة، ليس فيه شيء من غريب اللغة وخفيها؛ بل هو جارٍ على الاستعمال الظاهر المشهور ...إلخ

إثبات صفة (العينين) لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور: ٤٨] ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

تدل هذه الآيات على إثبات صفة (العينين) لله تعالى، وأهل السنة يثبتون هذه الصفة، ويثبت القرآن الكريم هذه الصفة، كما أن السنة أثبتتها في قوله ﷺ: «**إن العبد إذا قام في الصلاة قام بين عيني الرحمن فإذا التفت قال له ربه: إلى من تلتفت؟ إلى خير لك مني**»(١)، ولا نلتفت

---

(١) أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١٢٨) والعقيلي في الضعفاء (١/ ١٧٠) من حديث أبي هريرة مرفوعاً وسنده ضعيف، ورواه العقيلي موقوفاً على أبي هريرة (١/ ٧١) وليس فيه ذكر العينين، ورجح وقفه؛ لكن صحت الأحاديث الكثيرة في صفة العينين لله تعالى، منها حديث أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النِّساء: ٥٨] رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه، وأصبعه التي تليها على عينهِ، قال أبو هريرة رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك. أخرجه أبو داود وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» (٤٦).
وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأنها عنبة طافية.** وصححه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (٤٨، ٤٩) وصحح نحوه في باب ذكر =

بعد هذا إلى تأويل من أولها بالعناية، فإنه تأويل باطل حيث إنّه لا داعي إليه، والأصل هو الحقيقة في دلالات الألفاظ لا المجاز.

❊ ❊ ❊

= إثبات العين لله جل وعلا على ما ثبته الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه ﷺ من أحاديث ابن عباس وجابر وأنس وعائشة رضي الله عنهم، بأسانيد صحيحة. وبعضها في الصحيحين بل بلغت حد التواتر.

إثبات صفة (السمع والبصر) لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، **وقوْلُهُ:** ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عِمران: ١٨١]، **وقوْلُهُ:** ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزّخرُف: ٨٠]، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العَلق: ١٤]، ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التّوبة: ١٠٥].

تدل هذه الآيات على إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى، وأنه يجب إثباتها على ظاهرها، كما وردت في القرآن الكريم، ولا يصح تأويلها بأنها صفة العلم! أو أنها نوع من أنواع العلم! ولا شك أنّ هاتين الصفتين تُثبتانِ أن لله سمعًا يسمع به، وبصرًا يبصر به؛ لكن لا نعلم كيفية سمعه وبصره، كما لا نعلم ذاته ولا صفاتِه.

وفعل السمع يراد به أربعة معانٍ:

أحدها: سمع إدراك، ومتعلّقُه الأصواتُ.

الثاني: سمع فهمٍ وعقل، ومتعلّقه المعاني.

الثالث: سمع إجابة وعطاء ما سئل.

الرابع: سمع قبول وانقياد.

والله تعالى متصف بصفة السمع بجميع معانيها، فهو سبحانه يدرك الأصوات ويسمع المعاني، ويسمع سمع إجابة لما سُئِلهُ، ويسمع من العبد سمع قبول لعمله أو عبادته أو ذكره(١).

---

(١) إطلاق الثاني على الله تعالى فيه نظر، وهو سمع الفهم والعقل، وليس في الأدلة ما يدل على اطلاق الفهم والعقل في حق الله، ولم يذكره أحد من أهل العلم فيما أعلم؛ وإنما ذكروا مدلول السمع في اللغة. قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢/ ٥٠٧ ط العمران): فعل السمع يراد به أربعة معان:
أحدهما: سمع إدراك ومتعلقه الأصوات.
الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني.
الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل.
الرابع: سمع قبول وانقياد.
فمن الأول: ﴿سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١٨١].
ومن الثاني: قوله: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤]، ليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل ومنه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].
ومن الثالث: «سمع الله لمن حمده»، وفي الدعاء المأثور: «اللهم اسمع» أي أجب وأعط ما سألتك.
ومن الرابع: قوله تعالى ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١] أي: قابلون له ومنقادون غير منكرين له، ومنه على أصح القولين ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] أي: قابلون ومنقادون، وقيل: عيون وجواسيس وليس =

❀ ❀ ❀

= بشيء... وإذا عرف هذا فسمع الإدراك يتعدى بنفسه وسمع القبول يتعدى باللام تارة، وبِمِن أخرى، وهذا بحسب المعنى فإذا كان السياق يقتضي القبول عدي بِمِن وإذا كان يقتضي الانقياد عدي باللام، وأما سمع الإجابة فيتعدى باللام نحو: «سمع الله لمن حمده» لتضمنه معنى استجاب له ولا حذف هناك وإنما هو مضمن وأما سمع الفهم فيتعدى بنفسه لأن مضمونه يتعدى بنفسه. اهـ

أثبات (المكر والكيد) لله تعالى

قال تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرّعد: ١٣]، **وقوْلُهُ**: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٥٤]، **وقوْلُهُ**: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النَّمل: ٥٠]، **وقوْلُهُ**: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾.

تثبت هذه الآيات صفات المكر والكيد لله تعالى وصفاً يناسب كماله سبحانه وتعالى وكذلك المماحلة وهى المجادلة والمغالبة(١)، والمكر هو الأخذ في غفلة كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعرَاف: ١٨٢]،

---

(١) قال ابن جرير: شديدة مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعتا وتمادى في كفره وذكر عن علي رضي الله عنه: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرّعد: ١٣] أي: شديد الأخذ. وقال مجاهد: شديد القوة. وقال البغوي: قال أبو عبيدة: شديد العقوبة، وقيل: شديد المكر، والمحال والمماحلة: المماكرة والمغالبة. اهـ.
وقال القرطبي: قال ابن الأعرابي: «المحال» المكر، والمكر من الله عز وجل التدبير بالحق. قال النحاس: المكر من الله إيصال المكروه إلى من يستحقه من حيث لا يشعر. وروى ابن اليزيدي عن أبي زيد ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي النقمة. وقال الأزهري: «المحال»: أي القوة والشدة. والمحل: الشدة الميم أصلية، وماحلت فلانا مِحالًا أي قاويته حتى يتبين أينا أشد. وقال أبو عبيد: «المحال» العقوبة والمكروه. وقال ابن عرفة: «المحال»: الجدال، يقال: ماحل عن أمره أي جادل. اهـ

وكذلك هو إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي.

والمكر نوعان:

١- **قبيح وهو**: إيصال ذلك لمن لا يستحقه.

٢- **حسن وهو**: إيصاله إلى من يستحقه عقوبةً له.

والأول مذموم والثاني ممدوح، والله تعالى إنما يفعل من هذا ما يحمد عليه، عدلاً وحكمة(١).

---

(١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٧/ ١١١): وكذلك ما ادّعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ «المكر» و«الاستهزاء» و«السخرية» المضاف إلى الله، وزعموا أنه مسمىً باسم ما يقابله على طريق المجاز! وليس كذلك؛ بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلماً له، وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبةً له بمثل فعله كانت عدلاً، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، فكاد له كما كادت إخوته لما قال له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ [النمل: ٥١].
وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلاً يستحق هذا الاسم كما روي عن ابن عباس؛ أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار فيسرعون إليه فيغلق ثم يفتح لهم =

. . . .

= باب آخر فيسرعون إليه فيغلق فيضحك منهم المؤمنون. قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾، وعن الحسن البصري: إذا كان يوم القيامة؛ خمدت النار لهم كما تخمد الإهالة من القدر فيمشون فيخسف بهم. وعن مقاتل: إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فيبقون في الظلمة فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا. وقال بعضهم: استهزاؤه: استدراجه لهم. وقيل: إيقاع استهزائهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم. وقيل: إنه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن في الآخرة. وقيل: هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه؛ وهذا كله حق وهو استهزاء بهم حقيقة. اهـ وقال ابن القيم في «مختصر الصواعق» (ص/ ٣٠٥): لا ريب أن هذه المعاني يذم بها كثيرا، فيقال: فلان صاحب مكر وخداع وكيد واستهزاء، ولا تكاد تطلق على سبيل المدح بخلاف أضدادها، وهذا هو الذي غر من جعلها مجازا في حق من يتعالى ويتقدس عن كل عيب وذم.

والصواب أن معانيها تنقسم إلى محمود ومذموم، فالمذموم منها، يرجع إلى الظلم والكذب، فما يذم منها إنما يذم لكونه متضمنا للكذب أو الظلم أو لهما جميعًا، وهذا هو الذي ذمه الله تعالى لأهله كما في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٩] فإذا ذكر هذا عقيب قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ فكان هذا القول منهم كذبًا وظلمًا في حق التوحيد والإيمان بالرسول ﷺ واتباعه، وكذلك قوله: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [النّحل: ٤٥] الآية. وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فَاطِر: ٤٣] =

. . . .

= وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ فلما كان غالب استعمال هذه الألفاظ في المعاني المذمومة ظن المعطلون أن ذلك هو حقيقتها، فإذا أطلقت لغير الذم كان مجازا، **والحق خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم**، فما كان منها متضمنا للكذب والظلم فهو مذموم؟ وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم، حسن من المجازي له أن يخدعه بحق وعدل، وذلك إذا مكر واستهزأ ظالمًا متعديًا، كان المكر به والاستهزاء عدلًا حسنًا، كما فعله الصحابة بكعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وأبي رافع وغيرهم، ممن كان يعادي رسول الله ﷺ فخادعوه حتى كفوا شره وأذاه بالقتل، وكان هذا الخداع والمكر نصرة لله ورسوله، وكذلك ما خدع به نعيم بن مسعود المشركين عام الخندق حتى انصرفوا، وكذلك خداع الحجاج بن علاط لامرأته وأهل مكة حتى أخذ ماله، وقد قال النبي ﷺ: «**الحرب خدعة**»، وجزاء المسيء بمثل إساءته في جميع الملل، مستحسن في جميع العقول، ولهذا كاد سبحانه ليوسف حين أظهر لإخوته ما أبطن خلافه، جزاء لهم على كيدهم له مع أبيه، حيث أظهروا له أمرا وأبطنوا خلافه، فكان هذا من أعدل الكيد، فإن إخوته فعلوا به ذلك حتى فرقوا بينه وبين أبيه، وادعوا أن الذئب أكله، ففرق بينهم وبين أخيهم بإظهار أنه سرق الصواع ولم يكن ظالما لهم بذلك الكيد، حيث كان مقابلة ومجازاة، ولم يكن أيضا ظالما لأخيه الذي لم يكده، بل كان إحسانا إليه وإكراما له في الباطن، وإن كانت طريق ذلك مستهجنة، لكن لما ظهر بالآخرة براءته ونزاهته مما قذفه به، وكان ذلك سببا في اتصاله بيوسف واختصاصه به، لم يكن في ذلك ضرر عليه. =

ولكن ليس لله تعالى اسم من هذه الأفعال، لأنه ليس كل فعل من الأفعال يشتق منه اسم من الأسماء، فلا يقال الماكر، كما لا يقال الصانع[١].

= لا يجوز ذم هذه الأفعال على الإطلاق، كما لا تمدح على الإطلاق، والمكر والكيد والخداع لا يذم من جهة العلم ولا من جهة القدرة، فإن العلم والقدرة من صفات الكمال، وإنما يذم ذلك من جهة سوء القصد وفساد الإرادة، وهو أن الماكر المخادع يجور ويظلم بفعل ما ليس له فعله أو ترك ما يجب عليه فعله...

والمقصود أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه، وهذا إذا نزلنا ذلك على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين، وأنه سبحانه منزه عما يقدر عليه مما لا يليق بكماله، ولكنه لا يفعله لقبحه وغناه عنه، وإن نزلنا ذلك على نفي التحسين والتقبيح عقلا، وأنه يجوز عليه كل ممكن ولا يكون قبيحا، فلا يكون الاستهزاء والمكر والخداع منه قبيحا البتة، فلا يمتنع وصفه به ابتداء لا على سبيل المقابلة على هذا التقرير، وعلى التقديرين فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجازه، إذ الموجِب للمجاز منتف على التقديرين فتأمله فإنه قاطع، فهذا ما يتعلق بالأمر المعنوي أما الأمر اللفظي فإطلاق هذه الألفاظ عليه سبحانه لا يتوقف على إطلاقها على المخلوق ليعلم أنها مجاز لتوقفها على المسمى الآخر كما قدمنا من قوله ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرّعد: ١٣] وقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعرَاف: ٩٩] فظهر أن هذا الفرق الذي اعتبروه فاسد لفظا ومعنى. اهـ

(١) قال ابن القيم في مختصر الصواعق (١/ ٣٠٧): إن الله تعالى لم يصف =

= نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومن ظن من الجهال - المصنفين في شرح الأسماء الحسنى - أن من أسمائه (الماكر) (المخادع) (المستهزئ) (الكائد)! فقد فاه بأمر عظيم، تقشعر منه الجلود، وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغرّ هذا الجاهل أنه ﷻ أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماؤه كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى، وأدخلها وقرنها (بالرحيم) (الودود) (الحكيم) (الكريم)، وهذا جهل عظيم، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقًا، بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقًا، فلا يقال: إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد.

فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها، بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى (المريد) ولا (المتكلم) ولا (الفاعل) ولا (الصانع) لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم، وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها، (كالحليم) و(الحكيم)، و(العزيز) و(الفعال لما يريد)، فكيف يكون منها الماكر المخادع المستهزئ؟!

ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي، والجائي والذاهب والقادم والرائد، والناسي والقاسم، والساخط والغضبان واللاعن، إلى أضعاف ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه أفعالها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل! اهـ

إثبات صفتي (العفو والعزة) للهِ تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النِّساء: ١٤٩]، ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النُّور: ٢٢]، **وقوْلُهُ:** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافِقون: ٨]، **وقوْلُهُ عنْ إبْلِيس:** ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

الشـــرح:

أثبتت هذه الآيات صفتي «العفو» و«العزة» لله تعالى: فهو يعفو عن السيئات، وهو العزيز الذي لا يغلب ولا يقهر، فعفوه تعالى عن قدرة، لا عن عجز، فإن العفو عن عجز ليس عفواً، وإنما هو ذل وخضوع.

ومعنى عفو الله: تجاوزه عن خطايا عباده تفضلاً منه وكرمًا إذا تابوا ورجعوا إليه؛ بل يجوز أن يعفو عن كل ذنب ولو من غير توبة إلا الشرك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النِّساء: ٤٨].

ومعنى العزة الفعلية: القوة والامتناع فالله تعالى قادر وعزيز وقوى.

وفى الفعل المضارع لعزيز ثلاثة معان، فـ «يعزُّ» - بالفتح[(١)] - إذا اشتد وقوى. وبالكسر: إذا قوى وامتنع عن غيره. وبالضم: إذا غلب وقهر غيره[(٢)].

❊ ❊ ❊

(١) أي بفتح العين.

(٢) قال في القاموس وشرحه تاج العروس: عزّ الرجلُ يعِزُّ عِزّاً وعِزّةً، بكسرِهما وعزازةً - بالفتْح -: صار عزيزاً... قال أبو زيْد: عزّ الرجل يعِزُّ عِزّاً وعِزّةً، إذا قوِي بعد ذلّةٍ وصار عزيزاً... والعِزّ في الأصل القُوّةُ والشِّدّة والغلبة والرِّفْعة والامْتِناع. وفي «البصائر»: العِزّة: حالةٌ مانعةٌ للإنسان من أن يُغلب ... ويعِزُّ ويعزُّ، كيقِلّ ويملّ، أي بالكسر وبالفتْح، يقال: عزّ يعزُّ، بالفتْح، إذا اشتدّ ... وعزّه يعُزّه عزّاً، كمدّه: قهره وغلبه في المُعازّة، أي المُحاجّة.. والاسم: العِزّة، بالكسر، وهي القُوّة والغلبة اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» (٣/ ٣٢٥): والعرب تقول: عَزَّ يعَزُّ [بالفتح] إذا قوي وصلب، وعَزَّ يعِزُّ [بالكسر] إذا امتنع، وعزَّ يعُزُّ [بالضم] إذا غلب. فإذا قويت الحركة قوي المعنى، والضم أقوى من الكسر والكسر أقوى من الفتح. اهـ.

منهج القرآن في النفي والإثبات

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

الشرح:

- إن منهج القرآن الكريم في إثبات صفات الكمالات له تعالى هو

التفصيل، ولذلك ذكرت آيات الصفات مفصلة، وأما النفي فإنه يذكر فيه إجمالًا وذلك لأن النفي إنما جيء به لإثبات صفات كماله سبحانه وتعالى[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) قال شيخ الإسلام في «التسعينية» كما في «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٣٤٣ ط عطا) الله نزه نفسه في كتابه عن النقائص، تارة بنفيها وتارة بإثبات أضدادها ...إلخ وقال فيها أيضاً: ومن أبلغ العلوم الضرورية أن الطريقة التي بعث الله بها أنبياءه ورسله، وأنزل بها كتبه، مشتملة على الإثبات المفصل، والنفي المجمل كما يقرر في كتابه، وعلمه وقدرته وسمعه وبصره ومشيئته ورحمته وغير ذلك، ويقول في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. وعلى أهل العلم والإيمان اتباع المرسلين من الأولين والآخرين، وأما طريقة هؤلاء، فهي نفي مفصل، ليس بكذا ولا كذا، وإثبات مجمل. يقولون: هو الوجود المطلق لا يوصف إلا بسلب أو إضافة أو مركب منهما ونحو ذلك. وكل من علم ما جاءت به الرسل، وما يقوله هؤلاء، علم أن هؤلاء في غاية المشاقة والمحادة والمحاربة لله ورسله. اهـ

وقال في «الرسالة التدمرية» كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤): والله سبحانه بعث رسله باثبات مفصل ونفي مجمل، فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل ...إلخ.

بيان معاني الآيات المتقدمة

(١) **قال الله تعالى**: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٨]، يعنى أنه تعالى صاحب البركة، فإن مصدر البركة منه تعالى، فهو المبارِك، وهو الذي يهب البركة، وهو ذو العظمة والعزة، وهو مستحق الإكرام دون غيره، وهو الذي يهب الإكرام لمن يريد إكرامه.

وهنا ثلاث صفات: هي أنه تعالى صاحب البركة، وصاحب العظمة وصاحب الإكرام والإعزاز(١).

---

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٢٢): وقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرَّحمٰن: ٧٨] وهو في مصحف أهل الشام ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ وهي قراءة ابن عامر فالاسم نفسه يذوى بالجلال والإكرام. وفي سائر المصاحف وفي قراءة الجمهور ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾ فيكون المسمى نفسه... فإن اسم الله مبارك تنال معه البركة والعبد يسبح اسم ربه الأعلى فيقول (سبحان ربي الأعلى).

وقال أيضاً في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣١٧): وقوله ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧] فيه ثلاثة أقوال. قيل: أهل أن يجل وأن يكرم. كما يقال إنه ﴿أَهْلُ التَّقْوَىٰ﴾ [المدَّثِّر: ٥٦] أي المستحق لأن يتقى. وقيل: أهل أن يجل في نفسه وأن يكرم أهل ولايته وطاعته. وقيل: أهل أن يجل في نفسه وأهل أن يكرم. ذكر الخطابي الاحتمالات الثلاثة ونقل ابن الجوزي كلامه فقال: قال أبو سليمان الخطابي: الجلال مصدر الجليل يقال: جليل بين الجلالة والجلال، والإكرام مصدر أكرم يكرم إكرامًا. والمعنى أنه يكرم أهل =

(٢) **قال الله تعالى**: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريَم: ٦٥] في هذه الآية أمْرٌ بعبادة الله تعالى والصبر على عبادته، و[أن][1] لا تجعل له شريكاً في عبادته لأنه ليس له من يكون سميا أي شريكا له، أو أنّ أحداً لا يشاركه في معنى مسماه، حتى لا تكون ذاته كذاته، أو صفاته كصفاته[2].

= ولايته وطاعته وأن الله يستحق أن يجل ويكرم ولا يجحد ولا يكفر به، قال: ويحتمل أن يكون المعنى: يكرِم أهل ولايته ويرفع درجاتهم. قلت: وهذا الذي ذكره البغوي فقال: ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧] العظمة والكبرياء والإكرام يكرم أنبياءه وأولياءه بلطفه مع جلاله وعظمته. قال الخطابي: وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين، وهو الجلال مضافًا إلى الله بمعنى الصفة له والآخر مضافا إلى العبد بمعنى الفعل كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدَّثِّر: ٥٦]، فانصرف أحد الأمرين إلى الله وهو المغفرة، والآخر إلى العباد وهي التقوى. قلت: القول الأول هو أقربها إلى المراد مع أن الجلال هنا ليس مصدر جل جلالًا بل هو اسم مصدر أجل إجلالاً... وإذا قيل ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المدَّثِّر: ٥٦]، كان هو في نفسه متصفا بما يوجب أن يكون هو المتقَى... وهو أهل أن يجل وأن يكرم، وهو سبحانه يجل نفسه ويكرم نفسه، والعباد لا يحصون إجلاله وإكرامه. اهـ

(١) زيادة يقتضيها السياق، وليست في المطبوعة.

(٢) قال شيخ الإسلام في «الرسالة التدمرية» كما في «مجوع الفتاوى» (٣/ ٤): قال أهل اللغة: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريَم: ٦٥] أي نظيرا يستحق مثل اسمه. ويقال: مساميا يساميه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريَم: ٦٥] مثيلا أو شبيها...إلخ.

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، يعنى أنه تعالى لا يشاركه أحد في ذاته ولا صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله، وبذلك لا يستحق أحدٌ العبادة غيره.

(٤) قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢] معنى النِّدِ: الشبيه والمماثل، وفى هذه الآية ينهانا الله تعالى عن أن نجعل له شريكاً، ونحن نعلم أنه لا شركاء له تعالى وهذا تحدٍّ للمشركين.

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥]، ينهى الله تبارك وتعالى المشركين الذين يتخذون من دون الله شركاء، وهم يحبون شركاءهم كما يحبون الله، أو يحبون شركاءهم كما يحب المؤمنون الله تعالى.

(٦) قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسرَاء: ١١١]، يأمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ، بأن يحمده تعالى، لأمور ثلاثة:

أولاً: أنه لم يتخذ ولداً، لأن عدم اتخاذ الولد، يدل على كماله تعالى، ولا يستحق الحمد إلا من كان كاملًا، واتخاذ الولد، يدل على النقص حيث إنه يكون فانياً، ويكون محتاجاً ويكون جسماً، ويكون مخلوقاً، فإن المخلوقات هي التي تتناسل لحفظ نوعها وبقائه.

ثانياً: أنه ليس له شريك، لأنه لو كان له شريك، لم يكن إلهاً، فلا يستحق الحمد اللائق به.

ثالثاً: أنه لا وليّ فوقهُ، بسلطانه وقدرته، فيكون خاضعاً له، والخضوع يؤدي إلى الذلة، ولكن الله تعالى لا ولي فوقه، ولا شريك له في ملكه، ينازعه سلطانه، وهو العزيز الحكيم، له ملك السماوات والأرض، يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير.

ثم أمر الله تعالى نبيه في ختام الآية، أن يكبر الله تعالى تكبيراً، وأن يعظمه تعظيماً، فإنه لا يكبر، ولا يعظم إلا الله تبارك وتعالى.

(٧) قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التّغابُن: ١].

في هذه الآية إثبات أن كل ما في السموات والأرض - من مَلَكٍ وإنس وجن، وحيوان، ونبات - يسبح الله تبارك وتعالى، أي ينزهه عن كل نقص ويثبت له كل الكمال، لكِنّنا لا نفقه[(١)] تسبيحهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن[(٢)] مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ثم أثبت أن الملك لله تعالى وحده.

ويتبع ذلك أنه المستحِقُ الحمدَ وحدهُ، لكمال ذاته وصفاته، فإنه لا يستحق الحمد إلا من كان كذلك.

ثم أثبتت الآية أيضاً أنّ الله تعالى، قادر على كل شيء - من خَلق ورَزْقٍ، وإحياء، وإماتة، وبعث للأجسام، وحشر للناس، وحسابِهم

---

(١) أي: لا نفهم.

(٢) «إنْ» نافية بمعنى «ما».

وجزائِهم على أعمالهم - فأثبتت هذه الآية لله تعالى ثلاثة أشياء: أنه المالك وحده لا شريك له، وأنه المستحق للحمد، وأنه القادر على كل شيء.

(٨) **قال الله تعالى:** ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾.

استهلت هذه الآية بما يثبت التعالي والتنزه له، وهو قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾. ثم ببيان أن ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ أى الفارق بين الحق والباطل وهو القرآن، أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، وليس من عنده لينذر الناس عذاب الله تعالى، إذا لم يوحدوه، ويخصوه بالعبادة.

ثم بعد ذلك أثبتت له تعالى أربع صفات، وهى:

١- أنه مالك السموات والأرض وملكها.

٢- ولم يتخذ ولداً ليرث الملك بعده، كشأن الملوك والمُلّاك، لأنه باق لا يموت، فهو ليس في حاجة إلى ولد.

٣- وليس له شريك في ملكه، فهو المالك وحده، وهو المستحق العبادة وحده، ولا معين له ولا ضد، ولا ند، بل هو أحد صمد، لم يلد، ولم يولد.

٤- وهو بعد ذلك الخالقُ كلَّ شيء، فليس هناك من يشاركه في

الخلق، كما أنه ليس هناك من يشاركه في الملك، ثم إن خلقه الأشياء بتقدير وإحكام ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرّعد: ٨]، فكل شيء عند الله تعالى بقدر وحساب(١).

وكل من يتصف بهذه الصفات الأربع، لابد أن يكون إلهاً معبوداً، مستحقاً العبادة، دون غيرِهِ.

(٩) قال الله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢].

استُهِلتْ هذه الآية بعدم اتخاذ الله تعالى أيّ ولدٍ، كما يدَّعي الكافرون، وهذه الصفة للعموم فقد نفت اتخاذ أي: ولد مهما تكن صفته.

ثم ثنّت بنفي أن يكون معه تعالى «إله»، لأنه واحد لا شريك له، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه، ولا في استحقاقه العبادة، وأبطل تعالى ذلك بأمرين:

أولاً: ذهاب كل إلهٍ بمخلوقاته، أي استقلاله بمخلوقاته، وهذا باطل لأن ذلك يستلزم انقسام المخلوقات بينهما، وعدم وحدتها الكلية وأن يكون لكل إلهٍ مخلوقات خاصة، والعالم المشاهد أمامنا يكذِّب ذلك.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

ثانياً: تنازعهما، وتعالِي كل واحدٍ على الآخرِ، حتى يغلِب، أو يُغلب فمثلاً: هذا يُحيِي وذاك يُميت، وهذا يغني، وذاك يفقِر! وحينئذ لا ينتظم العالم ولا يبقى! وهذا أيضاً تكذبه المشاهدة.

ثم نزه نفسه سبحانه عمّا يصفه به المشركون، من اتخاذ الولد، أو يكون له شريك في ملكه.

ثم وصف نفسه تعالى، بأنه يعلم المُغيّب والمشاهد، ومن كان كذلك، لا يحتاج إلى ولد يعاونه، ولا يحتاج إلى شريك يساعده، لأنه لا يغيب عنه تعالى شيء.

ثم نزه ذاته تعالى عن أن يكون له شريك(١).

---

(١) بسط شيخ الإسلام ابن تيمية الكلام على هذه الآية وشرح دليل التمانع في كثير من كتبه منها في «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣١٢ - ٣٢٥) وفي «درء تعارض العقل والنقل» (٩/ ٣٤٨-٣٦١) وفي «الصفدية» (٢/ ١٧٠-١٧٢) قال في «درء التعارض» (٩/ ٣٥٥) إن هؤلاء النظار قالوا: إذا قدر ربان متماثلان فإنه يجوز اختلافهما، فيزيد أحدهما أن يفعل ضد مراد الآخر، وحينئذ إما أن يحصل مراد أحدهما، أو كلاهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأقسام الثلاثة باطلة، فيلزم انتفاء الملزوم . . . فتبين أن الخالق لابد أن يكون قادرًا بنفسه على الاستقلال بالفعل، وهذا وحده برهان كافٍ. وحينئذٍ فلابد أن يكون أحدهما أقدر من الآخر، فيلزم علو بعضهم على بعض، ولهذا بين الله تعالى في كتابه أن كل واحدٍ - من ذهاب كل إله بما خلق، ومن علو بعضهم على بعض - برهان قاضٍ بأنه ليس مع الله إله =

(١٠) قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: ٧٤].

في هذه الآية نهى الله تعالى عباده، عن أن يجعلوا لله تعالى أمثالاً

= كما قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] فجعل هنا لازمين، كل منهما يدل على انتفاء الملزوم:

أحدهما: قوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ فإن الإله لابد أن يكون قادرًا مستقلًا بالقدرة على الفعل، لا يحتاج في كونه قادرًا إلى غيره...

وأما البرهان الثاني: وهو لزوم علو بعضهم على بعض، وذلك يمنع إليه المغلوب، فإنه يمتنع أن يقدر أحدهما على عين مقدور الآخر، لأن ذلك يستلزم أن يكون ما فعله أحدهما يقدر الآخر أن يفعله، مع كونه فعل الأول ... وهذا معنى قوله: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وقال قبل ذلك **(٩/ ٣٥٤)**: الذي ذكره النظار عن المتكلمين الذي سموه دليل التمانع برهان تام على مقصودهم، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين وإن كان هذا هو توحيد الربوبية، والقرآن يبين توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية. اهـ.

وقال في «منهاج السنة» **(٣/ ٣١٢)**: قال تعالى: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فذكر سبحانه وجوب امتياز المفعولين، ووجوب قهر أحدهما للآخر، وكلاهما ممتنع، فهذه الطرق وأمثالها مما يبين بها أئمة النظار توحيد الربوبية، وهي طرق صحيحة عقلية لم يهتد هؤلاء المتأخرون إلى معرفة توجيهها وتقريرها، ثم إن أولئك المتقدمين من المتكلمين ظنوا أنها هي طرق القرآن، وليس الأمر كذلك؛ بل القرآن فيه توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية وقرره أكمل من ذلك... إلخ.

يشبهونه، أو شركاء يشاركونه، ثم بين لهم أنهم لا علم لهم بذلك، ولذلك كان جعلهم لله أمثالاً وشركاء عن جهل لا عن علم، لأنهم لا يعلمون ذات الله تعالى ولا صفاتِهِ، وإنما الذي يعلم ذلك هو الله تعالى، ولا يصف نفسه إلا هو، كما جاء في القرآن الكريم، وسنة سيد المرسلين، وهذه هي طريقة أهل السنة والجماعة، وهى وصف الله تعالى بما وصف به نفسه في القرآن الكريم، وسنة الرؤوف الرحيم.

(١١) قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

في هذه الآية بين الله تعالى ما حرمه علينا، وهى:

١- الفواحش، جمع فاحشة، وهى العمل الذي يكون فاحشاً وفجوراً وهذا يصدق على الكبائر من الزنا، والقتل.

والمراد بما ظهر منها، ما يعمل جهاراً وعلانيةً، وما بطن ما عمل في الخفاء.

أو الظاهر منها: الفواحش البدنية، والباطن منها الفواحش القلبية كالحسد، والبغضاء.

٢- وأما الإثم فهو ما يأثم الشخص بعمله، وقد يراد منه الصغائر، كالنظر إلى الأجنبيات.

٣- وأما البغي فهو الظلم، والاعتداء على الناس بغير حق.

٤- وحرم الله تعالى كذلك الشرك الذي لا دليل عليه ولا حجه لأنه باطل.

٥- ثم حرم كذلك أن نقول على الله مالا نعلم.

وفى هذا الجزء الأخير من الآية وهو ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٦٩] رد على ما يصفون الله تعالى بغير ما ورد في الكتاب أو السنة، فكل من يصف الله تعالى بأوصاف عقلية - أو يسميه بأسماء وضعية - فهو مخالف للقرآن الكريم، ويصدق عليه: أنه يقول على الله تعالى بما لا يعلم[١].

وقد خالف أهلُ السنة والجماعة جميع الفرق في هذا، لأنهم لا يصفون الله تعالى إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، تعالى الله عمّا يقولون المخالفون علواً كبيراً.

❊ ❊ ❊

(١) لعلّ هذا هو الداعي لإيراد هذه الآية ضمن آيات الصفات، وهو تحريم القول على الله في أسمائه وصفاته بغير علم.

الآيات الدالة على صفة الاستواء

١- فِي سُورةِ الأعْرافِ قوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٢- فِي سُورةِ يُونُس عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٣- فِي سُورةِ الرّعْدِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرّعد: ٢].

٤- فِي سُورةِ طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

٥- فِي سُورةِ الْفُرْقانِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفُرقان: ٥٩].

٦- فِي سُورةِ «ألم السّجْدةِ»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السَّجدَة: ٤].

٧- فِي سُورةِ الْحدِيدِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحَديد: ٤].

الشرح:

هذه الآيات السبع تدل على أن الاستواء على العرش صفة لله تبارك وتعالى، لكننا لا نعرف كيفية هذه الصفة، كما لا نعرف حقيقة ذاته

ولا حقيقة صفاته، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، ولذلك كان المتقدمون من السلف الأولين إذا سئلوا عن هذه الصفة أجابوا بقولهم: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[1].

---

(١) صح عن الإمام مالك، وعن شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وروي عن أم سلمة موقوفاً ومرفوعاً.
رواه اللالكائي «شرح اصول اعتقاد أهل السنة» (٦٦٣) من طريق محمد بن أشرس الأنصاري قال ثنا أبو عمير الحنفي عن قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والاقرار به إيمان والحجود به كفر.
وروى اللالكائي (٦٦٤) عن جعفر بن عبد الله عن مالكٍ، والبيهقيُّ في «الأسماء والصفات» (٨٦٧) عن يحيى بن يحيى، عن مالك بن أنس أنه جاء رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا. فأمر به أن يخرج. والرحضاء العرق.
وروى اللالكائي (٦٦٥) عن ابن عيينة، قال: سئل ربيعة عن قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق. ورواه البيهقي (٨٦٨) أيضًا.
وقال شيخ الإسلام في «شرح حديث النزول» -كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) - قول السائل: كيف ينزل؟ بمنزلة قوله: كيف استوى؟ وقوله: كيف يسمع؟ وكيف يبصر؟ وكيف: يعلم ويقدر؟ وكيف يخلق ويرزق؟ =

. . . .

= قد تقدم الجواب عن مثل هذا السؤال من أئمة الإسلام مثل: مالك بن أنس وشيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن؛ فإنه قد روي من غير وجه أن سائلا سأل مالكًا عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا رجل سوء ثم أمر به فأخرج، ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة ﵂ موقوفًا ومرفوعًا ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه **وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك، في أنا لا نعلم كيفية استوائه، كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة ولا نعلم كيفية ذلك ونعلم معنى الرحمة والغضب والرضا والفرح والضحك ولا نعلم كيفية ذلك**.اهـ

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن علي بن خلف، قال: كنا عند أبي عبد الله ابن الأعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي، فقال له رجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فقال: هو على العرش كما أخبر، قال: يا أبا عبد الله إنما معناه استولى! فقال: اسكت، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضادٌّ. ومن طريق محمد بن أحمد بن النضر الأزدي: سمعت ابن الأعرابي يقول: أرادني أحمد بن أبي دؤاد أن أجد له في لغة العرب ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، بمعنى استولى! فقلت: والله ما أصبتُ هذا. وقال غيره: لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش؛ لأنه غالبٌ على جميع المخلوقات. ونقل محيي السنة البغوي في «تفسيره» عن ابن عباس =

. . . .

= وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع. وقال أبو عبيد والفراء وغيرهما بنحوه وأخرج أبو القاسم اللالكائي في «كتاب السنة» من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحود به كفر. ومن طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سئل كيف استوى على العرش؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، وعلى الله الرسالة وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم. وأخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي أنه سئل عن قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فقال: هو كما وصف نفسه. وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال: كنا عند مالك فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وما أراك إلا صاحب بدعة، أخرجوه. ومن طريق يحيى ابن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة، لكن قال فيه: والإقرار به واجب والسؤال عنه بدعة. وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون، ويروون هذه الأحاديث، ولا يقولون: كيف، قال أبو داود: وهو قولنا، قال البيهقي: وعلى هذا مضى أكابرنا. وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب، من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسر شيئًا =

. . . .

= منها، وقال بقول جهم فقد خرج عمّا كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة؛ لأنه وصف الرب بصفة لا شيء. ومن طريق الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي ومالكا والثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف. وأخرج بن أبي حاتم في «مناقب الشافعي»، عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول: لله أسماءٌ وصفاتٌ لا يسع أحداً ردّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه، فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وأسند البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة قال كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه ومن طريق أبي بكر الضبعي قال مذهب أهل السنة في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قال: بلا كيف والآثار فيه عن السلف كثيرة وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل، وقال الترمذي في الجامع عقب حديث أبي هريرة في النزول: وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه، كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات، وقال في باب فضل الصدقة قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال: كيف كذا، جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف، وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه، وقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد وسمع كسمع. وقال (يعني الترمذي) - في تفسير المائدة - قال الأئمة نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير منهم الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك. وقال ابن عبد البر: أهل السنة =

أما الجهمية والمعتزلة فعلى طريقتهم في إنكار صفات الله ينكرون صفة الاستواء.

وأما الأشاعرة فإنهم يتأولون هذه الصفة، ويقولون: استوى على العرش يعنى استولى على العرش من قولهم: «استوى بشرٌ على العراقِ ...» أي: استولى عليه والحق: هو اعتقاد أهل السنة والجماعة.

= مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيفوا شيئًا منها وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقر بها فهو مشبه فسماهم من أقر بها معطلة...إلخ.
انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٦ط السلفية أو١٣/ ٤١٧ط الريان).

الآيات الدالة على صفات العلو لله تعالى

١- قال الله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥].

٢- قال الله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النِّساء: ١٥٨].

٣- قال الله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فَاطِر: ١٠].

٤- قال الله تعالى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾

٥- قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾

الشرح:

هذه الآيات الخمس تدل على اتصاف الله تبارك وتعالى بصفة العلو وأنه فوق العالم، ولكن ذلك أيضاً بكيفية لا نعلمها، لقصر علمنا عن إدراك هذا، وهذه أيضاً من الصفات التي يثبتها أهل السنة والجماعة وينفيها غيرهم عن الله تبارك وتعالى، بقياسهم علوه تعالى على علونا! كما قاسوا استواءه تعالى على استوائنا، فأنكره بعضهم وأوله بعضهم.

❊ ❊ ❊

الآيات الدالة على صفة المعيِّة

١- قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

٢- قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

٣- قال الله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

٥- قال تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]:

٦- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النّحل: ١٢٨].

٧- قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٨- قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

الشرح:

في هذه الآيات السبع أثبت الله تبارك وتعالى لنفسه صفة (المعية)، وليس معنى المعية أن يكون معنا في المكان الذي نكون فيه، وإنما

المراد به مطلق المصاحبة ولا يلزم من المصاحبة أن يكون معنا في مكانٍ كما يقول الإنسان إن القمر معي، وليس هو معه في مكانه، لأن غيره يرى أنه معه كذلك ويقول: القمر معي، وإنما معنى المعية هنا أنه تعالى يعلم بأمورنا علم من هو معنا ومصاحب لنا، لأن من كان كذلك يكون عالماً بمن معه، وعلمُ الله تعالى علم إحاطة بما خفى عنا[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٢): إن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته. ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا ألبتة؛ مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله ﷺ «**إذ قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه**» ونحو ذلك فإن هذا غلط، وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: «**والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**»، وذلك أن كلمة «مع» في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة؛ من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال؛ فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا، ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك؛ وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقةً وهو فوق عرشه حقيقةً.

=

. . . .

= ثم هذه «المعية» تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [سَبأ: ٢] إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحَديد: ٤]، دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجَادلة: ٧] إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجَادلة: ٧] الآية.

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التّوبَة: ٤٠] كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد.

وكذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النّحل: ١٢٨] وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد.

وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخف؛ أنا معك أو أنا هنا؛ أو أنا حاضر ونحو ذلك. ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه؛ **ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها؛ وربما صار مقتضاها من معناها، فيختلف باختلاف المواضع.**

فلفظ «المعية» قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر؛ فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها - وإن امتاز كل موضع بخاصية - فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب ﷻ مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها... ومثل هذه الألفاظ يسميها =

ومعيته تعالى عامة وخاصة: فالعامة لكل المخلوقات، والخاصة لعبادة الصالحين لأن علمه بأحوالهم من صلاحهم وتقواهم وصبرهم وتخلقهم بأخلاقه يجعلهم مع الله تعالى بالنصر والإحسان والرحمة ولذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النّحل: ١٢٨] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣] ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩]، فإنه يكون بعلمه معهم لينصرهم، وأما غيرهم، فإنه يكون معهم بعلمه لكن لا ينصرهم كما ينصر الصالحين الصابرين الصادقين.

= بعض الناس «مشككة» لتشكك المستمع فيها هل هي من قبيل الأسماء «المتواطئة» أو من قبيل «المشتركة»، في اللفظ فقط، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك وإن كانت نوعًا مختصًا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.اهـ المقصود.

الآيات الدالة على صفة الكلام

١- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النِّساء: ٨٧].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النِّساء: ١٢٢].

٣- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المَائدة: ١١٦].

٤- قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعَام: ١١٥].

٥- قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النِّساء: ١٦٤].

٦- قال الله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرة: ٢٥٣].

٧- قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣]

٨- قال الله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريَم: ٥٢]

٩- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠].

١٠- قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعرَاف: ٢٢].

١١- قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القَصَص: ٦٥].

١٢- قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ

﴿يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

١٣- **قال الله تعالى:** ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

١٤- **قال الله تعالى:** ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾ [الفتح: ١٥].

١٥- **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: ٧٦].

١٦- **قال الله تعالى:** ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧].

١٧- **قال الله تعالى:** ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢].

١٨- **قال الله تعالى:** ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ﴾ [الحشر: ٢١].

١٩- **قال الله تعالى:** ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

٢٠- **قال الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

الشـــرح:

هذه الآيات الكريمات تدل كلها على أن القرآن كلام الله تعالى، وأهل السنة يقولون: إن القرآن كلام الله، ولا يتعرضون لأنه مخلوق أو غير مخلوق(١)، . . . .

---

(١) يعني الصدر الأول من السلف لم يتعرضوا لذلك لعدم الداعي له، بل يقولون كلام الله ويسكتون، ومن المعلوم بالضرورة أن كلام الله غير مخلوق، ثم لما ظهرت بدعة القول بخلق القرآن صرحوا بأنه غير مخلوق.
وقد ذكر شيخ الإسلام في «حكاية مناظرة الواسطية»: ولما جاءت مسألة القرآن: (ومن الإيمان به الإيمان بأن القرآن كلام الله، غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود) نازع بعضهم في كونه (منه بدأ وإليه يعود) وطلبوا تفسير ذلك. فقلت: أما هذا القول: فهو المأثور الثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال: (أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود). وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبي والصحابة والتابعين كالحافظ أبي الفضل بن ناصر والحافظ أبي عبد الله المقدسي، وأما معناه: فإن قولهم: منه بدأ، أي هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقول الجهمية: إنه خُلق في الهوى أو غيره، أو بدأ من عند غيره. وأما إليه يعود: فإنه يُسرىٰ به في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف، ووافق على ذلك غالب الحاضرين، وسكت المنازعون. وخاطبت بعضهم في غير هذا المجلس بأن أريته العقيدة التي جمعها الإمام القادري، التي فيها: أن القرآن كلام الله =

. . . .

= خرج منه، فتوقف في هذا اللفظ. فقلت: هكذا قال النبي ﷺ: «**ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه**» يعني القرآن وقال خباب بن الأرت: يا هنتاه! تقرب إلى الله بما استطعت فلن يتقرب إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه. وقال أبو بكر الصديق - لما قرأ قرآن مسيلمة الكذاب - إن هذا الكلام لم يخرج من إل - يعني رب - وجاء فيها: ومن الإيمان به: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن - الذي أنزله الله على محمد - هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديًا فتمعض بعضهم من إثبات كونه كلام الله حقيقة بعد تسليمه أن الله تعالى تكلم به حقيقة، ثم إنه سلّم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه، ولما بين له أن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم، وشعر الشعراء المضاف إليهم: هو كلامهم حقيقة، فلا يكون نسبة القرآن إلى الله بأقل من ذلك. فوافق الجماعة كلهم على ما ذكر في مسألة القرآن، وأن الله تكلم حقيقة، وأن القرآن كلام الله حقيقة لا كلام غيره. ولما ذكر فيها: أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا: استحسنوا هذا الكلام وعظموه، وأخذ أكبر الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام، كابن الوكيل وغيره، وأظهر الفرح بهذا التلخيص، وقال: إنك قد أزلت عنا هذه الشبهة وشفيت الصدور ويذكر أشياء من هذا النمط ...إلخ

انظر «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٤). =

وإنما جدت هذه الفتنة وهى هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق، بعد أن ترجمت الفلسفة اليونانية في العصر العباسي، وكانت على أشدها في عصر المأمون(١).

= وفيها أيضاً: وذكر الشيخ نصر المقدسي في «كتاب الحجة» عن ابن أبي حاتم قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازًا وعراقًا ومصر وشامًا ويمنًا؛ فكان من مذاهبهم: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله منزل؛ غير مخلوق بجميع جهاته. اهـ

انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٢٢).

وقال في «الوصية الكبرى» كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٠٢): والتصديق بما ثبت عن النبي ﷺ أن الله يتكلم بصوت؛ وينادي آدم عليه السلام بصوت؛ إلى أمثال ذلك من الأحاديث. فهذه الجملة كان عليها سلف الأمة وأئمة السنة. وقال أئمة السنة: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق. اهـ

(١) قال شيخ الإسلام في «الفتوى الحموية»: ثم أصل هذه المقالة - مقالة التعطيل للصفات - إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين؛ فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان؛ وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد ابن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم: اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ.

وكان الجعد بن درهم هذا - فيما قيل - من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة - بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين، الذين =

. . . .

= صنف بعض المتأخرين في سحرهم - ونمرود هو ملك الصابئة الكلدانيين المشركين ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل ﷺ فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة. وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته وأخذها الجهم أيضا - فيما ذكره الإمام أحمد وغيره - لما ناظر (السمنية) بعض فلاسفة الهند - وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات - فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين. والفلاسفةُ الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين. ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية: زاد البلاء؛ مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم. ولما كان في حدود المائة الثالثة: انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية؛ بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته، وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم: كثير في ذمهم وتضليلهم.

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس - مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس» ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي، وعبد الجبار بن أحمد الهمداني، وأبي الحسين البصري وأبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم - هي بعينها تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه؛ وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطالِه أيضًا، ولهم كلام حسن =

وهذه الآيات العشرون تتردد بين الدلالة على أن القرآن إما حديث، وإما قول، وإما كلمة، وإما كلام، وإما نداء، وإما قصص، وإما أنه أنزل من عند الله، وإما فيه تبديل بعض ببعض، وإما فيه وصف بأنه لسان عربى مبين، وهذه الأوصاف كلها تدل على أنه كلام الله تعالى، فإن هذه الأوصاف أوصاف للكلام، كما تدل على أن هذا الكلام ألفاظ أنزلت من عند الله ثم تقرأ وتتلى، وعلى هذا كل قول للفرق المخالفة فهو مردود على أصحابه[١].

= في أشياء. فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات بشر المريسي. ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري صنف كتابا سماه: «رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد» حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته وجهة غيره ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي: علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم. ثم إذا رأى الأئمة - أئمة الهدى - قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي، تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة إلا بالله.اهـ

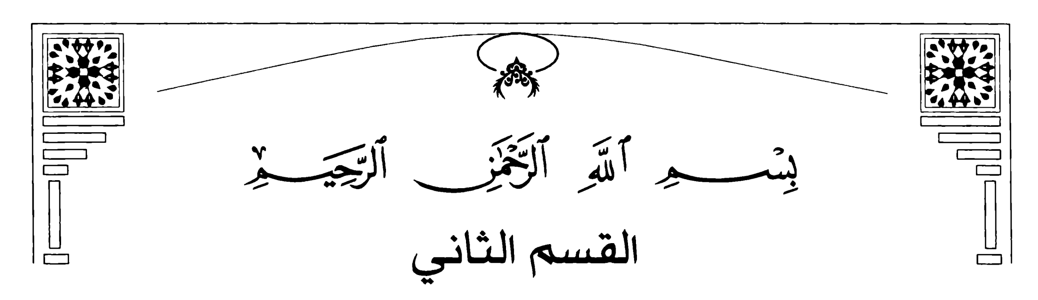
(١) سيأتي إن شاء الله كلام شيخ الإسلام في هذه الرسالة، حيث قال: «ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود؛ وأن الله تعالى تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على =

قال الشيخ ابن تيمية : «**وهذا الْبابُ فِي كِتابِ اللّهِ تعالى كثِيرٌ منْ تدبّر الْقُرْآن طالِبًا لِلْهُدى مِنْهُ تبيّن لهُ طرِيقُ الْحقِّ**» .

الشرح:

يبين الشيخ ابن تيمية في هذه الفقرة ، أن من يقرأ القرآن متدبراً له ، مع طلب الهداية ، فإنه يصل إلى الحق الذي لا مرية فيه ، فإن الحق فيه واضح ، وإنما الضلال يأتى من اتباع الهوى ومن التأويلات التى تخرج المعنى عن حقيقته إلى معنى باطل .

= محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره؛ ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف : لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا. وهو كلام الله ؛ حروفه ومعانيه ؛ ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف».



القسم الثاني

العلاقة بين القرآن والسنة

قال الشيخُ: (فالسُّنّةُ تُفسِّرُ الْقُرْآنَ وتُبيِّنُهُ، وتدُلُّ عليْهِ وتُعبِّرُ عنْهُ؛ وما وصف الرّسُولُ ﷺ بِهِ ربّهُ ﷻ مِنْ الْأحادِيثِ الصِّحاحِ الّتِي تلقّاها أهْلُ الْمعْرِفةِ بِالْقبُولِ وجب الْإِيمانُ بِها كذلِك).

الشـــرح:

القرآن الكريم بيان كلى يرسم أصول الأشياء، والسنة تبينه وتفسره، وتدل على ما فيه، وتعبر عمّا أُجمِل فيه ببيان مفصّل(١).

وكل ما وصف به الرسول ﷺ ربّه ﷻ من الأحاديث الصحيحة، التى تلقاها أهل العلم والمعرفة بالقبول، حيث ثبت عن رسول الله ﷺ، فإنه يجب الإيمان بها، والتصديق بما ورد فيها من صفات الله ﷻ؛ لإن الرسول ﷺ لا ينطق إلا بما علمه ربه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النّجم: ٣].

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الفرقان بين الحق والباطل» كما في «الفتاوى» (١٣/ ٢٩): ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلّا بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول ﷺ تفسرها، فإن سنة الرسول ﷺ تبين القرآن وتدل عليه، وتعبّر عنه. اهـ.

إثبات صفة (النزول) لله تعالى من السنة

قال الشيخُ: (فمن ذلك مِثْلُ قوْلِهِ ﷺ: «ينْزِلُ ربُّنا إلى السّماءِ الدُّنْيا كُلّ ليْلةٍ حِين يبْقى ثُلُثُ اللّيْلِ الْآخِرِ فيقُولُ: منْ يدْعُونِي فأسْتجِيبَ لهُ؟ منْ يسْألُنِي فأُعْطِيَهُ؟ منْ يسْتغْفِرُنِي فأغْفِرَ لهُ»[(١)].

الشـــرح:

هذا الحديث فيه إثبات النزول لله - تبارك وتعالى - إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير، ولكننا لا نعرف كيفية نزوله تعالى، لأن نزوله ليس كنزولنا، كما أنّ ذاته تعالى ليست كذواتنا، ولا صفاته تبارك كصفاتنا وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، ومن أنكر نزوله تعالى، أو قاس نزوله على نزولنا المستلزم ما لا يليق به تعالى، من خلو العرش عنه، ومن الانتقال منه إلى السماء الدنيا فهو مخطئ فإن كيفية نزوله تعالى لا يعلمها إلا هو وهذا هو المذهب الحق[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة، ولمسلم (٧٥٨) من حديث أبي سعيد نحوه.

(٢) قال شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٢٨٨): مذهب السلف والأئمة أنه مع نزوله إلى سماء الدنيا لا يزال فوق العرش لا يكون تحت المخلوقات ولا تكون المخلوقات محيطة به قط بل هو العلي الأعلى: العلي في دنوه القريب في علوه ولهذا ذكر غير واحد إجماع السلف على أن =

. . . .

= الله ليس في جوف السماوات ولكن طائفة من الناس قد يقولون: إنه ينزل ويكون العرش فوقه ويقولون: إنه في جوف السماء وإنه قد تحيط به المخلوقات وتكون أكبر منه! وهؤلاء ضلال جهال مخالفون لصريح المعقول وصحيح المنقول كما أن النفاة الذين يقولون: ليس داخل العالم ولا خارجه جهال ضلال مخالفون لصريح المعقول وصحيح المنقول فالحلولية والمعطلة متقابلان.اهـ

وقال في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٢٤): القول في صفاته كالقول في ذاته والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها. فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه هو كما يناسب ذاته ويليق بها كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته؛ ولهذا قال بعضهم: إذا قال لك السائل: كيف ينزل أو كيف استوى أو كيف يعلم أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته؛ فقل له: وأنا لا أعلم كيفية صفاته فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف. فهذا إذا استعملت هذه الأسماء والصفات على وجه التخصيص والتعيين - وهذا هو الوارد في الكتاب والسنة...

إلى أن قال: وأيضا فيقال له: وصف نفسه بالنزول كوصفه في القرآن بأنه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وبأنه استوى إلى السماء وهي دخان وبأنه نادى موسى وناجاه في البقعة المباركة من الشجرة وبالمجيء والإتيان في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفَجر: ٢٢]. =

. . . .

= وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعَام: ١٥٨] والأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ في إتيان الرب يوم القيامة كثيرة وكذلك إتيانه لأهل الجنة يوم الجمعة وهذا مما احتج به السلف على من ينكر الحديث فبينوا له أن القرآن يصدق معنى هذا الحديث كما احتج به إسحاق بن راهويه على بعض الجهمية بحضرة الأمير عبد الله بن طاهر: أمير خراسان. قال أبو عبد الله الرباطي: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق بن راهويه فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ فقال: نعم فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم قال: كيف ينزل؟ قال أثبته فوق حتى أصف لك النزول فقال له الرجل: أثبته فوق فقال له إسحاق: قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفَجر: ٢٢] فقال الأمير عبد الله ابن طاهر: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة فقال إسحاق: أعز الله الأمير ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم.

ثم بعد هذا إذا نزل هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟ هذه مسألة أخرى تكلم فيها أهل الإثبات. فمنهم من قال: لا يخلو منه العرش ونقل ذلك عن الإمام أحمد ابن حنبل في رسالته إلى مسدد وعن إسحاق بن راهويه وحماد بن زيد وعثمان ابن سعيد الدارمي وغيرهم. ومنهم من أنكر ذلك وطعن في هذه الرسالة وقال: راويها عن أحمد بن حنبل مجهول لا يعرف. والقول الأول معروف عند الأئمة كحماد بن زيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما قال الخلال في «كتاب السنة»: حدثنا جعفر بن محمد الفريابي ثنا أحمد بن محمد المقدمي ثنا سليمان بن حرب قال: سأل بشر بن السري حماد بن زيد فقال: يا أبا إسماعيل الحديث الذي جاء: «**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا**» يتحول =

. . . .

= من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء. ورواه ابن بطة في كتاب «الإبانة» فقال: حدثني أبو القاسم حفص بن عمر الأردبيلي حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا سليمان بن حرب قال سأل بشر بن السري حماد بن زيد فقال: يا أبا إسماعيل الحديث الذي جاء «**ينزل الله إلى سماء الدنيا**» أيتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء. وقال ابن بطة: وحدثنا أبو بكر النجاد ثنا أحمد بن علي الأبار ثنا علي بن خشرم قال: قال إسحاق ابن راهويه: دخلت على عبد الله بن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث التي تروونها قلت: أي شيء أصلح الله الأمير؟ قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا قلت: نعم رواها الثقات الذين يروون الأحكام. قال: أينزل ويدع عرشه؟ قال: فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه. قال: نعم. قلت: ولم تتكلم في هذا، وقد رواها اللكائي أيضا بإسناد منقطع واللفظ مخالف لهذا. وهذا الإسناد أصح وهذه والتي قبلها حكايتان صحيحتان رواتهما أئمة ثقات. فحماد بن زيد يقول: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء، فأثبت قربه إلى خلقه مع كونه فوق عرشه وعبد الله ابن طاهر - وهو من خيار من ولي الأمر بخراسان كان يعرف أن الله فوق العرش، وأشكل عليه أنه ينزل لتوهمه أن ذلك يقتضي أن يخلو منه العرش، فأقره الإمام إسحاق على أنه فوق العرش وقال له: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ فقال له الأمير: نعم فقال له إسحاق: لم تتكلم في هذا؟ يقول: فإذا كان قادرًا على ذلك لم يلزم من نزوله خلو العرش منه فلا يجوز أن يعترض على النزول بأنه يلزم منه خلو العرش وكان هذا أهون من اعتراض من يقول: ليس فوق العرش شيء فينكر هذا وهذا.اهـ المقصود.

صفة الفرح من السنة

قال الشيخ: (وقوْلُهُ ﷺ: «للهُ أشدُّ فرحًا بِتوْبةِ عبْدِهِ مِنْ أحدِكُمْ بِراحِلتِهِ»[١].

الشـــرح:

هذا الحديث يثبت للهِ تعالى صفة (الفرح) بمعنىً يليق به تبارك وتعالى لا بالمعنى الذي نتصف به، الذي يستلزم انفعال النفس وانبساطها، وما قلناه في كل صفات الله تعالى، من أنه لا يعلم بكيفية صفاته إلا هو تعالى نقوله هنا، وهو أن صفة الفرح التى اتصف بها تعالى لا يعلم كيفيتها إلا هو، وغير أهل السنة والجماعة ينفون أيضاً هذه الصفة لقياسها على صفة المخلوقين[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٤، ٢٧٤٧) عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «للهُ أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم إذا استيقظ على بعيره قد أضله بأرض فلاة».
قال شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٩٨): وهذا الحديث مستفيض عن النبي ﷺ في الصحيحين من غير وجه من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وأنس وغيرهم. اهـ

(٢) قال شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٢٤): ثبت في الصحيح من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده من رجل =

❁ ❁ ❁

= **أضل راحلته بأرض دَوِيّةٍ مهلكة عليها طعامه وشرابه، فطلبها فلم يجدها، فقال تحت شجرة ينتظر الموت، فاستيقظ فإذا هو بدابته، عليها طعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته»** والفرح إنما يكون بحصول المحبوب، والمذنب - كالعبد الآبق من مولاه الفار منه - فإذا تاب فهو كالعائد إلى مولاه وإلى طاعته، وهذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ يبين من محبة الله وفرحه بتوبة العبد، ومن كراهته لمعاصيه، ما يبين أن ذلك أعظم من التمثيل بالعبد الآبق، فإن الإنسان إذا فقد الدابة التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة، فإنه يحصل عنده ما الله به عليم من التأذي من جهة فقد الطعام والشراب والمركب، وكون الأرض مفازة لا يمكن الخلاص منها، وإذا طلبها فلم يجدها يئس، واطمأن إلى الموت، وإذا استيقظ فوجدها كان عنده من الفرح ما لا يمكن التعبير عنه، بوجود ما يحبه ويرضاه بعد الفقد المنافي لذلك، وهذا يبين من محبة الله للتوبة المتضمنة للإيمان والعمل الصالح ومن كراهته لخلاف ذلك ما يرد على منكر الفَرْقِ، من الجهمية والقدرية فإن الطائفتين تجعل جميع الأشياء بالنسبة إليه سواء...إلخ

صفة الضحك من السنة

١ - وقَوْلُهُ ﷺ: «يضْحكُ اللّهُ إلى رجُليْنِ يقْتُلُ أحدُهُما الْآخر كِلاهُما يدْخُلُ الْجنّة»[(١)].

الشـــرح:

معنى هذا الحديث أن رجلاً كافراً يقتل رجلاً مؤمناً، ثم أسلم القاتل فإنهما يدخلان الجنة، ثم إن الله تبارك وتعالى يضحك لهذين الرجلين اللذين قتل أحدهما الآخر.

وهذا الحديث يثبت صفة (الضحك) للهِ تعالى بكيفية لا يعلمها إلا هو، ولا يستلزم ضحكه تعالى ما يستلزمه ضحكنا من انفعالاتنا وانبساط أساريرنا[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة قال يقاتل هذا في سبيل الله فيستشهد ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل الله فيستشهد»**.

(٢) قال شيخ الإسلام - في «التسعينية» (٣/ ٩١٥) وذيل «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٦١٤ ط عطا) -: أحاديث الضحك متواترة عن النبي وقد رواها الأئمة، وروى مالك في الموطإ منها حديثه عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما** =

٢- وقوْلُهُ ﷺ: «عجِب ربُّنا مِنْ قُنُوطِ عِبادِهِ وقُرْبِ غِيرِهِ»[١]، ينْظُرُ

= **الآخر كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل في سبيل الله فيستشهد»** وقد أخرجه أهل الصحاح من حديث مالك وغير مالك، ورواه أيضا سفيان الثوري الإمام عن أبي الزناد وحدث به. وقد روى صاحب الصحيحين منها قطعة مثل هذا الحديث ومثل حديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد الطويل المشهور وفيه: «**فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله منه قال له ادخل الجنة**» ورواه أعلم التابعين بإجماع المسلمين سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وغير سعيد أيضا، ورواه عنه الزهري وعنه أصحابه.اهـ

وقال في «الرسالة الأكملية» كما في مجموع الفتاوى (٦/ ١٢١): وقول القائل: إن الضحك خفة روح! ليس بصحيح؛ وإن كان ذلك قد يقارنه. ثم قول القائل: خفة الروح، إن أراد به وصفًا مذمومًا فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال وإذا قدر حيان أحدهما يُضحك مما يضحك منه؛ والآخر لا يضحك قط، كان الأول أكمل من الثاني. ولهذا قال النبي ﷺ: «**ينظر إليكم الرب قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب**» فقال له أبو رزين العقيلي: يا رسول الله أو يضحك الرب؟ قال: «**نعم**» قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً». فجعل الأعرابي العاقل - بصحة فطرته - ضحكه دليلا على إحسانه وإنعامه؛ فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك. اهـ

(١) قال شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ٧٤): «قرب غيره» أي: قرب تغيره من الجدب إلى الخصب.اهـ

إلَيْكُمْ أزلين قنطين فيظلُّ يضْحكُ يعْلمُ أنّ فرجكُمْ قرِيبٌ»[١] .

الشــــرح:

معنى هذا الحديث أن الله يعجب من قنوطنا ويأسنا ، مع قرب تغير أحوالنا وأنه تعالى ينظر إلينا ونحن في ضيق وقنوط ويأس وحالنا آيل إلى تغير أحسن ، لهذا يضحك لأنه يعلم أن فرجنا قريب ، ونحن لا نعلم .

وفى هذا الحديث أيضاً إثبات صفة (الضحك) وفيه أيضاً إثبات صفة (التعجب) بكيفية لا يعلمها إلا هو وليست كتعجبنا الذي يستلزم انفعالات نفسية تتأثر بها نفوسنا انبساطاً أو انقباضاً[٢] .

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١١) والطيالسي في «مسنده» (١٠٩٢) وابن ماجة في (١٨١) والطبراني في «معجمه الكبير» (١٩/ ٢٠٧) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٥٤) من حديث أبي رزين رضي الله عنه.

(٢) قال شيخ الإسلام في «الرسالة الأكملية» كما في «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٢٣) : وأما قوله : التعجب استعظام للمتعجب منه! فيقال : نعم. وقد يكون مقرونًا بجهل بسبب التعجب وقد يكون لما خرج عن نظائره ، والله تعالى بكل شيء عليم فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه ؛ بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيما له. والله تعالى يُعْظِم ما هو عظيم ؛ إما لعظمة سببه أو لعظمته. فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم. ووصف بعض الشر بأنه عظيم فقال تعالى : ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩] وقال : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر : ٨٧] =

❀ ❀ ❀

= وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: ١٦] وقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمَان: ١٣]، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ عجبتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصَّافات: ١٢] على قراءة الضم، فهنا هو عَجِب من كفرهم مع وضوح الأدلة. وقال النبي ﷺ - للذي آثر هو وامرأته ضيفهما -: «**لقد عَجِبَ الله**» وفي لفظ في الصحيح: «**لقد ضحك الله الليلة من صنعكما البارحة**». وقال: «**إن الرب ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يقول علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا**» وقال: «**عجب ربك من شاب ليست له صبوة**» وقال: «**عجب ربك من راعي غنم على رأس شظية يؤذن ويقيم فيقول الله انظروا إلى عبدي**»، أو كما قال ﷺ، ونحو ذلك.اهـ

صفة «قدم» الرحمن من السنة

قوله ﷺ: «لا تزالُ جهنّمُ يُلْقى فِيها وهِي تقُولُ: هلْ مِنْ مزِيدٍ؟ حتّى يضع ربُّ الْعِزّةِ فِيها رِجْلهُ - وفِي رِوايةٍ: عليْها قدمهُ - فينْزوِي بعْضُها إلى بعْضٍ وتقُولُ: قطُّ قطّ»[١].

الشـــرح:

معنى هذا الحديث أن جهنم كلما ألقى فيها فوج من أهلها تطلب المزيد قائلة: هل من مزيد؟ وتبقى هكذا حتى يضع الله تبارك وتعالى فيها رجله، فتنزوى بعد هذا وينضم بعضها إلى بعض ثم تقول: قط قط أى: حسْبي حسْبي، فلا تطلب المزيد بعد ذلك.

وفى الحديث إثبات صفة (القدم) لله تعالى بما يليق به وبكيفية لا يعلمها [إلا هو][٢].

ويكذِّب بهذه الصفة غيرُ أهل السنة والجماعة الذين يثبتون هذه الصفة لله كما وردت في الحديث[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨).

(٢) سقطت من المطبوعة، ويدل عليها سياق الكلام ونظائرُها من قبل ومن بعد.

(٣) قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في «نقضه على المريسي» (١/ ٣٩٤): ثم أنشأت أيها المريسي تطعن في حديث الرسول بعدما صدقت به وعرفت أنه =

❊ ❊ ❊

= قد قاله ثم فسرته تفسيرًا مخالفًا لتفاسير أهل الصلاة وهو قوله «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتزوى فتقول قط قط» وادعيت أيها المريسي أن الحديث حق، ومعناه عندك أنها لا تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه فيها، فقلت: معنى قدمه أهل الشقوة الذين سبق لهم في علمه أنهم صائرون إليها، كما قال ابن عباس بباطل زعمك في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] قال: ما قدموا من أعمالهم، فقد روينا أيها المريسي عن الثقات الأئمة المشهورين عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير القدم خلاف ما ادعيت من تأويلك هذا، حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ويحيى الحماني عن وكيع عن سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدره إلا الله ﷻ. فهذا الذي عرفناه عن ابن عباس صحيحًا مشهوراً، فما بالك تحيد عن المشهور المنصوص من قوله وتتعلق بالمغمور منه، الملتبس، الذي يحتمل المعاني، وكيف تدعي أنها لا تمتلئ حتى يلقي الله فيها الأشقياء الذين هم قدم الجبار عندك، فتمتلئ بهم في دعواك وهل استزادت أيها التائه إلا بعد مصير الأشقياء إليها، وإلقاء الله إياهم فيها، فاستزادت بعد ذلك أفيلقيهم فيها ثانية وقد ألقاهم فيها قبل، فلم تمتلئ؟ كأنه في دعواك حبس عنها الأشقياء وألقى فيها السعداء فلما استزادت ألقى فيها الأشقياء بعد حتى ملأها! لو ادعى هذا من لم يسمع حرفا من القرآن ما زاد.اهـ

إثبات صفة الكلام لله من السنة

١- قوْلُهُ ﷺ: «يقُولُ اللّهُ تعالى: يا آدم فيقُولُ: لبّيْك وسعديك. فيُنادِي بِصوْتٍ: إنّ اللّه يأْمُرُك أنْ تُخْرِج مِنْ ذُرِّيّتِك بعْثًا إلى النّارِ»[١].

٢- وقوله: «ما مِنْكُمْ مِنْ أحدٍ إلّا سيُكلِّمُهُ ربُّهُ ليْس بيْنهُ وبيْنهُ تُرْجُمانٌ»[٢].

الشــــرح:

معنى هذا الحديث أن الله تبارك وتعالى ينادى آدم قائلاً له -: بعد أن يجيبه آدم بقوله: «لبيك»، أي إجابة بعد إجابة، «وسعديك» أي العزة والسعد لك يا الله، وهذا القول من الله بصوت -: يا آدم إنى آمرك أن تخرج من أولادك وذريتك «بعثاً» أي جماعة للنار، إذاً لابد أن يدخل النار جماعة من ذرية آدم، والذي في هذا الحديث إثبات الكلام لله تعالى بصوت، وهذا ثابت له تعالى بكيفية لا يعلمها إلا هو ككل صفاته وكذلك ذاته.

وأما الحديث الثانى فإن معناه أن الله تبارك وتعالى سيكلم كل واحد

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٨٣) ومسلم (٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٩) ومسلم (١٠١٦).

من خلقه، وذلك وقت الحساب ولا يكون هناك واسطة بين العبد وربه، يترجم بينهما، فالله سيتولى حساب خلقه بنفسه، لا بواسطة أحد، وهذا الحديث يثبت صفة الكلام لله تعالى بكيفية لا يعلمها إلا هو، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ونفاها غيرهم[١].

---

(١) قال شيخ الإسلام في «التسعينية» كما في «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٤٦٦): الصواب الذي عليه سلف الأمة كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد وغيره وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم اتباع النصوص الثابتة وإجماع سلف الأمة أن الله تعالى متكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد لا صوت القارئ ولا غيره، وأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق ولا معانيه تشبه معانيه ولا حروفه تشبه حروفه، ولا صوت الرب يشبه صوت العبد، فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته.اهـ
وجاء في «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية (٣/ ١١٣ ط المنار): و«مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٦٣) وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ١٧٣): ذكر ما لخصه الإمام شيخ الإسلام في مسألة الكلام: هذه مسألة كلام الله تعالى الناس فيها مضطربون، قد بلغوا فيها إلى سبعة أقوال:
أحدها قول من يقول: إن كلام الله ما يفيض على النفوس من المعاني التي تفيض، إما من العقل الفعال عند بعضهم، وإما من غيره، وهذا قول الصائبة والمتفلسفة الموافقين لهم كابن سينا وأمثاله، ومن دخل مع هؤلاء من متصوفة الفلاسفة ومتكلميهم، كأصحاب وحدة الوجود. =

. . . .

= **وثانيها**: قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون: كلام الله مخلوق يخلقه في بعض الأجسام، فمن ذلك الجسم ابتدأ لا من الله. ولا يقوم عندهم بالله كلام ولا إرادة.

وثالثها قول من يقول: بأنه معنى واحد قديم قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان انجيلًا. وأنه معنى واحد في الأزل وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

ورابعها قول من يقول: إنه حروف وأصوات قديمة أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث، ذكره الأشعري في «المقالات» عن طائفة. وهو الذي يذكر عن السالمية ونحوهم.

وخامسها قول من يقول: إنه حروف وأصوات، لكن تكلم بعد أن لم يكن متكلماً، وكلامه حادث في ذاته، كما أن فعله حادث في ذاته، بعد أن لم يكن متكلماً ولا فاعلاً، وهذا قول الكَرامية وغيرهم، وهو قول هشام بن الحكم وأمثاله من الشيعة.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره. وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات.

وتاسعها قول من يقول: إنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء بكلام يقوم به، وهو متكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديماً، وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة. =

❀ ❀ ❀

= وبالجملة أهل السنة والجماعة - أهل الحديث ومن انتسب إلى السنة والجماعة كالكلابية والكرامية والأشعرية والسالمية - يقولون أن الكلام غير مخلوق، وهذا هو المتواتر عن السلف والأئمة من أهل البيت وغير أهل البيت.

الاستواء والعلو من السنة

١- (وقوْلُهُ ﷺ فِي رُقْيةِ الْمرِيضِ: «ربُّنا اللّهُ الّذِي فِي السّماءِ تقدّس اسْمُك[١] أمْرُك فِي السّماءِ والْأرْضِ كما رحْمتُك فِي السّماءِ اجْعلْ رحْمتك فِي الْأرْضِ. اغْفِرْ لنا حوْبنا[٢] وخطايانا؛ أنْت ربُّ الطّيِّبِين أنْزِلْ رحْمةً مِنْ رحْمتِك وشِفاءً مِنْ شِفائِك على هذا الْوجعِ؛ فيبْرأُ»[٣].

الشـــرح:

معنى هذا الحديث: هو أن النبي ﷺ ينادى ربه بأنه الذي في السماء، «تقدس اسمك»: أى تطهر عن كل ما لا يليق به، وأن «أمرك تعالى في السماء وفى الأرض»، لأن كل شيء بقدرتك وإرادتك وعلمك، وأنك يا الله رحيم وندعوك أن تجعل رحمتك في الأرض، كما جعلتها في السماء، ثم يسأل الرسول ﷺ ربه أن يغفر لنا آثامنا وخطايانا لأنه رب الطيبين الصالحين، ثم يسأله أن ينزل رحمة من رحماته وشفاء من شفائه

---

(١) تقدس: التقديس: التطهير، تقدس اسمك، أي تطهر وتنزه.

(٢) حوبنا: الحوب بضم الحاء: الإثم، وبالفتح: مثله، وقيل: إن الضم لغة الحجاز والفتح لغة تميم.

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٩٥٧) وأبو داود (٣٨٩٢) والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٧٤) والحاكم (١٢٧٢) قال شيخ الإسلام: حديث حسن، رواه أبو داود وغيره.اهـ

على المريض حتى يذهب مرضه، ويخبر النبي ﷺ أنه إذا قيل هذا الحديث على مريض فإنه يبرأ.

وهذا الحديث يثبت صفة (العلو) لله تعالى بكيفية تليق به تعالى لا يعلم كيفيتها إلا هو، ونفى هذه الصفة غير أهل السنة والجماعة.

❀ ❀ ❀

٢- وقوله ﷺ: «ألا تأْمنُونِي وأنا أمِينُ منْ فِي السّماء»[١].

٣- وقوله: «والْعرْشُ فوْق الْماءِ واللّهُ فوْق الْعرْشِ وهُو يعْلمُ ما أنْتُمْ عليْه»[٢].

٤- وقوْلُهُ ﷺ لِلْجارِيةِ: «أيْن اللهُ؟ قالتْ: فِي السّماءِ. قال: «منْ أنا» قالتْ أنْت رسُولُ اللّهِ. قال: «أعْتِقْها فإِنّها مُؤْمِنةٌ»[٣].

الشـــرح:

معنى الحديث الأول، أنه يجب أن نأمن الرسول ﷺ؛ لأنه أمين الله الذي في السماء.

وفيه إثبات صفة العلو لله تعالى، بكيفية تليق به، ولا يعلمها إلا هو، مع أنه تعالى فوق عرشه فإنه يعلم ما نحن عليه.

وفى هذا الحديث الثاني، إثبات صفة الاستواء له، استواءً يليق به تعالى لا يعلمه إلا هو[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣) وقال شيخ الإسلام المصنف: حديث حسن رواه أبو داود وغيره. اهـ

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٤) يعني لا يعلم كيفية الاستواء إلا هو ﷻ، أما معنى الاستواء في لغة العرب التي خوطبوا بها فقد ذكرها أهل السنة في تفسير آيات الاستواء، وهي أربعة معانٍ، بمعنى «علا»، وبمعنى «ارتفع»، وبمعنى «صعِد»، وبمعنى =

. . . .

= «استقر» وقد ذكرها ابن القيم، رحمه الله تعالى، في النونية «الكافية الشافية»، وذكر الإجماع على ذلك عن علماء أهل السنة، الذين هم القدوة وبهم الأسوة، فقال رحمه الله تعالى:

هذا وسادس عشرها إجماع أهـ ... ـل العلم أعني حجة الأزمان

من كل صاحب سنة شهدت له ... أهلُ الحديث وعسكر القرآن

لا عبرة بمخالف لهم ولو ... كانوا عَدِيد الشاء والبعران

إن الذي فوق السماوات العلى ... والعرشِ وهو مباين الأكوان

هو ربنا سبحانه وبحمده ... حقًا على العرش استوى الرحمن

فاسمع لذا أقوالهم واشهد عليـ ... ـهم بعدها بالكفر والإيمان

واقرأ تفاسير الأئمة ذاكري الـ ... إسناد فهي هداية الحيران

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان

وهي «استقر» وقد «علا» وكذلك «ار ... تفع» الذي ما فيه من نكران

وكذاك قد «صعِد» الذي هو رابع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره ... أدرى من الجهمي بالقرآن

والأشعري يقول تفسير استوى ... بحقيقة استولى من البهتان

هو قول أهل الاعتزال وقول أتـ ... ـباعِ لجهم وهو ذو بطلان

في كتبه قد قال ذا من «موجز» ... و«إبانة» و«مقالة» ببيان =

. . . .

= أي: أن الأشعري ذكر إبطال تأويل الإستواء بالاستيلاء في كثير من كتبه «كالموجز» و«الإبانة» و«المقالات» قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة في أصول الديانة» له: في باب الاستواء، فإن قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل نقول له: إن الله مستو على عرشه كما قال ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النِّساء: ١٥٨]، وقال حكاية عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ كذّب موسى! في قوله إن الله فوق السموات، وقال ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [المُلك: ١٦] فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش، فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء، وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦] يعني جميع السموات وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أنه ذكر السموات فقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نُوح: ١٦]، ولم يرد أنه يملأهن جميعًا، قال ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش. وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ استولى وملك وقهر، وإنه تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة فلو كان كما قالوا: لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة؛ لأنه قادر على كل شيء والأرض فلله قادر عليها وعلى الحشوش وكذا لو كان مستويًا على بمعنى الاستيلاء لجاز أن يكون مستويا على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الأخلية والحشوش، فبطل أن =

ومعنى الحديث الثالث، هو اختبار جارية خرساء لعتقها، فسألها النبي ﷺ «أين الله»؟ فأجابت بأنه تعالى في السماء، ومعناه: فوقها وليس في داخلها، لأنه تعالى ليس في مكان[1]، ثم سألها قائلاً: من أنا فأجابت بأنه رسول الله لهذا أمر النبي ﷺ بعتقها، وأخبر أنها مؤمنة، فهذا دليل على أن من يؤمن بأن الله تعالى فوق السماء فهو مؤمن.

وفى هذا الحديث إثبات صفة (العلو) لله تعالى بكيفية لا يعلمها إلا هو تعالى[2].

= يكون الاستواء الاستيلاء وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك. اهـ. و«كتاب الإبانة» من أشهر تصانيف أبي الحسن شهرة والحافظ ابن عساكر اعتمد عليه ونسخه بخطة الإمام محي الدين النووي كذا ذكره الحافظ الذهبي.

(١) هذا النفي فيه نظر؛ لأن لفظ المكان مما لم يرد فيه نفي ولا إثبات، ولا يتضمن مدحاً مطلقاً ولا ذماً مطلقاً، والمسلك الحسن فيه، أن يسكت عن نفيه وإثباته ويقتصر على ما ورد من الكتاب والسنة من العلو والفوقية، فمن قال ليس لله مكان فقوله هذا باطل، لأن لفظ المكان لا يُطْلَقُ ولا يُنْفى؛ لأنه ما جاء في الكتاب والسنة، وإنما نقول الله ﷻ مستوٍ على عرشه كما وصف به نفسه. وهذا كما قالوا في الجهة والجسم كما سيأتي إن شاء الله صـ ١٥١.

(٢) قال شيخ الإسلام في «الفتوى الحموية» كما في مجموع الفتاوى (٥/ ١٢): فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة: مملوء بما هو إما نص =

. . . .

= وإما ظاهر في أن الله ﷻ هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء وهو على كل شيء وإنه فوق العرش وأنه فوق السماء.. مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة. وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه؛ وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار: فيخرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم. وفي الصحيح في حديث الخوارج: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء**»... وقوله في حديث الأوعال: «**والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه**» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما... وقوله في الحديث الصحيح: «**إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي**» وقوله في حديث قبض الروح «**حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله تعالى**»، وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده للنبي ﷺ وأقره عليه:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال: «**آمن شعره وكفر قلبه**» حيث قال:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق الناس ... وسوى فوق السماء سريرا

شرجعاً ما يناله بصر العيـ ... ـن ترى دونه الملائك صورا

وقوله في الحديث الذي في المسند: «**إن الله حيي كريم يستحيي من عبده** =

وينفي هذه الصفة غير أهل السنة والجماعة بقياسهم علو الله تعالى على علونا الذي يستلزم الجهة والمكان[١].

= إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا». وقوله في الحديث: «**يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب**» إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علما يقينا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين - أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام؛ إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته. ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفًا. ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة - لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف - حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا. ولم يقل أحد منهم قطُّ إن الله ليس في السماء ولا إنه ليس على العرش ولا إنه بذاته في كل مكان ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا إنه لا متصل ولا منفصل ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها؛ بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول: «**ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم. فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول: اللهم اشهد**» غير مرة وأمثال ذلك كثيرة...إلخ وهو فصل مهم وطويل يحسن الرجوع إليه.

(١) نفي الجهة والمكان مطلقاً لا ينبغي فإنهما من الألفاظ المجملة كما تقدم! قال شيخ الإسلام ابن تيمية في القاعدة الثانية من «قواعد التدمرية» (ص ٦٥ ط السعوي): وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا فليس على أحد بل =

. . . .

= ولا له: أن يوافق أحدًا على إثبات لفظه أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًا قُبِل، وإن أراد باطلًا رُدَّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقًا ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك، فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقًا كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك وقد علم أن ما ثمَّ موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق ﷻ ليس في مخلوقاته شيء من ذاته؛ ولا في ذاته شيء من مخلوقاته. فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلًا في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات وكذلك يقال لمن قال الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟ فإن أردت الأول فهو حق وإن أردت الثاني فهو باطل.

وكذلك لفظ التحيز: إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر؛ بل قد وسع كرسيه السموات والأرض وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]. وقد ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟**» وفي حديث آخر: «**وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة**» وفي حديث ابن عباس: «ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن =

. . . .

= إلا كخردلة في يد أحدكم»، وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات؛ أي مباين لها منفصل عنها ليس حالا فيها: فهو سبحانه كما قال أئمة السنة: فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.اهـ

وقال في «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٠٧ - ٢٠٨): وقال القاضي أبو يعلى في كتاب إبطال التأويل: (فإذا ثبت أنه على العرش فالعرش في جهة وهو على عرشه) قال: (وقد منعنا في كتابنا هذا في غير موضع إطلاق الجهة عليه) قال: (والصواب جواز القول بذلك لأن أحمد أثبت هذه الصفة التي هي الاستواء على العرش وأثبت أنه في السماء وكل من أثبت هذا أثبت الجهة) قال: (والدليل عليه: أن العرش في جهة بلا خلاف، وقد ثبت بنص القرآن أنه مستو عليه فاقتضى أنه في جهة ولأن كل عاقل من مسلم وكافر، إذا دعا فإنما يرفع يديه ووجهه إلى نحو السماء وفي هذا كفاية). اهـ.

قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٦١٠): أما القول بأنه جسم أو ليس بجسم فهذا مما تنازع فيه أهل الكلام والنظر وهي مسألة عقلية والناس فيها على ثلاثة أقوال نفي، وإثبات، ووقف وتفصيل، وهذا هو الصواب الذي عليه السلف والأئمة ولهذا لما ذكر أبو عيسى برغوث لأحمد هذا في مناظرته إياه وأشار إلى أنه إذا قلت إن القرآن غير مخلوق لزم أن يكون الله جسما لأن القرآن صفة وعرض ولا يكون إلا بفعل والصفات والأعراض والأفعال لا تقوم إلا بالأجسام أجابة الإمام أحمد بأنا نقول إن الله أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأن هذا الكلام لا يدرى مقصود صاحبه به فلا نطلقه لا نفيا ولا أثباتًا إما من جهة الشرع فلأن الله ورسوله وسلف الأمة لم يتكلموا بذلك لا نفيًا ولا إثباتًا، فلا قالوا هو جسم ولا قالوا هو ليس بجسم.اهـ. =

. . . .

= وقال العلامة علي ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» معلقاً على قول الطحاوي: (وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) قال: الناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل، وهم المتبعون للسلف، فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا بين ما أثبت بها فهو ثابت، وما نفي بها فهو منفي. لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام، كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية، فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي. ولهذا كان النفاة ينفون بها حقًا وباطلًا، ويذكرون عن مثبتيها ما لا يقولون به، وبعض المثبتين لها يدخل فيها معنى باطلًا، مخالفا لقول السلف، ولما دل عليه الكتاب والميزان. ولم يرد نص من الكتاب ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها، وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفيًا ولا إثباتًا، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون. فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه. والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحا قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك.

والشيخ رَحِمَهُ اللهُ (يعني الطحاوية) أراد الرد بهذا الكلام على المشبهة، كداود الجواربي وأمثاله القائلين: إن الله جسم، وإنه جثة وأعضاء وغير ذلك، =

. . . .

= تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. فالمعنى الذي أراده الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من النفي الذي ذكره هنا حق، لكن حدث بعده من أدخل في عموم نفيه حقًا وباطلًا، فيحتاج إلى بيان ذلك. وهو: أن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حدًا، وأنهم لا يحدون شيئًا من صفاته. قال أبو داود الطيالسي: كان سفيان وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة - لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث ولا يقولون: كيف؟ وإذا سئلوا قالوا بالأثر. وسيأتي في كلام الشيخ: «وقد أعجز خلقه عن الإحاطة به». فعلم أن مراده أن الله يتعالى عن أن يحيط أحد بحده، لأن المعنى أنه متميز عن خلقه منفصل عنهم مباين لهم. سئل عبد الله بن المبارك: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائن من خلقه، قيل: بحد؟ قال: بحد، انتهى.

ومن المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه، المقيم لما سواه؛ فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلًا، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته. وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة... فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني، سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فكذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفيا ولا إثباتا، لئلا يثبت معنى فاسد، أو ينفى معنى صحيح. وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمحق والمبطل. وأما لفظ الجهة، فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقًا، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك. وإن أريد بالجهة =

❁ ❁ ❁

= أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده. فإذا قيل: (إنه في جهة) بهذا الاعتبار، فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع، عالٍ عليه. ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو، يذكرون من أدلتهم: أن الجهات كلها مخلوقة، وأنه كان قبل الجهات، وأن من قال: إنه في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم، أو أنه كان مستغنيًا عن الجهة ثم صار فيها. وهذه الألفاظ ونحوها إنما تدل على أنه ليس في شيء من المخلوقات، سواء سمي جهة أو لم يسم، وهذا حق.اهـ المقصود.

صفة المعية من السنة

(وقوْلُهُ ﷺ: «أفْضلُ الْإِيمانِ: أنْ تعْلم أنّ اللّه معك حيْثُما كُنْت»[(١)].

الشـــرح:

معنى هذا الحديث أن أفضل إيمانك بالله تعالى أن تعتقد أنه معك حيث ما كنت، في أى مكان؛ لكن معيته معنا تعالى بعلمه لا بذاته، فهو يعلم كل ما يقع منا صغر أو كبر، وليس معناها أنه معنا بذاته، فإن

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦) و«مسند الشاميين» (٥٣٥، ١٤١٦) والبيهقي في «الشعب» (٧٤١) وفي «الأسماء والصفات» (٤٣٠) أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤) من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً وقال شيخ الإسلام: «حديث حسن» اهـ.
وسكت عنه البيهقي فدلّ على صحته عنده، وكذا ابن رجب في «شرح الأربعين».
قال البيهقي في مقدمة كتابه «دلائل النبوة» (١/ ٤٧ط قلعجي): وعادتي في كتبي المصنفة في الأصول والفروع (يعني في العقائد والأحكام) الاقتصار من الأخبار على ما يصح منها دون ما لا يصح، أو التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح، ليكون الناظرين من أهل السنة على بصيرة مما يقع الاعتماد عليه، ولا يجد من زاغ قلبه من أهل البدع عن قبول الأخبار مغمزًا فيما اعتمد عليه أهل السنة من الآثار. اهـ.

ذاته لا تكون في مكان[١].

والمعية عامة وخاصة:

فالعامة: هى علم الله تعالى بأحوال مخلوقاته.

والخاصة: تكون بنصر الله تعالى لعباده الصالحين.

فالمعية الأولى مشتركة بين مخلوقاته، والثانية خاصة بعبادة المحسنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النّحل: ١٢٨][٢].

(١) يعني المكان المخلوق، فإنه لا يحل في شيء من مخلوقاته ولا يحل فيه شيء من مخلوقاته، وتقدم الكلام على إطلاق نفي المكان، وأن الصواب التفصيل.

(٢) تقدم الكلام في ذلك عند ذكر آيات المعية صـ ١١٥ - ١١٨.

قرب الله تعالى من عباده مع استوائه على عرشه من السنة

١- وقوْلُهُ ﷺ: «إذا قام أحدُكُمْ إلى الصّلاةِ فلا يبْصُقْ قِبل وجْهِهِ ولا عنْ يمِينِهِ فإِنّ اللّه قِبل وجْهِهِ ولكِنْ عنْ يسارِهِ أوْ تحْت قدمِهِ»[١].

٢- وقوْلُهُ ﷺ: «اللّهُمّ ربَّ السّمواتِ السّبْعِ وربّ الْعرْشِ الْعظِيمِ ربّنا وربَّ كُلِّ شيْءٍ فالِقَ الْحبِّ والنّوى مُنزِلَ التّوْراةِ والْإِنْجِيلِ والْقُرْآنِ؛ أعُوذُ بِك مِنْ شرِّ نفْسِي ومِنْ شرِّ كُلِّ دابّةٍ أنْت آخِذٌ بِناصِيتِها، أنْت الْأوّلُ فليْس قبْلك شيْءٌ، وأنْت الْآخِرُ فليْس بعْدك شيْءٌ، وأنْت الظّاهِرُ فليْس فوْقك شيْءٌ، وأنْتَ الْباطِنُ فليْس دُونك شيْءٌ، اقْضِ عنِّي الدّيْن وأغْنِنِي مِنْ الْفقْرِ»[٢].

٣- قوْلُهُ لمّا رفع أصْحابُهُ أصْواتهُمْ بِالذِّكْرِ: «أيُّها النّاسُ ارْبَعُوا على

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٦) ومسلم (٥٤٨) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٨٩٦٠) والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٢) ومسلم (٢٧١٣) وأبو داود (٥٠٥٣) والنسائي في «الكبرى» (٧٦٦٨) والترمذي (٣٤٠٠) وابن ماجة (٣٨٧٣) من حديث أبي هريرة بسند صحيح، وقال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وصححه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (١/ ٢٦٨). وله شاهد عند النسائي في «الكبرى» (١٠٦٢٥) عن عائشة رضي الله عنها.

أَنْفُسِكُمْ؛ فإِنَّكُمْ لا تدْعُون أصمَّ ولا غائِبًا، إنّما تدْعُون سمِيعًا قرِيبًا، إنّ الّذِي تدْعُونهُ أقْربُ إلى أحدِكُمْ مِنْ عُنُقِ راحِلتِهِ»(١).

الشـــرح:

هذه الأحاديث الثلاثة تثبت قرب الله تعالى من عباده، ففى الحديث الأول بين أنه تعالى (قبل وجهه) وأنه تعالى قريب من عبده الذي يصلي مع كونه تعالى فوق عرشه.

وفى الحديث الثانى، أثبت أنه تعالى مع كونه ظاهراً أى أنه فوق كل شيء فهو عال، فإنه تعالى قريب منا جداً؛ لأنه ليس بيننا وبينه شيء(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٠) ومسلم (٢٧٠٤).
قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ٢٦): اربعوا، بهمزة وصل وبفتح الباء الموحدة، معناه: ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة.اهـ

(٢) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٦٦): وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا سألوا النبي ﷺ عن الأحكام أمر رسول الله ﷺ بإجابتهم كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢١٩] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧] إلى غير ذلك من =

والحديث الثالث، أثبت القرب أيضاً لله في قوله: «**إن الذين تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»، فهذا يثبت قرب الله تعالى منا مع علوه فوق عرشه.

= مسائلهم. فلما سألوه عنه ﷻ قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] فلم يقل سبحانه فقل بل قال تعالى: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]. فهو قريب من عباده كما قال النبي ﷺ في الحديث لما كانوا يرفعون أصواتهم بالذكر والدعاء فقال: «**أيها الناس اربَعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا إنما تدعون سميعا قريبًا إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». وقال النبي ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلى صلاته فلا يبصقن قبل وجهه فإن الله قبل وجهه ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكًا ولكن عن يساره أو تحت قدمه**» وهذا الحديث في الصحيح من غير وجه. وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته. وهو سبحانه غني عن العرش وعن سائر المخلوقات لا يفتقر إلى شيء من مخلوقاته، بل هو الحامل بقدرته العرش وحملةَ العرش. وقد جعل تعالى العالم طبقات ولم يجعل أعلاه مفتقرا إلى أسفله فالسماء لا تفتقر إلى الهواء والهواء، لا يفتقر إلى الأرض، فالعلي الأعلى رب السماوات والأرض وما بينهما الذي وصف نفسه بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧] أجل وأعظم وأغنى وأعلى من أن يفتقر إلى شيء، بحملٍ أو غير حمل؛ بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، الذي كل ما سواه مفتقر إليه، وهو مستغن عن كل ما سواه.اهـ

وظاهر هذا التفسير أنه متناقض لأن المخلوقين لا يمكن أن يكون الواحد منهم قريباً وبعيداً في وقت واحد ولكن قرب الله تعالى وبعده على غير قربنا وبعدنا ولذلك فهو جائز في صفة الله تعالى ولا يعلم بذلك إلا هو[1].

وقد ورد في القرآن الكريم ما لو وصف به المخلوقون كان متناقضاً[2] ولكن إذا وصف الله تبارك وتعالى به نفسه كان غير متناقض وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، فالله تبارك وتعالى يوصف بما لا يوصف به خلقه، وكيفية صفاته غير كيفية صفاتنا ولا يعلم بكيفية صفاته إلا هو[3].

---

(١) أي: لا يعلم كيفية ذلك إلا الله.

(٢) لا يلزم من ذلك أن يكون متناقضاً في حق المخلوق أيضاً، فقد صح في الحديث: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**» متفق عليه وفي رواية لمسلم: «**نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة**».

(٣) وهل القرب كالمعية نوعان عام وخاص؟ فيه خلاف بين أهل السنة! فمنهم من قال إنه نوع واحد وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في تقريره على الواسطية ومنهم من قال هو نوعان عام وخاص، قال العلامة ابن القيم في النونية:

وهو القريب وقربه المختص بالد ... اعي وعابدِه على الإيمان

وقال في «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (**٣/ ١٢٥١**): إن قرب الرب تعالى إنما ورد خاصًا ولا عامًا، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة ومن مطيعه بالإثابة، ولم يجئ القرب كما جاءت المعية خاصة =

. . . .

= وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد، وأنه قريب في الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصًا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] فهذا قربه من داعيه وسائله به، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعرَاف: ٥٦] .اهـ

قال شيخنا العلامة المتقن الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي في «فوائده» (ص/ ٥٣): ذهب شيخ الإسلام وابن القيم وجماعة من أهل العلم إلى أن قرب الرب من عباده لا يكون عاماً وخاصاً، وأنه لا يكون إلا خاصاً وهو قرب من السائلين بالإجابة وقرب من العابدين بالإثابة. وقيل إن القرب نوعان عام وخاص، كما أن المعية نوعان عامة وخاصة، لقوله تعالى، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقِعَة: ٨٥]، والضمير في الآيتين لله ﷻ، والمعنى نحن أقرب إليه بالعلم والإحاطة، والاطلاع والرؤية والقدرة، وهذا القول أرجح وأظهر من القول الأول.اهـ

وما ذهب إليه الراجحي هو الذي اختاره الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.اهـ

وقال في خاتمة تفسيره في «أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته لا يستغني عنها المفسر للقرآن»: وقربه تعالى نوعان: قرب عام من كل أحد، بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته. وقرب خاص، من عابديه وسائليه، ومحبيه، وهو قرب لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره، من لطفه بعبده، وعنايته به، وتوفيقه وتسديده. ومن آثاره الإجابة للداعين، =

. . . .

= والإثابة للعابدين، فهو المجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلى أي حال كانوا كما وعدهم بهذا الوعد المطلق.اهـ
واختاره أيضاً شيخنا العلامة الشيخ صالح الفوزان في «شرح النونية» (٢/ ٧٨٣). واختاره أيضاً العلامة محمد خليل هراس في «شرح النونية» (٢/ ٤٧٦).
وهو الذي يفهم من فتاوى اللجنة الدائمة حيث جاء فيها (١/ ٧٥١ ط العنود) «يجب اعتقاد أن الله تعالى فوق عرشه، لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد كما قال تعالى: وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وذلك بعلمه وبملائكته، وهو سبحانه فوق عرشه منزه عن مخالطة خلقه». اهـ بتوقيع الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ عبد الله ابن غديان والشيخ عبد الله بن قعود رحمهم الله أجمعين.
ومال الشيخ ابن عثيمين إلى اختيار قول شيخ الإسلام فقال في «شرح الواسطية» (٢/ ٩٠): واعلم أن من العلماء من قسم قرب الله تعالى إلى قسمين؛ كالمعية، وقال: القرب الذي مقتضاه الإحاطة قرب عام، والقرب الذي مقتضاه الإجابة والإثابة قرب خاص. ومنهم يقول: إن القرب خاص فقط؛ مقتض لإجابة الداعي وإثابة العابد، ولا ينقسم. ويستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، وبقول النبي ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»، وأنه لا يمكن أن يكون الله تعالى قريبا من الفجرة الكفرة. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى. ولكن أورد على =

❀ ❀ ❀

= هذا القول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]؛ فالمراد بـ(الإنسان): كل إنسان، ولهذا قال في آخر الآية: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] إلى أن قال: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤]؛ فهو شامل. وأورد عليه أيضا قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾، ثم قسم هؤلاء الذين بلغت أرواحهم الحلقوم إلى ثلاثة أقسام، ومنهم الكفار.
وأجيب عن ذلك بأن قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؛ يعني: بملائكتنا، واستدل لذلك بقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧]؛ فإن (إذ) ظرف متعلق بـ(أقرب)؛ يعني: ونحن أقرب إليه حين يتلقى المتلقيان، وهذا يدل على أن المراد بقربه تعالى قرب ملائكته. وكذلك قوله في المحتضَر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ [ق: ١٦]: المراد: قرب الملائكة، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقِعَة: ٨٥]، وهذا يدل على أن هذا القريب موجود عندنا، لكن لا نبصره، وهذا يمتنع غاية الامتناع أن يكون المراد به الله ﷻ؛ لأن الله في السماء. وما ذهب إليه شيخ الإسلام؛ فهو عندي أقرب، ولكنه ليس في القرب بذاك.اهـ
قلت: والذي يقوي قول ابن تيمية هو أن لفظ القرب في اللغة لا يأتي بمعنى العلم والإحاطة كما في «المعية»، فصرفه إليه نوع من المجاز الذي يمنعه الشيخ وتلميذه والله أعلم.

[إثبات رؤية الله تعالى من السنة][1]

قال الشيخ ابن تيمية: (قَوْلُهُ ﷺ: «إنّكُمْ ستروْن ربّكُمْ كما تروْن الْقمر ليْلة الْبدْرِ لا تضامون فِي رُؤْيتِهِ فإِنْ اسْتطعْتُمْ أنْ لا تُغْلبُوا على صلاةٍ قبْل طُلُوعِ الشّمْسِ وصلاةٍ قبْل غُرُوبِها: فافْعلُوا» مُتّفقٌ عليْهِ[2]. إلى أمْثالِ هذِهِ الْأحادِيثِ الّتِي يُخْبِرُ فِيها رسُولُ اللّهِ ﷺ عنْ ربِّهِ بِما يُخْبِرُ بِهِ).

الشـــرح:

إثبات رؤية الله تعالى من السنة

هذا الحديث يدل صراحةً على أن المؤمنين سيرون ربهم في الجنة، كما يرون القمر ليلة أنْ يكون مكتملاً، وهو حين يكون بدراً، والقمر حين يكون بدراً ساطعاً، لا يخفى على ذوى العيون المبصرة.

والتمثيل يراد منه فقط ظهور الله تعالى للمؤمنين في الآخرة، كما يظهر البدر لمن يراه واضحاً، وليس المراد التمثيل في الكيفية[3]، فإن

---

(١) هذه العنوان زيادة منا لم يرد في الأصل.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٩، ٥٤٧، ٤٥٧٠، ٦٩٩٧)، ومسلم (٦٣٣).

(٣) المراد تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي؛ يعني: أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أكمل حالاته، وهي =

الله تعالى يرى بلا كيفية[١]، وإنما الذي يعلم بكيفية ذلك هو سبحانه وتعالى.

وقوله ﷺ: «**لا تضامون**» ورد فيه روايتان:

الأولى: «**لا تَضَامُّون**» بفتح التاء وتشديد الميم[٢]، ويكون المعنى - على ذلك - لا ينضم بعضكم إلى بعض، فكل واحد من المؤمنين يرى الله تبارك وتعالى، وهو في مكانه من دون أن ينضم بعضهم إلى بعض، لأن هذا يكون فيمن يحده مكان، والله تبارك وتعالى لا يحيط به زمان ولا يحده مكان، وهذا يدل على أن صفاته تعالى على غير صفات خلقه بكيفية لا يعلمها غيره، كما أن ذاته لا يعرفها غيره، لا تحيط به الأوهام ولا تدركه العقول والأفهام.

وأما الرواية الثانية فهي: «**لا تُضامُون**»، بضم التاء وتخفيف الميم بمعنى لا يضايق بعضكم بعضاً، أولا يغلب بعضكم بعضاً على رؤيته، أولا يظلم بعضكم بعضاً في رؤيته تعالى[٣]، لأن هذا شأن المنحاز في

= كونه بدرا، ولا يحجبه سحاب. وقوله: «كما ترون القمر» تحقيق للرؤية ونفي لتوهم المجاز الذي يظنه المعطلة.

(١) يعني بلا كيفية نعلمها الآن، يبين قصده ذلك باقي كلامه.

(٢) والتاء يجوز فيها الضم والفتح، على أن الأصل تتضامون، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً.

(٣) أي: روي بتخفيف الميم من الضيم؛ بمعنى: الظلم؛ يعني: لا يلحقكم في رؤيته ضيم ولا غبن.

مكان[١]، أن يتدافع الناس على رؤيته، وأن يغلب قويهم ضعيفهم، فيظلم بعضهم بعضاً، ويغلب بعضهم بعضاً، ولما كان الله تعالى لا ينحاز في مكان عند رؤية المؤمنين إياه، فإنهم لا يتغالبون ولا يتدافعون ولا يتظالمون[٢].

---

(١) هذا التعليل لا داعي له، فالله أعلم بإمكانية ذلك، بلا نفي ولا إثبات.

(٢) قال العلامة ابن القيم في آخر الباب الخامس والستين من كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢/ ٧١٣ ط عالم الفوائد) وهو باب عقده لجمع أدلة إثبات رؤية الله يوم القيامة - قال رَحِمَهُ اللَّهُ قد دل القران والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمةِ الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخاصة رسول الله على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرى يوم القيامة بالإبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوًا وكما ترى الشمس في الظهيرة فإن كان لما أخبر به الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وأن له والله حق الحقيقة فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم، لاستحالة أن يروه من اسفل منهم أو خلفهم أو امامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم، وإن لم يكن لما اخبر به حقيقة كما يقوله أفراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية، بطل الشرع والقرآن، فان الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة، والذي بلغها هو الذي بلغ الدين، فلا يجوز أن يجعل الله ورسوله عِضين، بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها، فلا يجتمع في قلب العبد، بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها، انكارُها والشهادَة بأن محمدًا رسول الله أبدًا و﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٤] والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يُرى في الدنيا ويحاضَر ويسامَر. =

وأما قوله ﷺ: «**فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس**» إلى آخره، فإنه يدل على أن من يواظب على صلاة الصبح قبل طلوع الشمس ويواظب على صلاتى المغرب والعشاء، يكون ممن يرون الله تبارك وتعالى في الجنة، وهذا يدل على فضل صلاة الصبح، وعلى فضل صلاتى المغرب والعشاء لأن الإنسان في هذه الصلوات الثلاث يكون مستريحاً بالنوم في الصبح، والاستعداد للعشاء والنوم، عند صلاتى العشاءين: الأولى والثانية، أي: المغرب والعشاء. وهذا يؤكد أيضاً رؤية الله تعالى.

* * *

= **والثاني**: من يزعم أنه لا يرى في الآخرة البتة ولا يكلِّم عباده. وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذِّب الفريقين، وبالله التوفيق.اهـ

وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة[١]

وكذلك أهل السنة والجماعة وسط بين الحرورية[٢] - أي: الخوارج والمعتزلة - و[٣] بين المرجئة والجهمية، في أسماء الإيمان والدين[٤].

فأهل السنة يقولون بأن أمر مرتكب الكبيرة متروك إلى الله إن شاء

---

(١) قال المصنف: «بل هم وسطٌ في فِرَقِ الأمةِ، كما أنّ الأُمةَ هي الوَسَطُ بين الأُمَمِ، فهم وَسَطٌ في بابِ صفاتِ اللهِ ﷻ بين أهلِ التعطِيلِ الجهمية، وأهْلِ التمثيلِ المشبهةِ. وهم وسطٌ في بابِ أفعالِ اللهِ تعالى بين القدرية والجبرية. وفي باب وعيد الله بينَ المرجئةِ والوعيدية من القدريةِ وغيرهم. وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية. وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج».

(٢) الحرورية: هم الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه حينما قبل التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه، فنزلوا، واجتمعوا بحروراء - وهي بلد قرب الكوفة على ميلين منها -، وسموا بذلك نسبة إليها.

(٣) في الأصل (أو) والصواب (و).

(٤) المراد «بالأسماء» هنا أسماء الدين، مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق ... إلخ. والمراد «بالأحكام» أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة.
وكانت مسألة الأسماء والأحكام من أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في ذلك الحين، وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدرية أثر كبير في ذلك النزاع.

عذبه وإن شاء عفى عنه ويسمونه مؤمناً عاصياً .

أما الخوارج فيسمون مرتكب الكبائر كافراً وأنه يخلد في النار .

وجعله المعتزلة في منزلة بين الكفر والإيمان، ولكنهم قالوا بخلوده في النار، كالخوارج[١] .

وأما المرجئة والجهمية[٢] فإنهم يقولون إن مرتكب الكبيرة لا يعذب

---

(١) فالخوارج الحرورية والمعتزلة ذهبوا إلى أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا من صدَّق بجنانه، وأقر بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر. فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنًا باتفاق بين الفريقين. ولكنهم اختلفوا: هل يسمى كافرًا أو لا؟ فالخوارج يسمونه كافرًا، ويستحلون دمه وماله، ولهذا كفروا علياً ومعاوية وأصحابهما، واستحلوا منهم ما يستحلون من الكفار. وأما المعتزلة؛ فقالوا: إن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر؛ فهو بمنزلة بين المنزلتين، وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال. واتفق الفريقان أيضا على أن من مات على كبيرة ولم يتب منها فهو مخلد في النار. فوقع الاتفاق بينهما في أمرين:

١- نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

٢- خلوده في النار مع الكفار.

ووقع الخلاف أيضا في موضعين:

أحدهما: تسميته كافراً.

والثاني: استحلال دمه وماله، وهو الحكم الدنيوي.

(٢) يعني مرجئة الجهمية وهم المرجئة الغلاة، فإن المرجئة طبقات أخفها إرجاءً مرجئة الفقهاء الذي أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان. وأكبرها إرجاءً مرجئة الجهمية الغلاة.

لأن الأعمال ليست جزءاً من الإيمان[١].

وبذلك يكون مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الإيمان والدين مذهباً وسطاً.

وكذلك مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله وسط بين الخوارج الذين يكفرون بعضهم وبين الرافضة، فإنهم[٢] عرفوا فضل الصحابة فلم يخطئوا بعضهم ولم يصوبوا بعضهم؛ بل قالوا كلهم مجتهدون، ومن أخطأ منهم فله أجر، ومن أصاب منهم فله أجران.

---

(١) المرجئة هم الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وزعموا أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وإن لم ينطق به، وسُموا بذلك نسبة إلى الإرجاء؛ أي التأخير؛ لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان.
وأما الإرجاء الذي نسب إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة؛ كأبي حنيفة وغيره، وهو قولهم: إن الأعمال ليست من الإيمان، ولكنهم مع ذلك يوافقون أهل السنة على أن الله يعذب من يعذب من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم منها بالشفاعة وغيرها، وعلى أنه لابد في الإيمان من نطق باللسان، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة يستحق تاركها الذم والعقاب فهذا النوع من الإرجاء ليس كفرًا، وإن كان قولًا باطلًا مبتدعًا؛ لإخراجهم الأعمال عن الإيمان.

(٢) أي أهل السنة والجماعة.

الخلاصة

أن مذهب أهل السنة والجماعة كان مذهباً وسطاً في الأمور الآتية:

١- فى الصفات مذهبهم وسط بين تعطيل الجهمية والمعتزلة وبين تشبيه المشبهة.

٢- فى الأفعال[١] مذهبهم وسط بين الجبرية[٢] - الذين سلبوا العبد الاختيار - وبين القدرية[٣]، الذين جعلوا للعبد قدرة مستقلة وأنكروا القدر[٤].

---

(١) أي أفعال الله تعالى، وأفعال العبد.

(٢) الجبرية: هم الجهمية ومن وافقهم؛ القائلون بالجبر وإن العباد لا إرادة لهم، ولا قدرة لهم على فعل الطاعات، ولا ترك المنهيات، وهم مجبورون على فعل ذلك كله، وهم نقيض القدرية.

(٣) هم نفاة القدر من المعتزلة ومن تبعهم، وأن العبد هو الفاعل لأعماله بلا مشيئة من الله ولا تقدير ولا قدرة له عليها.

(٤) قال الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع في تعليقه على الواسطية: اعلم أن الناس اختلفوا في أفعال العباد؛ هل هي مقدورة للرب أم لا؟ فقال جهم وأتباعه - وهم الجبرية -: إن ذلك الفعل مقدور للرب لا للعبد. وكذلك قال الأشعري وأتباعه: إن المؤثر في المقدور قدرة الرب لا قدرة العبد وقال جمهور المعتزلة - وهم القدرية؛ أي: نفاة القدر -: إن الرب لا يقدر على عين مقدور العبد. واختلفوا: هل يقدر على مثل مقدوره؟ فأثبته البصريون؛ كأبي علي، وأبي هاشم، ونفاه الكعبي وأتباعه البغداديون. وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة =

٣- وفى باب الوعيد مذهبهم وسط بين المرجئة الذين ينفون العقاب مطلقاً عن أهل الكبائر، وبين الوعيدية وهم الخوارج والمعتزلة القائلون بخلودهم في النار.

٤- وفى أسماء الإيمان والدين مذهبهم وسط بين الخوارج، الذين جعلوا مرتكب الكبائر كافراً ومخلداً في النار، والمعتزلة، الذين جعلوه في منزلة بين المنزلتين، ثم بخلوده في النار، كما قال الخوارج، وبين مذهب المرجئة والجهمية، القائلين بأن الكبائر لا تدخل صاحبها النار؛ لأن الأعمال ليست من الإيمان!

٥- وفى أصحاب رسول الله ﷺ مذهبهم وسط بين الرافضة وهم فرقة من فرق الشيعة، وهم الذين يكفرون الصحابة ﵃، وبين الخوارج الذين يكفرون بعضهم، فإنهم[1] لم يكفروا أحداً من الصحابة، وقالوا: إنهم جميعاً مجتهدون، طالبون الحقَ وأنّ من أخطأ منهم فله أجر، ومن أصاب فله أجران.

= لله تعالى، والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه. فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا فعل العبد أصلا. والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة. وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فقالوا: العباد فاعلون، والله خالقهم.اهـ

(١) أي: أهل السنة والجماعة.

من فروع الإيمان
(أ) معنى معية الله ووجوب الإيمان بها

قال الشيخ: (وقدْ دخل فِيما ذكرْناهُ مِن الإيمانِ باللهِ الإِيمانُ بما أخْبر اللهُ بِهِ فِي كِتابِهِ، وتواتر عن رّسُولِهِ، وأجْمع عليْهِ سلفُ الأُمّةِ؛ مِنْ أنّهُ سُبْحانهُ فوْق سماواتِهِ، على عرْشِهِ، علِيٌّ على خلْقِهِ، وهُو سُبْحانهُ معهُمْ أيْنما كانُوا، يعْلمُ ما هُمْ عامِلُون؛ كما جمع بيْن ذلِك في قوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وليْس معْنى قوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] أنّهُ مُخْتلِطٌ بِالْخلْقِ؛ فإِنّ هذا لا تُوجِبُهُ، اللُّغةُ، بلِ الْقمرُ آيةٌ مِنْ آياتِ اللهِ مِنْ أصْغرِ مخْلُوقاتِهِ، وهُو موْضُوعٌ فِي السّماءِ، وهُو مع الْمُسافِرِ وغيْر الْمُسافِرِ أيْنما كان. وهُو سُبْحانهُ فوْق عرْشِهِ، رقِيبٌ على خلْقِهِ، مُهيْمِنٌ عليْهِمْ، مُطّلِعٌ عليْهِم إِلى غيْرِ ذلِك مِن مّعانِي رُبُوبِيّتِهِ. وكُلُّ هذا الْكلامِ الّذِي ذكرهُ اللهُ - مِنْ أنّهُ فوْق الْعرْشِ وأنّهُ معنا - حقٌّ على حقِيقتِهِ، لا يحْتاجُ إلى تحْرِيفٍ، ولكِنْ يُصانُ عنِ الظُّنُونِ الْكاذِبةِ؛ مِثْلِ أنْ يُظنّ أنّ ظاهِر قوْلِهِ: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، أنّ السّماء تُظِلُّهُ أوْ تُقِلُّهُ، وهذا باطِلٌ بِإِجْماعِ أهْلِ الْعِلْمِ والإيمانِ؛ فإِنّ الله قدْ وسِع كُرْسِيُّهُ السّمواتِ والأرْضَ، وهُو يُمْسِكُ السّمواتِ والأرْض أنْ تزُولا، ويُمْسِكُ السّماء

أنْ تقع على الأرْضِ؛ إلاّ بِإِذْنِهِ، ومنْ آياتِهِ أنْ تقُوم السّماءُ والأرْضُ بِأمْرِهِ).

الشـــرح:

في هذا النص صوّر الشيخ معنى (معية الله) ونفى عنها أوهام المتكلمين، من قياسهم معيةَ الله تعالى على معية خلقه، حتى كان بعضهم مشبهاً وبعضهم معطلاً.

وبين أنه يجب الإيمان بمعية اللّهِ تعالى كما أخبر اللّه تعالى بذلك في القرآن الكريم، وقد نُقِل عن رسوله ﷺ وكما أجمع عليه سلف الأمة، حيث إنهم قالوا: إن اللّه سبحانه وتعالى فوق سماواته على عرشه وعليٌّ علىٰ خلقه، وهو سبحانه مع هذا معهم أينما كانوا، يعلم ما يعملون، وقد أخذوا هذا المعنى من قوله تعالى في «الآية المكتوبة في النص السابق» فأثبتت هذه الآية الكريمة أن الله تعالى مستوٍ على عرشه، بكيفية لا يعلمها إلا هو، ثم مع كونه مستو على عرشه فإنه تعالى يعلم ما يدخل في الأرض كالمطر والأقوات، وما يخرج منها كالنبات والمعادن، ويعلم ما ينزل من السماء كالرحمة والعذاب، وما يصعد في السماء كالأعمال الصالحة والسيئة، ثم إنه تعالى معنا حيثما كنا؛ لكن بعلمه لا بذاته لأن معيته معنا بذاته مستحيلة[1]، ولا يلزم أن تكون معية الله

---

(١) في الأصل (مستحيل).

تعالى كمعيتنا، يلزمها الاختلاط والاتصال.

ومن فسرها بهذا التفسير فقد أنكرها رغم ذكرها في القرآن الكريم، والسنة النبوية.

وقد نفى الشيخ استلزام المعية الاختلاط حتى في المخلوقات فضلًا عن الله تبارك وتعالى، وذكر مثلا لذلك المخلوقات وهو القمر الذي هو آية من أصغر المخلوقات، ومع أنه موضوع في السماء، فإنه يكون مع المسافر في أي مكان يكون فيه، حتى إن كل إنسان يقول: إن القمر معي، مع تباعد أماكنهم وتفرقهم في أنحاء متباعدة.

إذًا يكون الله تعالى فوق عرشه ومستو عليه، ومع ذلك يكون معنا، ورقيباً علينا، ومطلعاً على أمورنا صغيرها وكبيرها.

وكون الله تعالى فوق عرشه وأنه معنا قول حق، واعتقاد صدق، وأنه على حقيقته، ولا مجاز فيه من غير تحريف ذلك أو تعطيله أو تكييفه[١].

---

(١) قال ابن القيم في «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (ص/ ٤٧٨) ليس ظاهر اللفظ ولا حقيقته أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها، ولا تدل لفظة (مع) على هذا بوجه من الوجوه فضلا أن يكون هو حقيقة اللفظ وموضوعه، فإن (مع) في كلامهم لصحبته اللائقة وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها فكون نفس الإنسان معه لون، وكون علمه وقدرته وقوته معه لون، وكون زوجته معه لون، وكون أميره ورئيسه معه لون، وكون ماله معه لون، فالمعية ثابتة في هذا كله مع تنوعها واختلافها، فيصح أن يقال: زوجته معه وبينهما شقة بعيدة وكذلك يقال مع فلان دار كذا =

. . . .

= وضيعته كذا، فتأمل نصوص المعية في القرآن كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤] وقوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّاۖ﴾ [التوبة: ٨٣] وقوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨] ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢] ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤] وأضعاف ذلك، هل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات التصاقا وامتزاجا؟ فكيف تكون حقيقة المعية في حق الرب تعالى ذلك!؟ حتى يدعى أنها مجاز لا حقيقة، فليس في ذلك ما يدل على أن ذاته تعالى فيهم ولا ملاصقة لهم، ولا مخالطة ولا مجاورة بوجه من الوجوه، وغاية ما تدل عليه (مع) المصاحبة والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور، وذا الاقتران في كل موضع بحسبه يلزمه لوازم بحسب متعلقه.

فإن قيل: الله مع خلقه بطريق العموم، كان من لوازم ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم، وإذا كان ذلك خاصا كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] كان من لوازم ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة، فمعية الله تعالى مع عبده نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي بل حقيقتها ما تقدم من الصحبة اللائقة، وقد أخبر الله تعالى أنه مع خلقه مع كونه مستويا على عرشه وقرن بين الأمرين كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ =

ومثل هذا كونه في السماء فإنه ليس معناه أن سماءً تقله وهو فيها، وأنها تظله وهو تحتها، فإن هذا المعنى باطل بإجماع أهل العلم من السنة والجماعة وغيرهم من علماء الكلام والدين، فإن معنى قولنا في السماء أنه ليس في السماء كما هو ظاهر من كلمة (في) فإن الله تعالى فوق العرش، والعرش فوق الكرسي وهو[1] بالنسبة للعرش بما فيه من السموات «كحلقة في فلاة» كما ورد في الحديث[2]، ثم إن الكرسي فوق

= مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه خلق السموات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال «**والله فوق عرشه يرى ما أنتم عليه**»، فعلوه لا يناقض معيته ومعيته لا تبطل علوه، بل كلاهما حق.

فمن المعية الخاصة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

ومن العامة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية.اهـ المقصود.

(١) أي الكرسي.

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٦١) ومحمد بن أبي شيبة في كتابه «العرش» (٥٨) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٣٥، ٦٤٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (ج٧/ ص ١٨١ح ١٣٦) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٦٦) من حديث أبي ذر وفيه: قلت: يا رسول الله =

السموات، وهى بالنسبة إليه كدراهم في ترس.

إذاً؛ كون الله تعالى (في السماء) أى أنه العلي فوق خلقه المستوى على عرشه، ثم كيف يكون فيها وهو الذي يمسكها أن تزول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فَاطِر: ٤١]، أو أن تقع ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۚ﴾ [الحَجّ: ٦٥]، وأنها تقوم بأمره أى: تقوم السماء والأرض بأمره(١).

❊ ❊ ❊

= فأي ما أنزل الله عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي» ثم قال: «**يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**» الحديث. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٩) وابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤١١).

(١) قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الرُّوم: ٢٥].

(ب) قرب الله تعالى قرباً يليق به

قال الشيخ: (وقد دخلَ فِي ذلِك الإيمانُ بأنّهُ قرِيبٌ مُجِيبٌ؛ كما جمع بين ذلِك في قوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] **الآية، وقوْلِهِ ﷺ: «إنَّ الّذِي تدْعُونهُ أقْربُ إلى أحدِكُم مِّن عُنقِ راحِلتِهِ»[١]. وما ذُكِر فِي الْكِتابِ والسُّنّةِ مِنْ قُرْبِهِ ومعِيّتِهِ لا يُنافِي ما ذُكِر مِنْ عُلُوِّهِ وفوْقِيّتِهِ؛ فإِنّهُ سُبْحانهُ ليْس كمِثْلِهِ شيْءٌ فِي جمِيعِ نُعُوتِهِ، وهُو علِيٌّ فِي دُنُوِّه، قرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ).**

الشرح:

في هذا الفصل بين الشيخ ابن تيمية أن من فروع الإيمان قرب الله تعالى منا[٢] ولهذا فهو سبحانه وتعالى سيجيب إلى ما ندعوه به ونطلبه منه، وقد جمع الله تعالى بين هذين الوصفين وهو كونه قريباً أو كونه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، وفى الحديث الذي دل على هذا القرب قوله ﷺ: **«إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»**، ولكن قرب الله تعالى ليس كقربنا، يستلزم القرب من المكان

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٠) ومسلم (٢٧٠٤).

(٢) كذا، والصواب: (أن من فروع الإيمانِ بالله الإيمان بقرب الله منا).

فإن قربه تعالى ليس كقربنا ، وهو أعلم به ، كما أننا لا نعلم بذاته ولا كيفية صفاته، ومن قاس قرب الله تعالى على قربنا أنكره - وهم علماء الكلام من غير أهل السنة والجماعة، كالجهمية والمعتزلة -، أو أولوا فيه - كالأشاعرة -، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: ١١]، وكما أن معيته ليست كمعيتنا ، فإن قربه ليس كقربنا ، ولهذا كان مع علوه قريباً منا ، وعلى قربه منا فهو تعالى في علوه.

(ج) القرآن كلام الله منزلٌ فهو غير مخلوق

(ومِن الإِيمانِ باللهِ وكُتُبِهِ: الإيمانُ بِأنّ الْقُرْآنَ كلامُ اللهِ، مُنزّلٌ، غيْرُ مخْلُوقٍ، مِنْهُ بدأ، وإِليْهِ يعُودُ، وأنّ الله تكلّم بِهِ حقِيقةً، وأنّ هذا الْقُرْآن الّذِي أنْزلَهُ على مُحمّدٍ ﷺ هُو كلامُ اللهِ حقِيقةً، لا كلامُ غيْرِهِ. ولا يجُوزُ إِطْلاقُ الْقوْلِ بِأنّهُ حِكايةٌ عنْ كلامِ اللهِ، أوْ عِبارةٌ؛ بلْ إِذا قرأهُ النّاسُ أوْ كتبُوهُ فِي الْمصاحِفِ؛ لمْ يخْرُجْ بِذلِك عنْ أنْ يكُونَ كلامَ اللهِ تعالى حقِيقةً، فإِنّ الْكلام إِنّما يُضافُ حقِيقةً إِلى منْ قالهُ مُبْتدِئًا، لا إِلى منْ قالهُ مُبلِّغًا مُؤدِّيًا. وهُو كلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومعانِيهِ؛ ليْس كلامُ اللهِ الْحُرُوف دُون الْمعانِي، ولا الْمعانِي دُون الْحُرُوفِ).

الشـــرح:

في هذا الفصل بين الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى أن من فروع الإيمان بأن القرآن كلام الله، نزل منه على عبده محمد غير مخلوق خلافاً، للمعتزلة والجهمية الذين قالوا: إن القرآن مخلوق، وخلافاً للكلابيين - أصحاب محمد بن كُلاب - الذين يقولون: إن القرآن حكاية عن كلام الله، وخلافاً للأشاعرة - أصحاب أبى الحسن على ابن اسماعيل الأشعري - الذين يقولون إن القرآن عبارة عن كلام الله تعالى القديم.

ثم إن أهل السنة يقولون: إن قراءة الناس القرآن أو كتابتهم إياه في المصاحف لا يخرجه عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة وذلك أن الكلام ينسب لمن تكلم به حقيقة ابتداء، لا إلى من بلغه أداء عن غيره، فإذا بلغ رسول الملِكِ عن الملِك كلاماً، فإنه يكون كلام الملك حقيقةً، لا كلام من بلّغه عنه، كذلك الرسول ﷺ إنما بلّغ وروى عن ربه كلاماً، وهو القرآن الكريم بحروفه ومعانيه.

ثم على قاعدة أهل السنة والجماعة، وهي أنهم لا يعرفون كيفية كلام الله تعالى، فإنه تكلم بصفة لا يعلم حقيقتها(١) إلا هو، وليس كلامه تعالى ككلامنا كما أن ذاته ليست كذواتنا ولا صفاته كصفاتنا.

---

(١) يعني حقيقة الكيفية.

أسئلة

س١ : أذكر رأى أهل السنة والجماعة في صفة النزول، وما هو الحديث الذي دل على ذلك؟

س٢ : بين كيف أن مذهب أهل السنة والجماعة وسط بين المذاهب المخالفة فيما يأتى :-

١- فى صفات الله. ٢- في أفعاله. ٣- في الوعيد.

٤- في أسماء الإيمان والدين. ٥- في أصحاب رسول الله ﷺ.

س٣: بين معاني الكلمات الآتية :

١- معية الله. ٢- وقرب الله تعالى. ٣- القرآن كلام الله.

أسئلة تابعة لما سبق من الأبواب

س١ : بين معانى آية الاخلاص من التوحيد: إثباتًا، ونفيًا.

س٢ : بين ما في آية الكرسي : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] . . . إلخ من صفات الله تعالى.

س٣: كيف تدل هذه الآية، وهى قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحَديد: ٣]. . . إلخ على إحاطة الله تعالى بمخلوقاته.

س٤ : بين كيف أن قوله تعالى : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشّورى: ١١]، تدل على معنى التوحيد نفياً وإثباتاً.

س٥: اذكر رأى أهل السنة والجماعة في الصفات الآتية:

«المحبة، الرحمة، الغضب، الرضى، المجيء، النزول، الوجه، اليدين العينين، السمع، البصر، العَفْو، العزة».

س٦: ما هو منهج القرآن الكريم في نفى ما لا يليق بالله تعالى وإثبات ما يليق به من الصفات؟

س٧: اذكر بعض الآيات الدالة على صفة الاستواء، ثم بين رأى أهل السنة في هذه الصفة ثم بين رأى غيرهم وأبطله.

س٨: اذكر بعض الآيات الدالة على صفة الكلام.

س٩: اذكر بعض الآيات الدالة على رؤية الله تعالى، مبيناً رأى أهل السنة فيها، ورأى غيرهم مع إبطاله.



رؤية الله تعالى يوم القيامة عياناً

قال الشيخ: (وقد دّخل أيْضًا فِيما ذكرْناهُ مِن الإيمانِ بِهِ وبِكُتُبِهِ وبِملائِكتهِ وبِرُسُلِهِ: الإيمانُ بِأنّ الْمُؤْمِنِين يروْنهُ يوْم الْقِيامةِ عيانًا بِأبْصارِهِمْ كما يروْن الشّمْس صحْوًا ليْس بِها سحابٌ، وكما يروْن الْقمر ليْلة الْبدْرِ لا يُضامُون فِي رُؤْيتِهِ. يروْنهُ سُبْحانه وهُمْ فِي عرصاتِ الْقِيامةِ، ثُمّ يروْنهُ بعْد دُخُولِ الْجنّةِ؛ كما يشاءُ اللهُ تعالى).

الشـــرح:

يريد الشيخ ابن تيمية في هذا الفصل أنّ عقيدة أهل السنة والجماعة هو الإيمان برؤية الله تعالى يوم القيامة، عياناً بالأبصار، مثل ما نرى الشمس كأكمل ما تكون استضاءة لا يحجبها عنا سحاب، وكذلك مثل ما نرى القمر حين يكون بدراً أى مكتملاً نوره، وذلك في الليلة الرابعة عشرة، وأن هذه الرؤية ستكون فوق الأرض التى سيبعث الناس عليها يوم القيامة، وقد ورد في أحاديث كثيرة دلت كلها على رؤية الله تعالى.

ومن هذه الأحاديث حديثٌ أُخِذ عن البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لا تضامُون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس

وقبل الغروب فافعلوا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩][١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله: «**هل تضامون في ليلة البدر**»؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»[٢].

فهذان حديثان يدلان قطعاً على أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، ومع ذلك فإنا نجد بعض الفرق الإسلامية[٣] تنكر رؤية الله، وهم الجهمية أصحاب جهم بن صفوان والمعتزلة أصحاب واصل بن عطاء.

الخلاصة

أن مذهب أهل السنة والجماعة: أن المؤمنين سيرون ربهم في الآخرة عياناً بالأبصار وأنها من فروع الإيمان[٤]، وأن المكذب بها غير مؤمن.

ورؤية الله تعالى في الآخرة عامة وخاصة.

أما العامة: فإنها تكون في يوم القيامة وعلى عرصاتها يراه المؤمن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٩، ٥٤٧، ٤٥٧٠، ٦٩٩٧)، ومسلم (٦٣٣).
(٢) أخرجه البخاري (٧٧٣، ٦٢٠٤، ٧٠٠)، ومسلم (١٨٢).
(٣) أي المنتسبة للإسلام المحسوبة عليه.
(٤) أي شعبه الكبرى.

والكافر، والبار والفاجر، ثم يُحجب الكافرون، فلا يرونه تعالى بعد ذلك.

أما الخاصة: فهى رؤية الله تعالى في الجنة وهذه لا تكون إلا للمؤمنين ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: ٢٦]، والزيادة هى رؤيته تعالى[١]، أما الكافرون فإنهم لا يرونه تعالى في الجنة لأنهم لا يدخلونها ولذلك قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، أى وجوه حسنة مضيئة عند رؤية ربها تعالى وهى وجوه المؤمنين ووجوه عابسة كالحة لعدم رؤية الله تعالى، وهى وجوه الكافرين.

وقال تعالى في سورة المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطفّفِين: ١٥]، وهم الكفار الذين يحجبون عن رؤيته في الجنة.

---

(١) كما في صحيح مسلم (١٨١) عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، يقول الله ﷻ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: ٢٦]».

الأسئلة

١- هل تعرف أركان الإيمان؟ وهل رؤية الله في الآخرة من أركان الإيمان؟

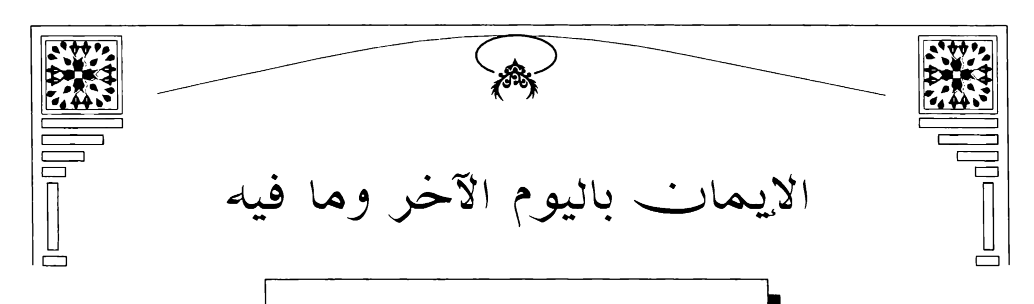
٢- ما حكم من ينكرون رؤية الله في الآخرة؟ وهل تعرف من فِرق المسلمين من ينكرها؟

٣- ما الدليل على رؤية الله تعالى في الآخرة؟ وهل يراه الكافرون يوم القيامة؟

٤- من الذين يرون الله في الجنة؟

٥- ما الدليل على أن المؤمنين يرون الله في الجنة دون الكافرين؟





الايمان باليوم الآخر وما فيه

١- فتنة القبر وعذابه

(ومِن الإِيمانِ بِالْيوْمِ الآخِرِ الإيمانُ بِكُلِّ ما أَخْبرَ بِهِ النّبِيُّ ﷺ مِمّا يكُونُ بعْدَ الْموْتِ، فيُؤْمِنُون بِفِتْنةِ الْقبْرِ، وبِعذابِ الْقبْرِ ونعِيمِهِ. فأمّا الْفِتْنةُ؛ فإِنّ النّاس يُمْتحنُون فِي قُبُورِهِمْ، فيُقالُ للرِّجُلِ: من رّبُك؟ وما دِينُك؟ ومن نّبِيُّك؟ فيُثبِّتُ اللهُ الّذِين آمنُوا بِالْقوْلِ الثّابِتِ فِي الْحياةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرةِ، فيقُولُ الْمؤْمِنُ: ربِّي اللهُ، والإِسْلامُ دِينِي، ومُحمّدٌ ﷺ نبِيِّي. وأمّا الْمُرْتابُ؛ فيقُولُ: هاه هاه؛ لا أدْري، سمِعْتُ النّاس يقُولُون شيْئًا فقُلْتُهُ، فيُضْربُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حدِيدٍ، فيصِيحُ صيْحةً يسْمعُها كُلُّ شيْءٍ؛ إلاّ الإِنْسان، ولوْ سمِعها الإِنْسانُ؛ لصُعِق).

الشرح:

مما يجب الإيمان به: الإيمان باليوم الآخر، وهذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، ومن أول ما يكون في اليوم الآخر، ويجب الإيمان به، وهو فتنة القبر، وهو سؤالُ المنكرِ والنكيرِ الميتَ، إذا أدخل القبر ووضع فيه وانصرف الناس.

والمراد بالقبر هو الحياة البرزخية وإن لم يكن في قبره حقيقة، حتى لو كان في بطن حيوان أو أحرق في النار.

وسؤال المنكر والنكير أن يقول الملكان للميت: من ربك؟ وما دينك ومن نبيك؟ فأما المؤمنون فيثبتهم الله تعالى على ما كانوا عليه من قبل في الدنيا ويجيبون إجابة صحيحة، وهي أن يقول: ربى الله والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي، فيقول الملكان بعد ذلك: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، ثم يفسح له في قبره مد البصر.

وأما المنافق الشاك المرتاب، فإنه إذا سئل فإنه يقول قولاً فيه اضطراب، حتى لا يجد ما يجيب به الملكين! فيقول: هاه هاه، ثم يضطرب فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، ثم يضربه الملكان بمطرقة من حديد، ثم يصيح صيحة - من شدة الألم - يسمعها كل شيء إلا الإنسان لأنه لو سمعها لصعق منها، ومثل الإنسان في هذا الجنُ.

وقد ورد في هذا أحاديث كثيرة منها ما رُويَ في الصحيحين، ومنها هذا الحديث الذي رواه الصحيحان عن قتادة عن أنس وهو أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره دنا منه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذ الرجل؟ - لمحمد ﷺ - فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدُ اللهِ ورسولُه ﷺ، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد**

أبدلك الله به مقعداً من الجنة، وقال فيراهما جميعاً، قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقولان: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧٣، ١٣٠٨) ومسلم (٢٨٧٠).
قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٢٤): وإذا قبضت الروح عرج بها إلى الله في أدنى زمان ثم تعاد إلى البدن فتسأل وهي في البدن... وكذلك ما وصف النبي ﷺ من حال الميت في قبره وسؤال منكر ونكير له والأحاديث في ذلك كثيرة. وقد ثبت في (الصحيحين) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا أقعد الميت في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله فذلك قوله**: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].
والناس في مثل هذا على ثلاثة أقوال:
١- منهم من ينكر إقعاد الميت مطلقًا لأنه قد أحاط ببدنه من الحجارة والتراب ما لا يمكن قعوده معه وقد يكون في صخر يطبق عليه وقد يوضع على بدنه ما يكشف فيوجد بحاله ونحو ذلك، ولهذا صار بعض الناس إلى أن عذاب القبر إنما هو على الروح فقط كما يقوله ابن ميسرة وابن حزم! وهذا قول منكر عند عامة أهل السنة والجماعة.
٢- وصار آخرون إلى أن نفس البدن يقعد على ما فهموه من النصوص.
٣- وصار آخرون يحتجون بالقدرة وبخبر الصادق ولا ينظرون إلى ما يعلم بالحس والمشاهدة وقدرة الله حق وخبر الصادق حق؛ لكن الشأن في فهمهم. وإذا عرف أن النائم يكون نائمًا وتقعد روحه وتقوم وتمشي وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالًا وأمورًا بباطن بدنه مع روحه ويحصل لبدنه وروحه =

أسئلة

١- ما المراد باليوم الآخر؟ وما حكم من لم يؤمن به؟ وما هى فتنة القبر؟

٢- وهل هى داخلة في أركان الإيمان؟

٣- هل تنعم الروح في القبر وتعذب بتنكيل القبر وعذابه؟

٤- ما حكم من لم يؤمن بفتنة القبر وعذابه؟

= بها نعيم وعذاب؛ مع أن جسده مضطجع؛ وعينيه مغمضة وفمه مطبق وأعضاءه ساكنة، وقد يتحرك بدنه لقوة الحركة الداخلة، وقد يقوم ويمشي ويتكلم ويصيح لقوة الأمر في باطنه؛ كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره؛ فإن روحه تقعد وتجلس وتسأل وتنعم وتعذب وتصيح وذلك متصل ببدنه؛ مع كونه مضطجعًا في قبره. وقد يقوى الأمر حتى يظهر ذلك في بدنه وقد يرى خارجًا من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به فيتحرك بدنه ويمشي ويخرج من قبره وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب ومن يقعد بدنه أيضا إذا قوي الأمر؛ لكن هذا ليس لازمًا في حق كل ميت؛ كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازمًا لكل نائم بل هو بحسب قوة الأمر. وقد عرف أن أبدانا كثيرة لا يأكلها التراب كأبدان الأنبياء وغير الأنبياء من الصديقين وشهداء أحد وغير شهداء أحد، والأخبار بذلك متواترة. لكن المقصود أن ما ذكره النبي ﷺ من إقعاد الميت مطلقًا هو متناول لقعودهم ببواطنهم وإن كان ظاهر البدن مضطجعًا. اهـ

٢- القيامة الكبرى

قال الشيخ: (ثُمّ بعْدَ هّذِهِ الْفِتْنَةِ إمّا نعِيمٌ وإِمّا عذابٌ، إِلى أَنْ تقُوم الْقِيامةُ الْكُبْرى، فتُعادُ الأرْواحُ إِلى الأجْسادِ، وتقُومُ الْقِيامةُ الّتِي أخْبرَ اللهُ بِها فِي كِتابِهِ، وعلى لِسانِ رسُولِهُ، وأجْمعَ عليْها الْمُسْلِمُون، فيقُومُ النّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِربِّ الْعالِمِين حُفاةً عُراةً غُرْلاً، وتدْنُو مِنْهُمُ الشّمْسُ ويُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ).

الشـــرح:

إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن تقوم الساعة أعاد الأرواح إلى أجسادها بعد بعثها وهذا يعرف باسم «القيامة الكبرى».

وإن بعث الأجساد وعودة الروح إليها ثانياً ثابت بالقرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، وتوجد كثير من الآيات تدل على بعث الله الأجساد، وإحيائها بعد موتها، وأما السنة فإن منها هذا الحديث: «إن السماء تمطر منياً كمنيِّ الرجال فينبتون في القبور كما ينبت النبات»[1].

---

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: «يقوم مَلَكٌ بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى خلق في السماوات والأرض إلا مات؛ =

. . . .

= إلا من شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم أحد إلا في الأرض منه شيء. قال: فيرسل الله ماءً من تحت العرش كَمَنِيِّ الرجال، فتنبت لحمانهم وجثمانهم من ذلك الماء كما تنبت الأرض من الثرى»، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فَاطِر: ٩].
قال: «ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، فتنطلق كل نفس إلى جسدها، حتى تدخل فيه، ثم يقومون، فيحيون حياة رجل واحد قيامًا لرب العالمين...» الحديث. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٣٧) والحاكم في «مستدركه» (٨٥١٩، ٨٧٧٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال البيهقي في «الشعب» (٣٥٥): وروينا بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود في أشراط الساعة في النفخة الأولى ثم في إرسال الله ماء من تحت العرش منيًا كمنِيّ الرجال حتى تنبت جسمانهم ولحمانهم من ذلك الماء ثم قيام ملك الصور نفخه فيه مرة أخرى وانطلاق كل نفس إلى جسمها ودخولهم فيه ثم قيامهم لرب العالمين ما يؤكد جميع ما نقلنا والله أعلم.اهـ
وأخرج البخاري (٤٦٥١، ٤٥٣٦) ومسلم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون» قالوا يا أبا هريرة أربعين يوماً؟ قال: أبيتُ قالوا أربعون سنة؟ قال: أبيت قالوا أربعون شهراً؟ قال: أبيت «ويبلى كل شيءٍ من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق، قال: ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة». =

ومنها أيضاً حديث العاص بن وائل حين جاء إلى النبي ﷺ بعظم ففتته بيده فقال: يا محمد يحيى الله هذا بعد ما رم قال النبي ﷺ: «**نعم، يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم**»[(١)]. وكذلك هذا دليل على بعث الأجساد، وإحيائها بعد موتها.

ثم إن الناس يقومون من قبورهم كيوم ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة غرلاً - أي غير مختونين - وتقرب منهم الشمس ويلجمهم العرق.

وقد ورد في «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**يقوم**

= وأخرج مسلم (٢٩٤٠) عن عبدالله بن عمرو في حديث الدجال وفيه: «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا ورفع لِيتًا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله** - أو قال ينزل الله - **مطرا كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**».. الحديث قوله: «**كأنه الطل**»، قال ابن الأثير: الطل: الذي ينزل من السماء في الصحو، والطل أيضا: أضعف المطر. وقال القاضي عياض في «المشارق» (١/ ٣١٩): والأشبه والأصح هنا اللفظة الأولى (يعني الطل بالطاء المهملة) لقوله في الحديث الآخر: «**كمني الرجال**»، والطل: المطر الرقيق.

(١) أخرجه ابن جرير (ج ٢٣/ ص ٢١)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه وصححه الضياء المقدسي في «المختارة» (٨٢). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
انظر «الدر المنثور» للسيوطي، وتفسير ابن كثير (سورة يس آية ٧٨).

الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في عرقه إلى أنصاف أذنيه»[١]
كما روى فيهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **«إنكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حفاةً عراةً غرلًا ، قالت عائشة: يارسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال يا عائشة: «الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»**[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥٤، ٦١٦٦) ومسلم (٢٨٦٢) عن ابن عمر: عن النبي ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطفّفين: ٦] قال: **«يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»** وفي رواية: **«يقوم الناس»**
(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٢) ومسلم (٢٨٥٩).

٣- ميزان الأعمال

قال الشيخ: (فتُنْصبُ الْموازِينُ، فتُوزنُ بِها أعْمالُ الْعِباد، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾.

الشـــرح:

دل القرآن والسنة النبوية على أن الله تعالى يزن الأعمال بميزانٍ ينصبُه يوم القيامة، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بالميزان، وأن الأعمال ستوزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال أَمَّا الحسنات فيسعد صاحبها، وأما السيئات فيشقى صاحبها، ومن الآيات التى دلت على الميزان قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ومن الأحاديث الدالة على الميزان عن النبي ﷺ أنه قال: **«توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات، والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته فاز، ودخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار»**، قيل: فمن استوت حسناته وسيئاته.

قال: «أولئك أصحاب الأعراف»[١].

من هذا نعلم أن الله تعالى جعل ميزانا توزن به الأعمال يوم القيامة، وأن الإيمان به واجب لكن كيفية هذا الميزان مجهولة لنا، وإن كان وصفه معلومًا وهو أنه ميزان ذو لسان، وكِفّتين[٢].

---

(١) لم أجده، وأحاديث الميزان ووزن الأعمال كثيرة، جمعها العلماء في كتب كثيرة منها «التذكرة» للقرطبي و«البحور الزاخرة» للسفاريني و«لوامع الأنوار البهية» له، و«البعث والنشور» للبيهقي، و«اليوم الآخر» للأشقر.
وأما أصحاب الأعراف فقد روى الحاكم (٣٤٨٩) والبيهقي في «البعث» (١٠١) عن حذيفة رضي الله عنه قال: أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك، قال: «قوموا ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم» قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. اهـ.
وقال البيهقي موقوف. اهـ.

(٢) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٠٢): الميزان: هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٩] وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»، وقال عن ساقي عبد الله بن مسعود: «**لهما في الميزان أثقل من أحد**» وفي الترمذي وغيره حديث البطاقة وصححه الترمذي والحاكم وغيرهما: «في الرجل =

. . . .

= **الذي يؤتى به فينشر له تسعة وتسعون سجلًا كل سجل منها مد البصر فيوضع في كِفة ويؤتى له ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله. قال النبي ﷺ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**». وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات، وبالعكس، فهو ما به تبين العدل. والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا. وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب.اهـ

قال العلامة السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٨٤): اعلم أن مراتب المعاد البعث والنشور ثم المحشر، ثم القيام لرب العالمين، ثم العرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمال، ثم السؤال والحساب، ثم الميزان.. قال علماؤنا كغيرهم: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال، قال ابن عباس - رضي الله عنهما: توزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة.

قال العلامة الشيخ مرعي في «بهجته»: الصحيح أن المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافا لبعضهم.

وقال القرطبي في «تذكرته»: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾، والحاصل =

. . . .

= أن الإيمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فالكتاب ما ذكرناه، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعرَاف: ٩] إلى غير ذلك من الآيات.. وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: إن ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم، لو وضعت السماوات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه.

قال في «البهجة»: في هذا: أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس، وهو كذلك ارتضاه الأئمة.

قال القرطبي في «تذكرته»: المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة حتى لا ترتفع، وترفع المظلمة ارتفاع الفارغة الخالية، قال: وأما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة، وإن كانت لهم أعمال بر وضعت في الكفة الأخرى فلا تقاومها إظهارًا بفضل المتقين وذل الكافرين، والحق أن الكفار لا يقيم الله لهم وزنا، لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، ومن قال: توزن أعمالهم لوروده في ظواهر عموم الآيات والأحاديث يجيب عن الآية الكريمة بأنه تعالى لا يقيم لهم وزنا نافعا كما في قوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفُرقان: ٢٣]، أي كالهباء في عدل نفعه، وحصول فائدته.

والحق أن مؤمني الجن كالإنس في الوزن، وكافرهم ككافرهم. وأخرج الحاكم وصححه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعهن، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك» وأخرجه الإمام عبد الله بن =

❀ ❀ ❀

= المبارك في «الزهد»، والآجري في «الشريعة» عن سلمان موقوفاً، وأخرج البزار والبيهقي في البعث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفة الميزان، ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعِد فلان ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا»، وذكر الثعلبي وغيره، وابن جرير في تفسيره، وابن أبي الدنيا عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام. وقال الحسن هو ميزان له كفتان، ولسان وهو بيد جبريل عليه السلام. وأخرج أبو الشيخ بن حيان في تفسيره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الميزان له لسان وكفتان. فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان كما قال ابن عباس والحسن البصري. وصرح بذلك علماؤنا والأشعريةُ وغيرُهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار. قال: وإن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط...اهـ

أسئلة

١- ما هى القيامة الكبرى؟ وما حكم من لم يؤمن بإعادة الأجسام والأرواح بعد موتها؟ .

٢- اذكر دليلاً من القرآن، والسنة على بعث الأجساد؟

٣- ما حكم من لم يؤمن بالميزان؟ .

٤- اذكر دليلاً من القرآن والسنة على الميزان؟ وهل حقيقة الميزان وكيفيته معلومتان لنا؟ وإذا لم تكنا معلومة فما الواجب الإيمان به؟ .

٤- الحساب وتطاير الصحف

قال الشيخ: (وتُنْشرُ الدّواوِينُ، وهِي صحائِفُ الأعْمالِ، فآخِذٌ كِتابهُ بيمِينِهِ، وآخِذٌ كِتابهُ بِشِمالِهِ أوْ مِنْ ورَاءِ ظهْرِهِ؛ كما قال سُبْحانهُ وتعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

ويُحاسِبُ اللهُ الخلائِقَ، ويَخْلُو بعبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فيُقرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كما وُصِفَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ والسُّنّةِ.

وأمّا الْكُفّارُ؛ فلا يُحاسبُون مُحاسبةَ مَنْ تُوزنُ حَسَناتُهُ وسيِّئاتُهُ؛ فإنّهُ لا حَسنات لهُمْ، ولكِنْ تُعدُّ أعْمالُهُمْ، فتُحْصى، فيُوقفُون عليْها ويُقرّرُون بِها).

الشـــرح:

يعنى يوم القيامة تنشر صحائف أعمال الناس عليهم، وعند ذلك ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: أهل اليمين، وأهل الشمال، ومن يؤتون كتابهم من وراء ظهورهم!

أما أهل اليمين فيأخذون كتب أعمالهم بأيمانهم، وأما أهل الشمال فيأخذون كتبهم بشمالهم، ومن يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم

حيث اشتدت أيديهم[١] إلى أعناقهم، فإنهم يؤتون كتبهم من وراء ظهورهم، فيأخذونها بشمائلهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾، ومن سورة الحاقة قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[٢].

---

(١) يعني: أيمانهم.

(٢) قال العلامة السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٨٢): قال سعيد بن المسيب: الذي يأخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقيل: تنزع من صدره إلى خلف ظهره.
وقال مجاهد: في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠] قال: تجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه. يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بأن تخلع أو يدخلها من صدره أو تلوى، ويعطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من أمامه، ويعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامه. وقد جزم الماوردي بأن المشهور أن الفاسق الذي مات على فسقه دون توبة، يأخذ كتابه بيمينه، ثم حكى قولًا بالوقوف قال: ولا قائل بأنه يأخذه بشماله!
وقال يوسف بن عمر من المالكية: اختلف في عصاة الموحدين، فقيل: يأخذون كتبهم بأيمانهم، وقيل بشمائلهم، وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم، قيل: يأخذونها قبل الدخول في النار، فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها، وقيل يأخذونها بعد الخروج منها، والله أعلم.اهـ

ويحاسب الله الناس يوم القيامة[١] وينقسمون قسمين. فأما المؤمنون فإن الله تبارك وتعالى يخلو بالواحد منهم ثم يحاسبه حسابًا يسيرًا، وهو أن يقرّره بذنوبه، ثم يعفو عنه، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾، هذا من القرآن الكريم وأما من السنة فإنه ورد عن ابن عمر أنه قال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه - أى جانبه- ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا وكذا؟ أتعرف ذنب كذا وكذا؟ أتعرف ذنب كذا وكذا؟ حتى إذا قرر بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: أدن منى فإنى قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**»[٢] ثم يقصى كتاب سيئاته.

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ولكنهم مع ذلك يطلعون على أعمالهم كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩][٣].

---

(١) قال شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ١٢٩): والله سبحانه يحاسب الخلق في ساعة واحدة لا يشغله حساب هذا عن حساب هذا. اهـ

(٢) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٣) سئل شيخ الإسلام عن الكفار: هل يحاسبون يوم القيامة أم لا؟ =

الخلاصة

أنه يجب الإيمان بأن الله تعالى سيحاسب المخلوقات على أعمالهم يوم القيامة، وأن صحائف أعمالهم تنشر، وأن منهم من يأخذها بيمينه وهم أهل السعادة، ومنهم من يأخذها بشماله، ومن وراء ظهورهم وهم أهل الشقاوة.

= فأجاب - كما في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٥) - فقال: هذه (المسألة) تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم، فممن قال: إنهم لا يحاسبون، أبو بكر عبد العزيز وأبو الحسن التميمي والقاضي أبو يعلى وغيرهم. وممن قال: إنهم يحاسبون، أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد وأبو سليمان الدمشقي وأبو طالب المكي.

وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم، وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات. فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار. وإن أريد المعنى الثاني فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر. وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب؛ فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب كما أن أبا طالب أخف عذابا من أبي لهب. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النّحل: ٨٨] وقال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [التّوبَة: ٣٧] والنار دركات فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذابا من بعض - لكثرة سيئاته وقلة حسناته - كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة.اهـ

أسئلة

١- ما هي صحائف الأعمال، وهل يجب الإيمان بها؟ وما حكم من لم يعترف بها؟

٢- إلى كم قسم ينقسم الناس بالنسبة لصحائف أعمالهم؟

٣- ما معنى حساب الله المؤمنين حساباً يسيراً؟

٤- ما علامة أهل السعادة في يوم القيامة، كذا أهل الشقاوة؟

٥ - الحوض

قال الشيخ: (وفِي عَرَصاتِ الْقِيامةِ الْحوضُ الْموْرُودُ لِلنّبِيِّ ﷺ، ماؤُه أشدُّ بياضًا مِن اللّبنِ، وأحْلى مِن الْعسلِ، آنِيتُهُ عددُ نُجُومِ السّماءِ، طُولُهُ شهْرٌ، وعرْضُهُ شهْرٌ، من يّشْربُ مِنْهُ شرْبةً؛ لا يظْمأُ بعْدها أبدًا).

الشـــرح:

مما يجب الإيمان به أن الله تعالى خص محمداً ﷺ بنهر عظيم يكون في يوم القيامة وعلى أرضٍ مسافتها مسيرة شهر طولاً، ومسيرة شهر عرضاً، فهو إذاً مربع، ولذا يسمى (بالحوض) وماؤه أبيض - لوناً - من اللبن، وأحلى - مذاقاً - من العسل، وأنّ من يشرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبداً، وقد دل عليه القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، وقد فسر النبي ﷺ الكوثر، فقال: «أعطانية ربي ﷻ في الجنة يشرب منه خلق كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة كيزانه عدد الكواكب»(١)، وعن عبد الله بن عمرو قال: قال

---

(١) أخرجه أحمد (١١٩٩٦)، ومسلم (٤٠٠، ٢٣٠٤)، وأبو داود (٧٨٤، ٤٧٤٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١١٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٥٧٩) عن أنس بن مالك قال: أغفى النبي ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه متبسما، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه أنزلت =

رسول الله ﷺ: «هو مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً»[١].

ومن هذين الحديثين يظهر أن الكوثر والحوض شيء واحد، وقيل أن الكوثر في الجنة، وأما الحوض فهو في أرض الحساب قبل الصراط أو بعده[٢].

= علي آنفا سورة»، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكَوثَر: ١] حتى ختمها قال: «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة، عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم فأقول: يا رب، إنه من أمتي فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٨) ومسلم (٢٢٩٢).

(٢) وقد ذهب إليه جمع من العلماء منهم الشيخ حافظ الحكمي في سلم الوصول حيث قال:

وحوض خير الخلق حق وبهِ ... يشرب في الأخرى جميع حزبه

ثم قال في شرحه معارج القبول (٢/ ٨٧١): وحوض خير الخلق نبينا محمد ﷺ وهو الكوثر الذي أعطاه ربه ﷻ حق لا مرية فيه.اهـ

والظاهر من صنيع السفاريني التفريق بين الحوض والكوثر إذ قال في نظمه:

كذا الصراط ثم حوض المصطفى ... فيا هنا لِمن به نال الشفا

فكن مطيعاً واقفُ أهل الطاعة ... في الحوض والكوثر والشفاعة.اهـ

وهو الذي اختاره الشيخ ابن عثيمين في شرح الواسطية (٢/ ١٥٧) وشرح =

. . . .

= السفارينية (ص/ ٤٨٥ ط البصيرة) إذ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مادة هذا الحوض تأتي من الكوثر والكوثر نهرٌ أعطاه الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ في الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، يصب منه ميزابان ولهذا تردُهُ الأمّة كلها وهو باقٍ لأنه يصب عليه هذان الميزابان.اهـ

قلت: وهو الأصح إن شاء الله، وأن الكوثر نهر في الجنة ويصب في الحوض في عرصات يوم القيامة لما صح بسند جيد عند ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (٧٢٢) عن أبي برزة الأسلمي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء مسيرة شهر عرضه كطوله فيه ميزابان مثعبان من الجنة من ورق وذهب أبيض من اللبن وأحلى من العسل فيه أباريق عدد نجوم السماء»** ولما روى البخاري (٦٢١٠) في كتاب الرقاق من صحيحه باب في الحوض وقول الله تعالى ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] من حديث أنس بن مالك: عن النبي ﷺ قال **«بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر»** قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٦٧): أشار البخاري إلى أن المراد بالكوثر النهر الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض كما جاء صريحاً في هذا الحديث. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر أيضاً في «فتح الباري» (١١/ ٤٦٦): وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وبعد نصب الصراط، إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه، وقد أخرج أحمد والترمذي من حديث النضر بن أنس عن أنس قال: سألت =

. . . .

= رسول الله ﷺ أن يشفع لي، فقال: «**أنا فاعل**» فقلت: أين أطلبك؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط**» قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**أنا عند الميزان**» قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**أنا عند الحوض**» وقال أبو عبد الله القرطبي في «التذكرة» ذهب صاحب «القوت» وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، وذهب آخرون إلى العكس، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين: أحدهما، في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثرًا! قلت وفيه نظر لأن الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر لكونه؛ يُمَدُّ منه، فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أنّ الحوض يكون قبل الصراط، فإن الناس يردون الموقف عطاشى، فيرِدُ المؤمنون الحوض، وتتساقط الكفار في النار، بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال أَلا ترِدون، فيظنونها ماءً، فيتساقطون فيها، وقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر «**أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة**»، وله شاهد من حديث ثوبان، وهو حجة على القرطبي لا له لأنه قد تقدم أن الصراط جسر جهنم، وأنه بين الموقف والجنة، وأن المؤمنين يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه، لحالت النار بينه وبين الماء الذي يُصَبُّ من الكوثر في الحوض، وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها، وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «**ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض**».اهـ

قلت: والظاهر من صنيع شيخ الإسلام هنا أن الحوض قبل الصراط، لأنه ذكره قبل الصراط.

الخلاصة

أنه يجب الإيمان بأن الله تعالى خص سيدنا محمدًا بالحوض، الذي ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل وأطيب من ريح المسك وأنَّ طوله مسيرة شهر، وعرضه مسيرة شهر، وأن من شرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبداً، وهذا تكريم من الله لنبيه محمد ﷺ ولأتباعه المؤمنين[1].

---

(١) قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية»: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضعٌ وثلاثون صحابياً، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير، تغمده الله برحمته، في آخر تاريخه الكبير، المسمى «بالبداية والنهاية». فمنها: ما رواه البخاري رحمه الله تعالى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء». وعنه أيضا عن النبي ﷺ قال: «ليردن علي ناس من أصحابي، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصيحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك». رواه مسلم. وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك، قال: «أغفى رسول الله ﷺ إغفاةً، فرفع رأسه مبتسمًا، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: إنه أنزلت علي آنفا سورة، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾»[الكوثر: ١]، حتى ختمها، ثم قال لهم: «هل تدرون ما الكوثر»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». ورواه مسلم، ولفظه: «هو نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة»، والباقي مثله. =

. . . .

= ومعنى ذلك أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض، والحوض في العَرَصات قبل الصراط، لأنه يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط. وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا فَرَطُكُم على الحوض**». والفَرَطُ: الذي يسبق إلى الماء. وروى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم**». قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش - وأنا أحدثهم هذا - فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد: فأقول: «**إنهم من أمتي فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فقال: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي**». سحقًا: أي بعدًا. والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يُمَدُّ من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر. وفي بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في حال من المسك والرضراض من اللؤلؤ قضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء. وقد ورد في أحاديث: «**إن لكل نبي حوضًا، وإن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا**». جعلنا الله منهم بفضله وكرمه. قال العلامة أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى في «التذكرة»: واختلف =

أسئلة

١- ماحكم الإيمان بالحوض، وما حكم من لم يؤمن به؟.

٢- هل الحوض غير الكوثر؟ أوهما شيء واحد؟بين لنا رأيك في هذا الدليل؟.

٣- بين مقدار ذلك الحوض، وصِفْ ما فيه من الماء؟.

❀ ❀ ❀

= في الميزان والحوض: أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل: الميزان، وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم، فيقدم قبل الميزان والصراط. قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ، في كتاب «كشف علم الآخرة»: حكى بعض السلف من أهل التصنيف، أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله. قال القرطبي: هو كما قال، ثم قال القرطبي: ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء. انتهى. فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأَخلِقْ بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر. اهـ

٦- الصراط والقنطرة

قال الشيخ : (والصِّراطُ منْصُوبٌ على متْنِ جهنّمَ، وهُو الْجِسْرُ الّذِي بيْن الْجنّةِ والنّارِ، يمُرُّ النّاسُ عليْهِ على قدْرِ أعْمالِهِمْ، فمِنْهُمْ منْ يمُرُّ كلمْحِ الْبصرِ، ومِنْهُم من يمُرُّ كالْبرْقِ، ومِنْهُم من يمُرُّ كالرِّيحِ، ومِنْهُم من يمُرُّ كالْفَرَسِ الْجَوَادِ، ومِنْهُم من يمُرُّ كرِكابِ الإِبِلِ، ومِنْهُم من يعْدُو عدْوًا، ومِنْهُم من يمْشِي مشْيًا، ومِنْهُم من يزْحفُ زحْفًا، ومنْهُم من يُخْطفُ خطْفًا ويُلْقى فِي جهنّم؛ فإِنّ الْجِسر عليْهِ كلالِيبُ تخْطِفُ النّاسَ بِأعْمالِهِم، فَمَنْ مَرَّ على الصِّراطِ؛ دخل الْجنّةَ. فإِذا عبرُوا عليْهِ؛ وُقفُوا على قنْطرةٍ بيْن الْجنّةِ والنّارِ، فيُقْتصّ لِبعْضِهِم مِن بعْضٍ، فإِذا هُذِّبُوا ونُقُّوا؛ أُذِن لهُمْ فِي دُخُولِ الْجنّةِ).

الشـــرح:

مما يجب الإيمان به الصراط، وهو طريق ممتد فوق جهنم يجتازه الناس قبل دخولهم الجنة، فمن نجى دخل الجنة، ومن لم ينجُ سقط في النار، والناس متفاوتون في المرور عليه سرعةً وبُطأً، فمنهم من يَمُرُّ عليه كَوَمْضَةِ عينٍ، ومنهم يمر عليه مرورَ البرق، ومنهم يمر عليه مرورَ الريح، ومنهم من يمر عليه مرور الراكب على الإبل، ومنهم من يعدو عدواً شديداً، ومنهم من يمشي مشياً بطيئاً، ومنهم من يزحف على يديه ورجليه، أو على بطنه، ومنهم من تأخذه الكلاليب إلى جهنم.

وبعد المرور على الصراط يمرون على قنطرة ممتدة بين الجنة والنار لِيُنقّوا من المعاصي، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا دخلوا الجنة مهذبين سالمين من كل ما يشينهم.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على الصراط والقنطرة منها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ - من حديثٍ ورد في «الصحيحين» - قال فيه: **«والجسر بين الجنة وجهنم فأكون أنا وأمتي أول من يعبر على الصراط، ولايتكلم من ذلك اليوم إلا الرسل، ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السّعْدان[1] غير أنه لايعلم قدر عظمتها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم»[2].**

---

(١) السعدان نبت له شوك.

(٢) أخرجه البخاري (٧٧٣، ٦١٣٠، ٦٩١٥، ٦٢٠٤) ومسلم (١٨٢).

قال السفاريني في «اللوامع» (٢/ ١٨٩): قال القرطبي في «تذكرته»: اعلم رحمك الله تعالى، أن في الآخرة صراطين، أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم؛ إلا من دخل الجنة بغير حساب؛ وإلاّ من يلتقطه عنق من النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه، ولا يخلص عنه المؤمنون، الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم حبسوا على صراط خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله تعالى؛ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم التي يسقط فيها من أوبقته ذنوبه وزاد على الحساب جرمه وعيوبه، فقد أخرج البخاري والإسماعيلي في «مشيخته» واللفظ له عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: **«يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة** =

الخلاصة

يجب الإيمان بأن الله تعالى سيبني جِسراً فوق جهنم، تمر عليه الناس يوم القيامة، وهم مختلفون في مرورهم سرعةً وبطأً، والسعيد من يجتازه والشقي من لا يستطيع اجتيازه، فيسقط في جهنم، وبعد الصراطِ القنطرةُ التي يقف الناس فوقها قبل دخول الجنة لينقوا ويهذبوا.

= والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا» قال قتادة: كان يقال: ما يشبه بهم إلَا أهل الجمعة انصرفوا من جمعتهم. قال القرطبي: هذا في حق من لم يدخل النار من عصاة الموحدين، أمّا من دخلها ثم أخرج فإنهم لا يحبسون بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة. قال الحافظ ابن حجر: قوله: «يخلص المؤمنون من النار» أي: ينجون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط فيها. قال: واختُلِف في القنطرة المذكورة، فقيل: إنها من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: إنها صراط آخر، وبه جزم القرطبي. قال الحافظ جلال الدين الأسيوطي في كتابه «البدور السافرة في علوم الآخرة»: والأول - يعني أنه طرف الصراط الذي يلي الجنة - هو المختار الذي دلت عليه أحاديث القناطر والحساب على الصراط. انتهى.

أسئلة

١- هل يجب الإيمان بالصراط؟ وما الدليل على هذا؟

٢- وبين كيف يختلف الناس في مرورهم فوق الصراط ولماذا؟

٣- ومن أول من يجتاز الصراط من الأمم؟.

٧ - أول من يستفتح الجنة ويدخلها

قال الشيخ: (وأوّلُ من يسْتفْتِحُ باب الْجنّةِ مُحمّدٌ ﷺ، وأوّلُ من يدْخُلُ الْجنّة مِن الأُممِ أُمّتُهُ).

الشرح:

ثبت في السنة أن أول من يقرع باب الجنة محمد ﷺ، وأول من يدخلها، فقد روى مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثر الناس أتباعاً يوم القيامة وأول من يقرع باب الجنة**»(١) وروى(٢) كذلك من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**نحن الآخِرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة**».

فالحديث الأول يدل على أن أول من يقرع باب الجنة مستفتِحاً سيدُنا محمدٌ ﷺ، وأنه أكثر أتباعاً يوم القيامة.

وأما الحديث الثاني فإنه يدل على أول من يدخل الجنة أمةُ محمد ﷺ

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه مسلم (١٩٦) وفيه: «تبعاً» بدل «أتباعاً».
(٢) أي مسلم في صحيحه (٨٥٥).

أسئلة

١- من أول من سيفتح الجنة، وما الدليل على هذا؟

٢- من أول من سيدخل الجنة من الأمم؟.

٣- من أكثر الرسل أتباعاً يوم القيامة؟.

٨ - الشفاعة وأقسامها

قال الشيخ: (وله ﷺ فِي الْقِيامةِ ثلاثُ شفاعاتٍ: أمّا الشّفاعةُ الأُوْلى؛ فيشفعُ في أهْلِ الْموْقِفِ، حتّى يُقْضى بيْنهُمْ بعْد أنْ يتراجع الأنْبِياءُ؛ آدمُ، ونُوحٌ، وإِبْراهِيمُ، ومُوسى، وعِيسى ابْنُ مرْيم عنِ الشّفاعةِ حتّى تنْتهِي إليْهِ. وأمّا الشّفاعةُ الثّانِيةُ؛ فيشْفعُ فِي أهْلِ الْجنّةِ أن يدْخُلُوا الْجنّة. وهاتان الشّفاعتانِ خاصّتانِ لهُ. وأمّا الشّفاعةُ الثّالِثةُ؛ فيشْفعُ فِيمنِ اسْتحقّ النّار، وهذِهِ الشّفاعةُ لهُ ولِسائِرِ النّبِيِّين والصِّدِّيقِين وغيْرِهِمْ، فيشْفعُ فِيمنِ اسْتحقّ النّار أن لاّ يدْخُلها، ويشْفعُ فِيمنْ دخلها أن يخْرُج مِنْها. ويُخْرِجُ اللهُ مِن النّارِ أقْوامًا بِغيرِ شفاعةٍ؛ بلْ بِفضْلِهِ ورحْمتِهِ، ويبْقى فِي الْجنّةِ فضْلٌ عمّنْ دخلها مِنْ أهْلِ الدُّنْيا، فيُنْشِئُ اللهُ لها أقْوامًا فيُدْخِلُهُمُ الْجنّة.

وأصْنافُ ما تضمّنتْهُ الدّارُ الآخِرةُ مِن الْحِسابِ والثّوابِ والْعِقابِ والْجنّةِ والنّارِ وتفاصِيلُ ذلِك مذْكُورةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنزّلةِ مِن السّماءِ، والآثارِ مِن الْعِلْمِ الْمأْثُورِ عنِ الأنْبِياءِ، وفِي الْعِلْمِ الْموْرُوثِ عنْ مُحمّدٍ ﷺ مِنْ ذلِك ما يشْفِي ويكْفِي، فمنِ ابْتغاهُ وجدهُ).

الشـــرح:

ثبت أن النبي ﷺ له شفاعتان خاصتان به.

أولاهما : شفاعة في الناس يوم الموقف حتى يقضيَ الله بينهم ، وذلك أنها تعرض على آدم ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى بن مريم عليهم السلام فلا يستطيعون القيام بها ، ثم يقوم بها النبي ﷺ بعد أن يسجد تحت العرش، ثم يستجاب له فيشفع في تعجيل الحساب للناس، وصرفهم من الموقف .

ثانيهما : شفاعته عليه الصلاة والسلام في أهل الجنة أن يدخلوها .

وقد ورد في السنة كثير من الأحاديث التي تدل على الشفاعة الأولى ، وهي في صرف الناس للحساب، وفيها رُوِيَ في الصحيحين عن أبي هريرة فيه : «**يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغتم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم فيأتون آدم**» . . الخ[(١)] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم(١٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : «**أنا سيد القوم يوم القيامة ، هل تدرون بم؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ، فيقول بعض الناس : أبوكم آدم فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول : ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ،** =

وهناك بعد ذلك شفاعة ثانية، وهي التي تكونولين والآخرين في فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلوها، وهذه الشفاعة عامة لسائل الرسل والنبيين والصديقين والعلماء والصالحين وهناك قوم يخرجون من النار بفضل الله بدون شفاعة أحد، وهناك أقوم ينشئهم الله نشأ ليملأ ما بقي من الجنة وهؤلاء مخلوقون بفضل الله ويدخلون الجنة من غير عمل.

= ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، أما ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي، ائتوا النبي ﷺ، فيأتوني فأسجد تحت العرش، فيقال يا محمد ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسل تعطه».

أقسام الشفاعة(١)

(١) يعني أقسام الشفاعة المثبتة، أما الشفاعة المنفية فذاك باب آخر غير ما نحن بصدده هنا. وذلك أن الشفاعة من حيث النفي والاثبات قسمان:

القسم الأول: شفاعة مثبتة في القرآن والسنة، وهي التي يتكلم عليها المصنف هنا.

والقسم الثاني: شفاعة منفية، وهي التي نفاها الله في القرآن ونفاها النبي ﷺ في السنة، وهي الشفاعة للكفار والمشركين بالنجاة من النار ودخول الجنة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] وقال: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨] وقال عن المشركين: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] وقال عنهم أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] فأبطل الله شفاعة من اتخذ شفيعًا بزعم أنه يقربه إلى الله وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته؛ لأنه جعله شريكًا لله يرغب إليه ويرجوه ويتوكل عليه، ويصرف له أنواع العبادة من الذبح والنذر والطواف والدعاء والاستغاثة والخوف والرجاء وغير ذلك، فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين ولا يشفع فيهم أحد، ولا يقبل الله منهم شيئًا.

والنوع الثاني: الشفاعة المثبتة التي أثبتها القرآن والسنة وهي خالصة =

يؤخذ من الأحاديث أن الشفاعة ستة أقسام[1]:

الأول: الشفاعة الكبرى، وهي التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل عليهم السلام حتى تنتهي التي سيدنا محمد ﷺ فيقول: «أنا لها» ثم يشفع في صرف الناس للحساب.

الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها، وقد وردت في حديث أبي هريرة.

= لأهل الإخلاص، كما قال النبي ﷺ: «هي نائلة من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا» رواه مسلم.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة أنه سأل النبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه».

وقد قيد الله تعالى حصولها بأمرين:

الأول: إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والثاني: رضاه عن المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦] فلا شفاعة عند الله إلا بعد إذنه ورضاه، وهو لا يأذن إلا لمن ارتضى من الملائكة والنبيين وسائر المؤمنين، ولا يرضى إلاّ بالتوحيد ولأهله.

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤١) وفتح المجيد بشرح كتاب التوحيد: (١/ ٣٦١) ط الفريان.

الثالث: شفاعته لقوم عصاه من أمته قد استحقوا دخول النار بذنوبهم فيشفع الرسول لهم أن لا يدخلوها.

الرابع: شفاعته في العصاه من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم أن يخرجوا منها والأحاديث متواترة فيها.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في رفع درجاتهم ومراتبهم وهذا لم ينازع فيه أحد.

السادس: شفاعته في بعض الكفار من أهل النار يخفف عذابه وهذه خاصة بأبي طالب.

★ أقوال الناس في الشفاعة.

ثم الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال وهي:

أولاً: قول المشركين والنصارى والمبتدعين من الدين[١] وهو قول باطل[٢].

---

(١) كذا! ولعل في العبارة تحريفاً وسقطاً، ويكون المعنى الصحيح: «قول المشركين والنصارى والمبتدعين من الذين [أجازوا الشفاعة مطلقاً لكل أحد في كل أحد]، وهو قول باطل».

(٢) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١/ ١١٨): الشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهي أن يشفع الشفيع إلى غيره ابتداء فيقبل شفاعته، فأما إذا أذن له في أن يشفع فشفع؛ لم يكن مستقلًا بالشفاعة بل يكون مطيعًا له أي تابعًا له في الشفاعة، وتكون شفاعته =

ثانياً: قول المعتزلة والخوارج الذين أنكروا شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الكبائر وهذا القول باطل أيضاً.

ثالثاً: قول أهل السنة والجماعة الذين يقولون بشفاعة محمد ﷺ،

= مقبولة ويكون الأمر كله للآمر المسئول. وقد ثبت بنص القرآن في غير آية: أن أحدًا لا يشفع عند الله تعالى إلا بإذنه. كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سَبَأ: ٢٣] وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وأمثال ذلك، والذي يبين أن هذه هي الشفاعة المنفية: أنه قال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ [الأنعَام: ٥١] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ﴾ [السَّجدَة: ٤] فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع. وأما نفي الشفاعة بدون إذنه: فإن الشفاعة إذا كانت بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية التي بإذنه ليست من دونه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾. وأيضًا فقد قال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [الزُّمَر: ٤٣ - ٤٤] فذم الذين اتخذوا من دون الله شفعاء وأخبر أن لله الشفاعة جميعًا؛ فعلم أن الشفاعة منتفية عن غيره إذ لا يشفع أحد إلا بإذنه وتلك فهي له، وقد قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يُونس: ١٨].اهـ

وكذلك يقولون بشفاعة غيره من الصديقين والعلماء والصالحين[١].

الخلاصة

أنه يجب الإيمان بالشفاعة الخاصة للنبي ﷺ في صرف الناس من الموقف إلى الحساب، كما يجب الإيمان بالشفاعات العامة للنبيين والصديقين والعلماء والصالحين، وكل ذلك ثابت بإثبات السنة وإجماع السلف.

---

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١/ ١١٦): الخوارج والمعتزلة على منع الشفاعة لأهل الكبائر إذ منعوا أن يشفع لمن يستحق العذاب أو أن يخرج من النار من يدخلها ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب. ومذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان. وأيضا: فالأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ في الشفاعة: فيها - استشفاع أهل الموقف ليقضى بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه نوع شفاعة للكفار. وأيضا: ففي «الصحيح» عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال: **«نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»** وعن عبد الله بن الحارث قال: سمعت العباس يقول: قلت: يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: **«نعم؛ وجدته في غمرات من نار فأخرجته إلى ضحضاح»** فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب بل في أن يجعل أهون أهل النار عذابًا. اهـ

أسئلة

١- ما هي الشفاعة الخاصة؟ ولمن تكون، وفي أي شيء تكون؟

٢- ما أقسام الشفاعة؟ ولمن تكون الشفاعة العامة؟

٣- ما هي أقوال الناس في الشفاعة؟ وما الصحيح منها وما الباطل؟

الإيمان بالقدر

قال الشيخ: (وتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النّاجِيةُ أَهْلُ السُّنّةِ والْجماعةِ بِالْقدرِ خيْرِهِ وشرِّهِ. والإِيمانُ بِالْقدرِ على درجتينِ؛ كُلُّ درجةٍ تتضمّنُ شيْئيْنِ:

فالدّرجةُ الأُولى: الإيمانُ بِأنَّ الله تعالى علِيمٌ بِالْخلْقِ، وهُمْ عامِلُون بِعِلْمِهِ الْقدِيمِ الّذِي هُو موْصُوفٌ بِهِ أزلاً وأبدًا، وعَلِمَ جمِيع أحْوالِهِم مِّن الطّاعاتِ والْمعاصِي والأرْزاقِ والآجالِ، ثُمّ كتب اللهُ فِي اللّوْحِ الْمحْفُوظِ مقادِير الْخلْقِ، «فأوّلُ ما خلق اللهُ الْقلم قال لهُ: اكْتُبْ. قال: ما أكْتُبُ؟ قال: اكْتُبْ ما هُو كائِنٌ إِلى يوْمِ الْقِيامةِ». فما أصاب الإِنْسان لمْ يكُن لِّيُخْطِئهُ، وما أخْطأهُ لمْ يكُن لِّيُصِيبهُ، جفّتِ الأقْلامُ، وطُوِيتِ الصُّحُفُ؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحجّ: ٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] وهذا التّقْدِيرُ التّابعُ لِعِلْمِهِ سُبْحانهُ يكُونُ فِي مواضِع جُمْلةً وتفْصِيلاً: فقدْ كتب فِي اللّوْحِ الْمحْفُوظِ ما شاء. وإِذا خَلَقَ جَسَدَ الْجنِينِ قبْلَ نفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بعثَ إِليْهِ ملكًا، فيُؤْمرُ بِأرْبعِ كلِماتٍ، فيُقالُ لهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وأجلَهُ، وعَمَلَهُ، وشقِيٌّ أمْ سعِيدٌ.. ونحْو ذلِك. فهذا التّقْدِيرُ قدْ كان يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقدرِيّةِ قدِيمًا، ومُنْكِرُهُ الْيوْم قلِيلٌ).

الشـــرح:

الدرجة الأولى من القدر: أن الله تعالى يعلم أزلاً[١] كل ما هو مقدّر على العبد، فيجب على العبد أن يؤمن بأن الله تعالى يعلم أزلاً كل ما هو مقدر على العبد، وأن كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ أزلاً[٢]، ولذلك كان القدر على العبد له حالان:

١- الأول أن الله تعالى عالم بعلمه الأزلى ما يعمله الخلق من الطاعات والمعاصي أو الكفر والإيمان، ويعلم حال البارِّ والفاجر، والمؤمن والكافر، ويعلم آجالهم وأرزاقهم وسعادتهم وشقاءهم

٢- كما يجب أن يؤمن بأن الله تعالى كتب كل شيء في اللوح المحفوظ وأنه كتب مقادير الأشياء أزلاً[٢]، و«**أنه أول ما خلق الله**

---

(١) الأزل القدم الذي ليس له ابتداء، كما أن الأبد استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في المستقبل.

(٢) في هذا نظر! لأن كتابة القدر -في هذا الكون- لها ابتداء وهو يوم خلق الله القلم، والأزل كما تقدم هو ما ليس له ابتداء. فعلى هذا ليعلم أن مرتبة العلم أزلية أما مرتبة الكتابة فليست أزلية، هذا بالنسبة لهذا القدر المكتوب، أما أفعال الله تعالى، فهي أزلية لا ابتداء له، فإن صفاته تعالى كذاته. قال النووي في باب احتجاج آدم وموسى من شرح صحيح مسلم: قوله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»، قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ =

القلم قال له أكتب قال ما أكتب» قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

وهناك تقدير آخر وهو الذي يكون عند خلق جسد الجنين وقبل وضع الروح حيث يرسل الله تعالى ملكاً يأمره بأن يكتب أربع كلمات هي: رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أم سعي، وهذه الدرجة هي الدرجة الأولى من درجات القدر.

إنكار غلاة القدرية هذا القدر

وهذا القدر الذي من علم الله أزلاً، والذي هو مسجل في اللوح المحفوظ، هذا القدر ينكره غلاة القدرية! ويقولون: لا قدر والأمر

= أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له.اهـ ويعني بأصل التقدير العلم؛ فإن مراتب القدر كلها تبع له.

وكلام شيخ الإسلام هنا واضح حيث قال فيما سبق في المتن: «وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا ... ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق» فهو صريح بالتفريق بين العلم فهو أزلي قديم لا أول له، والكتابة في اللوح عبّر عنها «بثم». أما صفة الكتابة لله تعالى فتلك صفة ذات أزلية قديمة. فهي من الصفات الذاتية الفعلية كصفة الكلام، لكن الكلام هنا في كتابة المقادير فإنها كانت بعد أن لم تكن. ككلامه بالقرآن ﷻ والله أعلم.

أُنُف[١]، يعني أن الله تعالى يعلم بالحوادث بعد وقوعها ويعلم بالموجودات بعد خلقها.

---

(١) أي مستأنف غير مقدر، وأن الله تعالى لم يعلم بالأشياء إلاّ بعد وقوعها وهم اتباع معبد الجهني الذي تبرأ منه عبد الله بن عمر كما في حديث جبريل الطويل وسبب روايته له في صحيح مسلم، وهؤلاء الغلاة كفرهم السلف لأنهم نفوا علم الله القديم، وهؤلاء انقرضوا.
أما الفرقة الثانية من نفاة القدر فهم المعتزلة، ومن وافقهم الذين يثبتون العلم، وهؤلاء ضلال وهم مجوس هذه الأمة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٨/ ٢٨٨): وإنما نازع في ذلك غلاة القدرية وظنوا أن تقدّم العلم يمنع الأمر والنهي وصاروا فريقين:
الفريق الأول: أقروا بالأمر والنهي والثواب والعقاب وأنكروا أن يتقدم بذلك قضاء وقدر وكتاب، وهؤلاء نبغوا في أواخر عصر الصحابة، فلما سمع الصحابة بدعهم تبرؤوا منهم، كما تبرؤوا منهم، وردَّ عليهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع وغيرهم وقد نص الأئمة - كمالك والشافعي وأحمد - على كفر هؤلاء الذين ينكرون علم الله القديم.
والفريق الثاني: من يقر بتقدم علم الله وكتابه لكن يزعم أن ذلك يغني عن الأمر والنهي والعمل، وأنه لا يحتاج إلى العمل، بل من قضى له بالسعادة دخل الجنة بلا عمل أصلًا ومن قضى عليه بالشقاوة شقي بلا عمل، فهؤلاء ليسوا طائفة معدودة من طوائف أهل المقالات، وإنما يقوله كثير من جهال الناس. وهؤلاء أكفر من أولئك وأضل سبيلًا، ومضمون قول هؤلاء تعطيل الأمر والنهي، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بكثير. =

❊ ❊ ❊

= وأما جمهور القدرية، فهم يقرون بالعلم والكتاب المتقدم لكن ينكرون أن الله خلق أفعال العباد، وإرادة الكائنات، وتعارضهم القدرية المجبرة الذين يقولون ليس للعبد قدرة ولا إرادة حقيقية ولا هو فاعل حقيقة وكل هؤلاء مبتدعة ضلال. اهـ.

الدرجة الثانية للقدر

قال الشيخ: (وأمّا الدّرجةُ الثّانِيةُ؛ فهِي مشِيئةُ اللهِ النّافِذةُ، وقُدْرتُهُ الشّامِلةُ وهُو: الإِيمانُ بِأنّ ما شاء اللهُ كانَ، وما لمْ يشأْ لمْ يكُنْ، وأنّهُ ما فِي السّمواتِ وما فِي الأرْضِ مِنْ حركةٍ ولا سُكُونٍ؛ إلاّ بِمشِيئةِ اللهِ سُبْحانَهُ، لا يكُونُ فِي مُلْكِهِ ما لا يُرِيدُ، وأنّهُ سُبْحانهُ على كُلِّ شيْءٍ قدِيرٌ مِن الْموْجُوداتِ والْمعْدُوماتِ، ما مِنْ مخْلُوقٍ فِي الأرْضِ ولا فِي السّماءِ إلاّ اللهُ خالِقُهُ سُبْحانهُ، لا خالِق غيْرُهُ، ولا ربّ سِواهُ. ومع ذلِك؛ فقدْ أَمَرَ الْعِبادَ بِطاعتِهِ وطاعةِ رُسُلِهِ، ونهاهُمْ عنْ معْصِيتِهِ. وهُو سُبْحانهُ يُحِبُّ الْمُتّقِينَ والْمُحْسِنِينَ والْمُقْسِطِينَ، ويرْضى عنِ الّذِينَ آمنُوا وعمِلُوا الصّالِحاتِ، ولا يُحِبُّ الْكافِرِينَ، ولا يرْضى عنِ الْقوْمِ الْفاسِقِينَ، ولا يأْمُرُ بِالْفحْشاءِ، ولا يرْضى لِعِبادِهُ الْكُفْرَ، ولا يُحِبُّ الْفسادَ).

الدرجة الثانية: وهو أن نؤمن بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن كل شيء بِقَدَرِه ومشيئته، وأنه لا خالق سواه فكل موجود أو معدوم في هذا الكون بقدرته وإرادته.

وهذه الإرادة تُعرف عند أهلِ السنة والجماعةِ بالإرادة الكونية[1]،

---

(١) أي التي يكون بها تكوين الكائنات، وخلقها. بأن يقول للشيء: كن فيكون.

وهذه الإرادة يجب وجود مرادها، وكل ما في الكون لا يكون إلا بهذه الإرادة وما لا يريده الله بهذه الإرادة لا يكون.

وأما الإرادة الأخرى فهي الإرادة الشرعية[١] وهذه لا يلزم وجود مرادها، فإن الله تعالى يريد بهذه الإرادة الإيمان من الكافر، ثم لا يكون إلا الكفر، فهذه الإرادة تساوي الأمر الشرعي، وهي تخالف المحبة[٢] فقد أمر الله تعالى الكافر بالطاعة ثم لا يجب[٣] أن تكون منه.

وقد تجتمع الإرادة الكونية والشرعية في إيمان المؤمن، وقد تنفرد الإرادة الكونية عن الإرادة الشرعية في كفر الكافر، وإذاً تكون الإرادة الكونية أعم من الإرادة الشرعية[٤].

---

(١) وهي التي يكون بها تشريع ما يحبه الله ويرضاه.

(٢) كذا! بالخاء المعجمة، ولعل صوابها (تحالف) بالحاء المهملة، بمعنى توافق المحبة، بمعنى أن الإرادة الشرعية تكون بمعنى المحبة الشرعية، أي أن الله يحب ما يأمر به شرعاً.

(٣) أي الوجوب الكوني.

(٤) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٨/ ١٩٧): قد أحاط ربنا ﷻ بكل شيء علمًا وقدرةً وحُكمًا؛ ووسع كل شيء رحمةً وعلمًا، فما من ذرة في السموات والأرض ولا معنى من المعاني، إلا وهو شاهد لله تعالى بتمام العلم والرحمة، وكمال القدرة والحكمة، وما خلق الخلق باطلًا، ولا فعل شيئًا عبثًا؛ بل هو الحكيم في أفعاله وأقواله ﷻ، ثم مِن حكمته ما أطلع بعضَ خلقه عليه، ومنه ما استأثر سبحانه بعلمه.
وإرادته قسمان: إرادة أمر وتشريع وإرادة قضاء وتقدير. =

. . . .

= **فالقسم الأول**: إنما يتعلق بالطاعات دون المعاصي، سواء وقعت أو لم تقع، كما في قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النِّساء: ٢٦] وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

وأما القسم الثاني: وهو إرادة التقدير، فهي شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات، وقد أراد من العالم ما هم فاعلوه، بهذا المعنى، لا بالمعنى الأول، كما في قوله تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعَام: ١٢٥] وفي قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [هُود: ٣٤]. وفي قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ونظائره كثيرة.

وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي، دون ما لم يحدث، كما أن الأولى تتناول الطاعات حدثت، أو لم تحدث والسعيد من أراد منه تقديرًا ما أراد به تشريعًا، والعبد الشقي من أراد به تقديرًا ما لم يرد به تشريعًا، والحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين، فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرًا، ومن نظر إلى القدر دون الشرع، أو الشرع دون القدر، كان أعورًا، مثل قريش الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعَام: ١٤٨].

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعَام: ١٤٨]. فإن هؤلاء اعتقدوا أن كل ما شاء الله وجوده وكونه وهي - الإرادة القدرية - فقد أمر به ورضيه دون الإرادة الشرعية، ثم رأوا أنّ =

. . . .

= شركهم بغير شرع، مما قد شاء الله وجوده، قالوا: فيكون قد رضيه وأمر به قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ بالشرائع من الأمر والنهي ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ﴾ بأن الله شرع الشرك وتحريم ما حرمتموه. ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ في هذا ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وهو توهمكم أن كل ما قدره فقد شرعه ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ أي تكذبون وتفترون بإبطال شريعته ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ على خلقه حين أرسل الرسل إليهم، فدعوهم إلى توحيده وشريعته، ومع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين، إلى متابعة شريعته؛ لكنه يَمُنُّ على من يشاء، فيهديه فضلًا منه وإحسانًا، ويحرم من يشاء؛ لأن المتفضل، له أن يتفضل وله أن لا يتفضل، فترك تفضله على من حرمه عدل منه وقسط، وله في ذلك حكمة بالغة، وهو يعاقب الخلق على مخالفة أمره وإرادته الشرعية، وإن كان ذلك بإرادته القدرية؛ فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضًا بعقابها، كما أنه سبحانه قد يقدر على العبد أمراضًا تعقبه آلامًا، فالمرض بقدره والألم بقدره؛ فإذا قال العبد: قد تقدمت الإرادة بالذنب، فلا أعاقب كان بمنزلة قول المريض قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم، وقد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا يحم مزاجي، أو قد تقدمت بالضرب، فلا يتألم المضروب، وهذا مع أنه جهل، فإنه لا ينفع صاحبه؛ بل اعتلاله بالقدر ذنب ثانٍ، يعاقب عليه أيضًا، وإنما اعتل بالقدر إبليس حيث قال: ﴿بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحجر: ٣٩].
وأما آدم فقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه، ومن أراد شقاوته اعتل بعلة إبليس أو نحوِها. فيكون كالمستجير =

***

= من الرمضاء بالنار. ومثله مثل رجل طار إلى داره شرارة نار؛ فقال له العقلاء: أطفئها لئلا تحرق المنزل فأخذ يقول: من أين كانت؟ هذه ريح ألقتها، وأنا لا ذنب لي في هذه النار، فما زال يتعلل بهذه العلل حتى استعرت وانتشرت وأحرقت الدار وما فيها. هذه حال من شرع يحيل الذنوب على المقادير ولا يردها بالاستغفار والمعاذير. بل حاله أسوأ من ذلك بالذنب الذي فعله بخلاف الشرارة فإنه لا فعل له فيها. والله سبحانه يوفقنا وإياكم وسائر إخواننا لما يحبه ويرضاه فإنها لا تنال طاعته إلا بمعونته ولا تترك معصيته إلا بعصمته. والله أعلم.اهـ

أفعال العباد

قال الشيخ: (والْعِبادُ فاعِلُون حقِيقةً، واللّهُ خَلَقَ أفْعالَهُم. والْعبْدُ هُو: الْمُؤْمِنُ، والْكافِرُ، والْبرُّ، والْفاجِرُ، والْمُصلِّي، والصّائِمُ. ولِلْعِبادِ قُدْرةٌ على أعْمالِهِمْ، ولهُمْ إرادةٌ، واللهُ خالِقُهُمْ وقُدْرتهُمْ وإِرادتِهُمْ؛ كما قالَ تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وهذِهِ الدّرجةُ مِن الْقدرِ يُكذِّبُ بِها عامّةُ الْقدرِيّةِ[1] الّذِين سمّاهُمُ النّبِيُّ ﷺ: «مجُوسِ هذِهِ الأُمّةِ»[2]، ويغْلُو فِيها قومٌ مِنْ أهْلِ الإِثْباتِ[3]

---

(١) المعتزلة ومن وافقهم ممن يثبت العلم السابق، لكنهم ينفون الكتابة والتقدير.

(٢) أخرجه أحمد (٥٥٨٤) وأبو داود (٤٦٩١) والحاكم (١/ ٨٥) والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٣) وفي «القدر» (٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩) وسكت عنه، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدهم**» وحسنه الألباني. وله شواهد من حديث حذيفة عند أبي داود (٤٦٩٢) وأحمد (٢٣٤٥٦) وابن أبي عاصم في السنة (٣٢٩) واللالكائي في «شرح السنة» (١١٥٥) والبيهقي في القدر (٤١٢، ٤١٣، ٤١٤) وسكت عن البيهقي وأبو داود، ومن حديث جابر عند البيهقي في القدر (٤١٥) وقال: ولهذا الحديث شواهد عن ابن عمر وأبي هريرة وفيما ذكرناه كفاية» اهـ.

(٣) الذين يثبتون التقدير والكتابة، ويريد بذلك الجبرية.

حتّى سلبُوا الْعبْد قُدْرتهُ واخْتِيارهُ، ويُخرِجُون عنْ أفْعالِ اللهِ وأحْكامِهِ حِكَمَها ومصالِحها).

الشرح:

يجب أن نؤمن بأن العباد فاعلون حقيقةً، وأن الله تعالى خالقٌ لهم قدرةً وإرادةً، فالعباد يريدون ما يفعلون، ويقدرون عليه، لكنَّ إرادتَهم تابعةٌ لإرادة الله، فلا يريدون إلا ما يريده الله تعالى[1]، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسَان: ٣٠].

وقد خالف في هذا:

أولاً الجهمية[2]: أصحاب جهم بن صفوان، وهؤلاء سلبوا عن العبد قدرته وإرادته، فالعبد عندهم كالريشة المعلقة في الهواء، ويؤدي مذهبهم هذا إلى إبطال التكليف ونفى الحِكَم والمصالح التي فيها.

ثانياً المعتزلة[3]: وأصل هذا المذهب لمعبد الجهني[4] وغيلان

---

(١) أي الإرادة الكونية التي بمعنى المشيئة.

(٢) القائلون بالجبر.

(٣) القائلون بنفي القدر.

(٤) معبد بن عبد الله بن عليم الجهني البصري: أول من قال بالقدر في البصرة سمع الحديث من ابن عباس وعمران بن حصين وغيرهما. وحضر يوم (التحكيم) وانتقل من البصرة إلى المدينة، فنشر فيها مذهبه. وعنه أخذ (غيلان) كما سيأتي وكان صدوقًا، ثقة في الحديث، من التابعين. وخرج =

الدمشقي[١] هؤلاء يقولون: إن للعبد قدرة وإرادة مطلقتين مستقلتين عن الله تعالى، فكأنهم وجدوا خالقاً غير الله تعالى وهو الإنسان[٢]، ولذلك سماهم النبي ﷺ «مجوس هذه الأمة» الذين يقولون بإلهٍ للخير وإلهٍ للشر، والحق هو المذهب الأول، الذي يقول به أهل السنة والجماعة وهو أن للإنسان قدرةً وإرادةً تستطيعان القيام بما كلفه الله به، ومع ذلك فهي خاضعة لإرادة الله تعالى وقدرته فلا يعملون إلا ما يريد الله تعالى[٣].

= مع ابن الاشعث على الحجاج بن يوسف، فجرح، فأقام بمكة، فقتله الحجاج، صبراً، بعد أن عذبه. وقيل: صلبه عبد الملك ابن مروان بدمشق، على القول في القدر، ثم قتله.

(١) هو غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان تنسب إليه فرقة «الغيلانية» من القدرية. وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، لم يسبقه سوى معبد الجهني. قال الشهرستاني في الملل والنحل: كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد، وفي الامامة إنها تصلح في غير قريش، وكل من كان قائمًا بالكتاب والسنة فهو مستحق لها، ولا تثبت إلا بإجماع الأمة.اهـ.
واتهم بأنه كان في صباه من أتباع الحارث بن سعيد، المعروف بالكذاب. وقيل: تاب عن القول بالقدر، على يد عمر بن عبد العزيز، فلما مات عمر جاهر بمذهبه فطلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، فصلب على باب كيسان بدمشق في خلافة هشام بن عبد الملك في نحو سنة ١٠٥هـ أو ما بعدها.

(٢) أي: خالق لأفعاله ومفعولاته.

(٣) قال البيهقي في كتاب «القدر» (ص ٢٨٣): قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: =

الخلاصة

أنه يجب الإيمان بأن الله تعالى يعلم أزلاً ما قدره علينا وأن ذلك في اللوح المحفوظ، كما يجب الإيمان بأن للإنسان إرادة وقدرة أعطاها الله تعالى له ليقوم بما كلفه الله حتى لا تسقط التكاليف وأن الإنسان لا يريد إلا ما يريده الله تعالى.

أسئلة

١- ما معنى قدر الله. وهل للعبد إرادة؟ وما مداها؟

٢- ما مذهب أهل السنة والجماعة في القدر؟ ولماذا كان مذهب أهل السنة في القدر مذهباً وسطاً؟

= إنما جعلهم مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة، يزعمون أنّ الخير من فعل النور، وأن الشر من فعل الظلمة، فصاورا ثنوية، وكذلك القدرية، يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره، والله تعالى خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلّا بمشيئته وخلقه الشر شرًا في الحكمة، كخلقه الخير خيرًا. اهـ.

يعني كله لحكمة بالغة. ثم قال: فالأمران معًا مضافان إليه تعالى خلقًا وإيجادًا، وإلى الفاعِلِين من عباده فعلًا واكتسابًا. اهـ.

الإيمان

(أ) الإيمان قول وعمل

قال الشيخُ: (ومِنْ أُصُولِ أهْلِ السُّنّةِ والْجماعةِ أنّ الدِّينَ والإيمانَ قوْلٌ وعملٌ، قوْلُ الْقلْبِ واللِّسانِ، وعملُ الْقلْبِ واللِّسانِ والْجوارِحِ. وأنّ الإيمان يزِيدُ بِالطّاعةِ، وينْقُصُ بِالْمعْصِيةِ).

١- تعريف الإيمان:

الإيمان لغةً: التصديقُ.

و **شرعاً**: تصديقٌ خاصٌّ، وهو التصديق المساوي لليقين الذي لا يكون قولُ مخبرِهِ عرضةً للصدقِ والكذبِ[1].

---

(١) قوله: تصديق خاصٌ فيه نظر؛ لأنَّ التصديق هو قول القلب فقط وإذا قلنا: تصديق خاص، قصرناه على الأخبار الشرعية الواردة من الشرع؛ بينما الإيمان أعمُّ من ذلك بل هو تصديق وقول وعمل، ولذلك قال العلماء: إن تعريفه شرعًا بالتصديق الخاص فيه قصور ونقص، نبّه على هذا العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في تقريره على الواسطية. وقال شيخ الإسلام في «الصارم المسلول» (ص ٤٥٧): الإيمان وإن كان يتضمن التصديق، فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة، وذلك لأنّ التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر، والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب، جماعه الخضوع والانقياد للأمر، =

. . . .

= وإن لم يفعل المأمور به، فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب، وهو الطمأنينة والإقرار، فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد. اهـ.

وقال أيضًا في كتاب «الإيمان» كما في «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٨٦): الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين:

١- تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا قول القلب، قال الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب، فلابد من قول القلب وعمله.

٢- ثم قول البدن وعمله ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله ﷺ، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله، وجعلها من الإيمان، ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، ولا يمكن أن يتخلَّف البدن عمّا يريده القلب، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب**» اهـ.

وقال أيضًا في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٣٨): معلوم أن أصل الإيمان هو الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وهو أصل العلم الإلهي، ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق. والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد، تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر كما أن الاقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له. اهـ.

٢- حقيقة الإيمان:

الإيمان مركب مِن قولٍ وعمل: قول بالقلب واللسان، وعمل بالقلب واللسان والجوارح.

أما قول القلب فهو الاعتقاد، وأما قول اللسان فهو التكلم بكلمتي الإسلام والإيمان.

٣- أقسام العمل:

والعمل قسمان:

أ- عمل القلب وهو الإخلاص والنية.

ب- وعمل الجوارح، وهي الأعضاء ويدخل في ذلك اللسان وإن كان عمله غير عملِها، فإن عمله الذكر والدعاء والثناء على الله.

٤- الإيمان يزيد وينقص:

الإيمان يزيد وينقص، عند أهل السنة والجماعة؛ فإنه يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها.

(ب) أهل القبلة لا يكفرون بالمعاصي

قال الشيخُ: (وهُمْ مع ذلِك لا يُكفِّرُون أهْل الْقِبْلةِ بِمُطْلقِ الْمعاصِي والْكبائِرِ؛ كما يفْعلُهُ الْخوارجُ؛ بلِ الأُخُوّةُ الإيمانِيّةُ ثابِتةٌ مع الْمعاصِي؛ كما قال سُبْحانهُ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٨] **وقال:** ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

الشرح:

١- المؤمن لا يَكْفُرُ بالمعاصى والكبائر[1]:

أهل السنة والجماعة لا يكفِّرون المؤمنَ العاصيَ، والكبائرُ إنما تنقص الإيمان فهو[2] ينقص عندهم بالمعاصي، ويبقى أصل الإيمان الذي يكون به مؤمناً إيماناً مطلقاً[3].

---

(١) التي دون الكفر والشرك.

(٢) أي الإيمان.

(٣) أي بلا وصف الكمال.

٢- المؤمن العاصى لا يخلد في النار:

لأن عنده أصلَ الإيمانِ، فالنبي ﷺ يقول: «فمن كان في قلبة مثقال ذرة من إيمان دخل الجنة»[(١)].

فإذا عمل المؤمن معصيةً من المعاصي، ومات على غير توبة، فإما

---

(١) لم أجده بها اللفظ، لكن جاء من حديث أبي سعيد في البعث والحساب ما يؤدي معناه وفيه: «... فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم، من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم، يقولون: ربنا إخواننا، كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا». قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النِّساء: ٤٠] فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقوامًا قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحِبة في حميل السيل، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة، إلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه» أخرجه البخاري (٧٤٣٩).

أن يدخل النار ليعذب فيها ، بمقدار معاصيه ثم يخرج منها ، ثم يدخل الجنة، وإما أن يعفو الله عنه، ويدخل الجنة من غير أن يدخل النار، وإما أن تكون له حسنات تزيد على سيئاته فيدخل الجنة من غير أن يدخل النار(١) .

٣- الخوارج يكفرون المؤمن بالمعاصي والكبائر :

ذهب الخوارج إلى أن المؤمن يكفُر بالكبائر والمعاصي، ويخلُد في النار، فلا يخرج منها أبداً .

٤- الفرق بين أهل السنة والجماعة، والخوارج :

أما أهل السنة فإنهم يقولون بأن الأعمال داخلة في الإيمان؛ إلا أن الأصل في الإيمان التصديق، فصاحب الإيمان يسمى مؤمناً بالمعنى المطلق(٢) وإنما يزيد الإيمان، وينقص بالعمل، فإذاً العمل ليس جزءاً أصلياً في الإيمان(٣) .

---

(١) وإما أن تستوي حسناته وسيئاته فيكون من أهل الأعراف حتى يقضى بين العباد فيما شاء ثم يدخل الجنة.

(٢) الذي يشمل أصل الإيمان وفروعه وشعبه.

(٣) بل هو جزء أصلي في الإيمان، وبعضه أركان يبطل الإيمان بعدمه كالنطق بالشهادتين والصلاة، وبعضه أركان ينقص بعدمه نقصانًا كبيرًا حتى لا يبقى معه إلّا أصل الإيمان، وبعضها دون ذلك، كما في الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذي عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» متفق عليه.

وأما الخوارج فإنهم جعلوا العمل جزءاً أصلياً في الإيمان مساوياً للتصديق[1]! فإذا انتفى أحد هذين الجزئين - التصديق أو العمل - انتفى الإيمان، ولذلك إذا انتفى العمل انتفى الإيمان فيكون كافراً، ويخلد في النار.

٥- المذهب الحق في ذلك:

وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الذي يقول: بعدم خلود من يفعل المعاصي والكبائر في النار قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: ٤٨].

٦- أدلة أهل السنة والجماعة على تسمية العاصي مؤمناً:

(أ) قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٨] من القصاص فالله تعالى جعل القاتل أخاً للمؤمن صاحب الدم.

(ب) قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [الحُجرَات: ٩] ففي هذه الآية دليل على أن الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين.

---

(١) يعني في الحكم وترتب الإيمان عليه وعدمه جعلوا الأعمال كلها أصلاً لثبوت الإيمان فمن أخل بجزء من فروع الإيمان فقط بطل إيمانه عندهم، بخلاف أهل السنة.

(ج) قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٠] وهذا دليل على أن الطائفتين المتقاتلتين أخوة للمؤمنين الذين يصلحون.

❊ ❊ ❊

(ج) أهل السنة والجماعة لا يسلبون الإيمان المطلق[١] عن العصاة

قالَ الشيخُ: (ولا يسْلُبُونَ الْفاسِق الْمِلِّيَّ اسْمَ الإيمانِ بِالْكُلِّيّةِ، ولا يُخلِّدُونهُ فِي النّار؛ كما تقُولُ الْمُعْتزِلةُ. بلِ الْفاسِقُ يدْخُلُ فِي اسْمِ الإيمانِ؛ كما فِي قوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّساء: ٩٢]، وقدْ لا يدْخُلُ فِي اسْمِ الإيمانِ الْمُطْلقِ؛ كما فِي قوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] وقوْلُهُ ﷺ: «لا يزْنِي الزّانِي حِين يزْنِي وهُو مُؤْمِنٌ، ولا يسْرِقُ السّارِقُ حِينَ يسْرِقُ وهُو مُؤْمِنٌ، ولا يشْربُ الْخمْرَ حِينَ يشْربُها وهُو مُؤْمِنٌ، ولا ينْتهِبُ نُهْبةً ذات شرفٍ يرْفعُ النّاسُ إِليْهِ فِيها أبْصارَهُمْ حِينَ ينْتهِبُها وهُو مُؤْمِنٌ»[٢].

ويقُولُون: هُو مُؤْمِنٌ ناقِصُ الإيمانِ، أوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمانِهِ فاسِقٌ بِكبِيرتِهِ،

---

(١) أي المجرد من وصف الكمال، بل الاسم فقط الذي يطلق على كل مسلم ولو كان ضعيف الإيمان كما في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» والمراد به المؤمن القوى في إيمانه وأنه خير من المؤمن الضعيف في إيمانه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا والنُهبة بضم النون وسكون الهاء: أخذ الشيء واغتنامه عيانًا وقهرًا.

فلا يُعْطى الاسْم الْمُطْلق، ولا يُسْلبُ مُطْلق الاسْمِ).

الشـــرح:

١- المعتزلة يقولون بخلود المؤمن الفاسق في النار:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن المؤمن الفاسق لا يسلب عنه اسم الإيمان بل هو مؤمن رغم فسقه، وأما المعتزلة فإنهم يقولون: إن المؤمن الفاسق يخلد في النار، ويسلب عنه اسم الإيمان لكن لا يسمى كافراً.

٢- الفرق بين المعتزلة والخوارج في العاصي:

(أ) الخوارج يقولون بكفر المؤمن العاصي ثم يقولون بخلوده في النار.

(ب) المعتزلة لا يسمون المؤمن العاصى كافراً وإنما يقولون هو في منزلة بين المنزلتين يعني لا مؤمناً مطلقاً، ولا كافراً مطلقاً! وإنما يتفقون مع الخوارج في أنه يخلد في النار.

٣- أدلة أهل السنة على أن المؤمن الفاسق لا يخلد في النار:

(أ) قال الله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّساء: ٩٢] تدل هذه الآية على أن القاتل لا يخلد في النار حيث قبل منه عتق رقبة مؤمنة[١] وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا

---

(١) والكافر لا يقبل من عمل ولا كفارة ما دام كافرًا. =

﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النِّساء: ٩٣]، فإن المراد بالخلود ليس عدم الخروج منها وإنما طول العذاب.

(ب) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨] فهذه الآية تدل على المؤمن لا يخلد في النار ولو كان فاسقاً[1].

= وفي الآية دليل على أنّ أي رقبة مؤمنة تصلح للتكفير والمراد الإسلام كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما أراد أن يعتق الجارية امتحنها النبي ﷺ ليعرف إيمانها فسألها عن أصول الدين فقال لها: «أين الله»؟ قالت في السماء. وقال لها: «من أنا»؟ قالت: أنت رسول الله. قال: «اعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم (٥٣٧). فاعتبر النبي ﷺ لإيمانها هذه الأصول المعتبرة في الإسلام، ولم يعتبر لذلك وصف الإيمان التام والصلاح التام وامتثال جميع الشرائع الواجبة واجتناب المعاصي والآثام، فقوله: «إنها مؤمنة» وصف لما يصلح للعتق وليست تزكية عامة بكمال الإيمان.

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ١٣٧) عن حكم القاتل للمسلم: وأما إذا قتله قتلًا محرمًا لعداوة أو مالٍ أو خصومة، ونحو ذلك، فهذا من الكبائر، ولا يكفر بمجرد ذلك عند أهل السنة والجماعة، الذين يقولون بتخليد فساق الملة وهؤلاء قد يحتجون بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وجوابهم: على أنها محمولة على المتعمد لقتله على إيمانه، وأكثر الناس لم يحملها على هذا؛ بل قالوا: هذا وعيد مطلق، قد فسره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وفي ذلك حكاية عن بعض أهل السنة أنه =

٤- المؤمن الفاسق لا يدخل في اسم الإيمان المطلق:

يقول أهل السنة: إن المؤمن الفاسق لا يدخل في اسم الإيمان المطلق[١] لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، فهذه الآية تدل على أن من لم يتصف من المؤمنين بهذه الأوصاف المذكورة في الآية لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، وإنما يدخل في مطلق الاسم.

الإيمان المطلق هو الإيمان الكامل الذي جمع حقيقته من الأقوال والأعمال وهذا يعرف باسم الإيمان بالمعنى الخاص، وأما مطلق الاسم فإنه عبارة عن الاشتراك في المعنى العام لاسم الإيمان فيصدق عليه اسم الإيمان، وإن لم يكن تاماً فيه وهو (مطلق الإيمان) لا الإيمان الخاص، والأول[٢] إيمان ناقص، . . . .

= كان في مجلس فيه عمرو بن عبيد - شيخ المعتزلة - فقال عمرو: يؤتى بي فيقال لي: يا عمرو من أين قلت: إني لا أغفر لقاتل؟ فأقول: أنت يارب قلت: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ قال [السني] فقلت له: فإن قال لك: فإني قلتُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فمن أين علمتَ أني لا أشاء أن أغفر لهذا؟ فسكت عمرو ابن عبيد. اهـ.

(١) أي الكامل الذي يستحق صاحبه دخول الجنة والنجاة من النار، وهو فعل الواجبات وترك المحرمات وهو الذي يطلق على من كان كذلك بلا قيد.

(٢) أي مطلق الإيمان.

والثاني[١] إيمان كامل[٢].

---

(١) أي الإيمان الخاص.

(٢) قال شيخ الإسلام في سياق كلامه على فساق الأمة كما في «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٧٤).

والكلام في أحوال الملوك على سبيل التفصيل متعسر أو متعذر لكن ينبغي أن نعلم من حيث الجملة، أنهم هم وغيرهم من الناس ممن له حسنات وسيئات يدخلون بها في نصوص الوعد أو نصوص الوعيد. وتناول نصوص الوعد للشخص مشروط بأن يكون عمله خالصًا لوجه الله موافقًا للسنة، فإن النبي ﷺ قيل له: الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليقال؟ فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**». وكذلك تناول نصوص الوعيد للشخص مشروط بألا يكون متأولًا ولا مجتهدًا مخطئًا. فإن الله عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان. وكثير من تأويلات المتقدمين وما يعرض لهم فيها من الشبهات معروفة يحصل بها من الهوى والشهوات. فيأتون ما يأتونه بشبهة وشهوة. والسيئات التي يرتكبها أهل الذنوب تزول بالتوبة. وقد تزول بحسنات ماحية ومصائب مكفرة. وقد تزول بصلاة المسلمين عليه وبشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة في أهل الكبائر.

فلهذا كان أهل العلم يختارون فيمن عرف بالظلم ونحوه مع أنه مسلم له أعمال صالحة في الظاهر - كالحجاج بن يوسف وأمثاله - أنهم لا يلعنون أحدًا منهم بعينه؛ بل يقولون كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: ١٨] فيلعنون من لعنه الله ورسوله عامًا. كقوله ﷺ: «**لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وساقيها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها**» ولا يلعنون المعين. كما ثبت =

الخلاصة

هي أن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الإيمان قول وعمل بالقلب واللسان والأركان، وأنه يزيد وينقص، وأن المؤمن لا يكفر بالمعاصي وليس في منزلة بين المنزلتين، وإنما هو مؤمن ناقص الإيمان عاصٍ،

= في صحيح البخاري وغيره: «أن رجلًا كان يدعى حمارًا وكان يشرب الخمر. وكان النبي ﷺ يجلده، فأتي به مرة، فلعنه رجل، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه. فإنه يحب الله ورسوله». وذلك لأن اللعنة من باب الوعيد والوعيد العام لا يقطع به للشخص المعين لأحد الأسباب المذكورة: من توبة أو حسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو شفاعة مقبولة، وغير ذلك.

وطائفة من العلماء يلعنون المعين كيزيد. وطائفة بإزاء هؤلاء يقولون بل نحبه لما فيه من الإيمان الذي أمرنا الله أن نوالي عليه، إذ ليس كافرًا، والمختار عند الأمة: أنا لا نلعن معينا مطلقًا. ولا نحب معينًا مطلقًا فإن العبد قد يكون فيه سبب هذا وسبب هذا إذا اجتمع فيه من حب الأمرين. إذ كان من أصول أهل السنة التي فارقوا بها الخوارج: أن الشخص الواحد تجتمع فيه حسنات وسيئات فيثاب على حسناته ويعاقب على سيئاته. ويحمد على حسناته ويذم على سيئاته. وأنه من وجه مرضي محبوب ومن وجه بغيض مسخوط. فلهذا كان لأهل الإحداث: هذا الحكم.

وأما أهل التأويل المحض الذين يسوغ تأويلهم: فأولئك مجتهدون مخطئون: خطؤهم مغفور لهم، وهم مثابون على ما أحسنوا فيه من حسن قصدهم واجتهادهم في طلب الحق واتباعه. كما قال النبي ﷺ «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر». اهـ

وأنه لا يخلد في النار خلافاً للخوارج، والمعتزلة.

ومذهب أهل السنة والجماعة هو المذهب الحق، كما يدل عليه الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح(١).

---

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٦٩ - ٢٧١ كتاب الإيمان): لا يكون مسلمًا إلا من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وهذه الكلمة بها يدخل الإنسان في الإسلام، فمن قال: الإسلام الكلمة وأراد هذا فقد صدق، ثم لابد من التزام ما أمر به الرسول ﷺ من الأعمال الظاهره، كالمباني الخمس، ومن ترك من ذلك شيئًا نقص إسلامه بقدر ما نقص من ذلك، كما في الحديث: «**من انتقص منهنّ شيئًا فهو سهم من الإسلام تركه**» وهذ الأعمال إذا عملها الإنسان مخلصًا لله تعالى فإنه يثيبه عليها، ولا يكون ذلك إلا مع إقراره بقلبه أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فيكون معه من الإيمان هذا الإقرار، وهذا الإقرار لا يستلزم أن يكون صاحبه معه من اليقين مالا يقبل الريب، ولا أن يكون مجاهدًا، ولا سائر ما يتميز به المؤمن عن المسلم الذي ليس بمؤمن، وخلق كثير من المسلمين باطنًا وظاهرًا معهم هذه الإسلام بلوازمه من الإيمان، ولم يصلوا إلىٰ اليقين والجهاد، فهؤلاء يثابون على إسلامهم وإقرارهم بالرسول مجملاً، وقد لا يعرفون أنه جاء بكتاب، وقد لا يعرفون أنه جاءه مَلَكٌ، ولا أنه أخبر بكذا، وإذا لم يبلغهم أن الرسول ﷺ أخبر بذلك لم يكن عليهم الإقرار المفصل به، لكن لابد من الإقرار بأنه رسول الله، وأنه صادق في كل ما يخبر به عن الله. ثم الإيمان الذي يمتاز به فيه تفصيل، وفيه طمأنينة ويقين، فهذا متميز بصفته وقدره في الكمية والكيفية، فإن أولئك معهم من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتفصيل المعاد والقدر مالا يعرفه هؤلاء. وأيضًا ففي قلوبهم من اليقين =

أسئلة

١- عرف الإيمان لغة وشرعاً؟

٢- ما هي حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة؟

٣- هل الإيمان يزيد وينقص؟ وكيف يكون ذلك؟

٤- ما هو المذهب الحق في المؤمن العاصي؟

٥- ما الفرق بين الاسم المطلق للإيمان، ومطلق الاسم؟

= والثبات ولزوم التصديق لقلوبهم ما ليس مع هؤلاء، وأولئك هم المؤمنون حقًا. وكل مؤمن لابد أن يكون مسلمًا، فإن الإيمان يستلزم الأعمال، وليس كل مسلم مؤمنًا هذا الإيمان المطلق، لأن الاستسلام لله والعمل له لا يتوقف على هذا الإيمان الخاص وهذا الفرق يجده الإنسان من نفسه ويعرفه من غيره، فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر، أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئًا فشيئًا، إن أعطاهم الله ذلك، وإلاّ فكثير من الناس لا يصلون لا إلى اليقين ولا إلى الجهاد ولو شككوا لشكوا، لو أمروا بالجهاد لما جاهدوا وليسوا كفارًا ولا منافقين، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال، وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بما يورد عليهم شبهات توجب ريبهم، فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلّا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق» اهـ.

١- سلامة قلوب أهل السنة والجماعة لأصحابِ محمد ﷺ

قال الشيخُ ابنُ تيمية: (ومِنْ أُصُولِ أهْلِ السُّنّةِ والْجماعةِ سلامةُ قُلُوبِهِمْ وألْسِنتِهِمْ لأصْحابِ رسُولِ اللهِ ﷺ، كما وصفهُمُ اللهُ بِهِ فِي قوْلِهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠][(١)]**، وطاعة النّبِيِّ ﷺ فِي قوله: «لا تسُبُّوا أصْحابِي**

---

(١) أهل السنة والجماعة مجمعون على أن الواجب في أصحاب رسول الله ﷺ الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والترحم عليهم، والترضي عنهم، واعتقاد محبتهم، وموالاتهم، وعقوبة من أساء فيهم القول، فإن من أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيين، ولهذا لم يجعل الله - تعالى - في الفيء نصيباً لمن بعدهم إلا الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فأهل السنة يترحمون على الجميع، ويستغفرون لهم كما أمرهم الله تعالى. وقد قال كثير من السلف كالإمام مالك وأبي بكر الحميدي وغيرهما: إن الرافضة لا حق لهم في الفيء؛ لأن الله إنما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] فمن لم يكن قلبه =

فوالّذِي نفْسِي بِيدِهُ لوْ أنّ أحدَكُمْ أنْفق مِثْلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهِمْ ولا نصِيفَهُ»(١).

= سليماً لهم، ولسانه مستغفراً لهم، لم يكن من هؤلاء، ومنع الفيء عنهم عقوبة لهم، ولا عقوبة إلا في ترك ما يجب؛ وهذا أصل مطرد عند أهل السنة والجماعة لكل من صحب النبي ﷺ قليلاً أو كثيراً، فإن اسم الصحبة اسم جنس يعم قليل الصحبة، وكثيرها، وأدناها أن يصحبه زمناً قليلاً.
انظر: «الصارم المسلول» (ص ٥١١) و«منهاج السنة» (١/ ٤، ٢٢/ ٣٨٩) و«مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٠٥).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١).
وسب أصحاب رسول الله ﷺ حرام بالكتاب، والسنة، أما الأول، فلأن الله يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحُجرَات: ١٢]، وأدنى أحوال الساب أن يكون مغتاباً، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهُمَزة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزَاب: ٥٨]. وهم صدور المؤمنين، فإنهم المواجهون بالخطاب في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ حيث ذكرت في القرآن، ولم يكتسبوا ما يوجب أذاهم؛ لأن الله - سبحانه - رضي عنهم رضاً مطلقاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التّوبَة: ١٠٠]، فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفَتْح: ١٨]
وأما السنة فقد نهى النبي ﷺ عن سبهم، ومنه قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي».
فلا ريب أنه لا يجوز سب أحد من الصحابة. =

. . . .

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٥٨): من لعن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كمعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ونحوهما، ومنَ هو أفضل من هؤلاء كطلحة، والزبير، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بكر الصديق، وعمر، وعائشة أم المؤمنين، وغير هؤلاء من أصحاب النبي ﷺ، فإنه مستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين.اهـ

وقال في الصارم المسلول (ص/ ٥٠٩- ٥١٠): قوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي**» خطاب لكل أحد أن يسب من انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام، وإن كان سببُ الحديث سب خالد بن الوليد رضي الله عنه عبدَ الرحمن بنَ عوف، فإنّ من لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد.اهـ

وهذا لا يعني أنّ خالدًا وأضرابه ممن تأخر إسلامه ليسوا من أصحاب النبي ﷺ؛ بل المراد التفضيل بالصحبة والسابقة في الإسلام والنصرة، فالسابق له من الصحبة وفضلها ما ليس للمتأخر، وإن كانوا كلهّم أصحابه ولهم فضل الصحبة عمومًا مما ورد في القرآن والسنة من الثناء والفضل، فإنهم كلهم آمنوا به وناصروه وصحبوه وحاربوا بين يديه ﷺ، وسماهم أصحابه جميعًا، كما روى الأئمة مالك في «الموطأ» (٨٢)، والنسائي (١٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**وددت أني قد رأيت إخواننا**» قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك قال: «**بل أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد**» الحديث ففرق النبي ﷺ بين الأخوة الإيمانية العامة، وبين خصوص الصحبة فإنها أكمل ففيهاالاخوة الإيمانية والصحبة الخاصة، =

. . . .

= وسماهم في هذا الحديث كلهم أصحابه، وفيهم أبو هريرة راوي الحديث وهو ممن أسلم عام خيبر في السنة السابعة، بعد إسلام خالد بن الوليد، وأما تسمية بعضهم باسم الصحبة كما في حديث «**لا تسبوا أصحابي**» فذلك للتفضيل فقد قال مثله ﷺ في حق أبي بكر وعمر ففي «صحيح البخاري» (٣٦٦١) عن أبي الدرداء قال كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذا أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «**أمّا صاحبكم فقد غامر**» فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه! ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال النبي ﷺ: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثًا. ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلىٰ النبي ﷺ، فسلّم، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعّر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي**» مرتين، فما أوذي بعدها. فهذه الواقعة أظهرت فضيلة أبي بكر بالصحبة على غيره من أصحاب النبي ﷺ حتى على أصحابه السابقين، فإنه وصف أبا بكر بمزيد خصوصية على غيره، وهذا التفضيل لا يعني نفي الصحبة عن بقية المهاجرين والأنصار بما فيهم من السابقين الأولين كعلي وعثمان وطلحة وعبد الرحمن وسعد وسعيد وأبي عبيدة والزبير وعمر وعمار وابن مسعود وغيرهم، بل المراد منها تمييز أبي بكر بمزيد فضيلة يستحقها، فكذلك الأمر في حديث «**لا تسبوا أصحابي**» لا يخرج من سوى السابقين، كما أن الصحبة لا تنفي الأخوة في قولهم له عليه السلام: ألسنا إخوانك قال: «بل =

ويقْبلُون ما جاء بِهِ الْكِتابُ والسّنّةُ والإِجْماعُ مِنْ فضائِلِهِمْ ومراتِبِهِمْ.

ويُفضِّلُون منْ أنْفق مِنْ قبْلِ الْفتْحِ - وهُو صُلْحُ الْحُديْبِيةِ - وقاتَلَ على منْ أنْفق مِنْ بعْدُ وقاتل. ويُقدِّمُون الْمُهاجِرِين على الأنْصارِ(١).

= أنتم أصحابي» فإنه قال في حق أبي بكر: «ولكن أخي وصاحبي» رواه البخاري: (٣٦٥٦).

ومما يؤيد هذا أن الصحبة اسم جنس تقع على من صحب النبي ﷺ قليلاً أو كثيراً، لكن كل منهم له من الصحبة بقدر ذلك، فمن صحب سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه مؤمناً، فله من الصحبة بقدر ذلك.

قال البخاري في «صحيحه»: من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. اهـ.

وهذا قول عامة العلماء من أهل السنة، ومرادهم أنه كل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام. وطول الصحبة ليس شرطًا في ذلك فهذا من خصائص النبي ﷺ أنّ من لقيه مؤمنًا به يعد من أصحابه وينال شرف الصحبة، وقد أجمع العلماء على صحبة بعض من أسلم متأخرًا كجرير البجلي فإنه أسلم في السنة الى مات فيها النبي ﷺ وهو مجمع على أنه صحابي، وقد روى ابن سعد في «الطبقات» عن موسى السيلاني قال أتيت أنس بن مالك فقلت له: أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ! قال: قد بقي قوم من الأعراب قد رأوه، فأمّا من صحبه فلا.

وإسناده جيد كما قال ابن الصلاح والسيوطي. فأنس بن مالك بيّن أنّ الأعراب الذين رأوا النبي ﷺ يعدون من أصحابه شرعًا، وإن كانوا لم يصحبوه صحبة مخالطة.

(١) أهل السنة والجماعة يتولون السابقين الأولين كلهم، ويعرفون قدر =

٢- الإيمان بأن الله قد غفر لأهل بدر:

ويُؤْمِنُون بِأنّ الله قال لأهْلِ بدْرٍ - وكانُوا ثلاث مِائةٍ وبِضْعة عشر -: «اعْملُوا ما شِئْتُم. فقدْ غفرْتُ لكُمْ»(١).

= الصحابة وفضلهم، ومناقبهم، ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح، وقاتل - وهو صلح الحديبية - على من أنفق من بعده، وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: **«اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»** أخرجه البخاري (٣٩٨٣)، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

فأفضل أمة محمد ﷺ القرن الأول وهم في الفضل على مراتب كما دلت النصوص فالسابقون الأولون من المهاجرين، والأنصار أفضل من سائر الصحابة قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التّوبَة: ١٠٠] قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٢/ ٢٦): في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ﴾ [الحَديد: ١٠]: نص في تفضيل المنفقين المقاتلين قبل الفتح على المنفقين المقاتلين بعده، ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التّوبَة: ١٠٠] هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل، وقاتلوا.اهـ

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤)، وفيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لحاطب بن أبي بلتعة: دعني يا رسول الله أضرب عنق =

٣- الإيمان بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة:

ويؤمنُ أهلُ السنةِ بِأنّهُ لا يدْخُلُ النّار أحدٌ بايع تحْت الشّجرةِ؛ كما أخْبر بِهِ النّبِيُّ ﷺ، بلْ لقدْ رضي اللهُ عنْهُمْ ورضُوا عنْهُ، وكانُوا أكْثر مِنْ ألْفٍ وأرْبعِ مِائة[١].

٤- الشهادة بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ:

ويشْهدُ أهلُ السنةِ بِالْجنّةِ لِمنْ شهِد لهُ رسُولُ اللهِ ﷺ، كالْعشرةِ[٢]،

= هذا المنافق لما كاتب المشركين بخبر النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «**إنه شهد بدراً، وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**». فدمعت عينا عمر، وقال الله ورسوله أعلم.

(١) أما من بايع تحت الشجرة فكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، وكلهم من أهل الجنة كما ثبت في صحيح مسلم (٢٤٩٦) عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجر**»، وهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

(٢) أهل السنة والجماعة يشهدون أن العشرة في الجنة، فقد أخبر النبي ﷺ عن كل واحد من العشرة أنه في الجنة، ففي الحديث الذي صح من طرق من حديث عبدالرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي، وعثمان، والزبير، وطلحة، وعبدالرحمن، وأبوعبيدة، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد في الجنة». أخرجه أحمد (١٦٣٠) وأبو داود (٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٤٨).

وثابِتِ بْنِ قِيْسِ بنِ شمّاسٍ، وغيْرِهِم مِّن الصّحابةِ(١).

٥- خير هذهِ الأمة بعد نبيها:

ويُقِرُّ أهلُ السنةِ بما تواتر بِهِ النّقْلُ عنْ أمِيرِ الْمُؤْمِنِين علِيِّ بْنِ أبِي طالِبٍ ﵁ وغيْرِهِ مِنْ أنّ خيْر هذِهِ الأُمّةِ بعْد نبِيِّها: أبو بكْرٍ، ثُمّ عُمرُ(٢)،

---

(١) وأما شهادة النبي ﷺ لثابتٍ فلها قصة معروفة عند نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحُجرَات: ٢]، فظن ثابت أنه المقصود بها، فاحتبس، وحزن لذلك حزناً عظيماً، فقال النبي ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»، رواه البخاري (٣٦١٣) وقد شهد رسول الله ﷺ بالجنة لآخرين، مثل عبدالله بن سلام، وبلال وعامر بن الأكوع غيرههم رضي الله عن الجميع. وكذلك شهد أهل السنة بالجنة لأمهات المؤمنين: عائشة، وغيرها وهن زوجاته في الجنة رضي الله عنهن.

(٢) صح عن عليّ ابن أبي طالب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلاّ النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا عليّ ما داما حيين» أخرجه ابن ماجة (٩٥) وصححه الألباني. وله أيضًا (٩٦) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العُلىٰ يراهم من أسفل سنهم كما يرى الكوكب الطالع في الافق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما» وصححه الألباني. وفي الصحيحين البخاري (٣٦٧٧، ٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩) عن ابن عباس ﵄ قال: إني لواقف في قوم، فدعو الله لعمر بن الخطاب، وقد وضع على سريره إذ رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله، =

ويُثلِّثُون بِعُثْمان، ويُربِّعُون بِعلِيٍّ ﵃؛ كما دلّتْ عليْهِ الآثارُ[(١)]، وكما

= إن كنتُ لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، لأني كثيرًا ما كنتُ أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**كنتُ أنا وأبو بكر وعمر، وفعلت أنا وأبو بكر وعمر، وانطلقت أنا وأبو بكر وعمر**» فإني كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما؛ فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب وفي رواية عند ابن ماجة (٩٨): «**فترحم على عمر ثم قال: ما خلفت أحدًا أحب أن ألقىٰ الله بمثل عمله منك**».

(١) تقديم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، في الفضل متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم، والدين من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، وعلى هذا عامة أهل السنة من العلماء، والعباد، والأمراء، والأجناد. ودلائل هذا كثيرة، والنقل في تفضيل الشيخين مستفيض عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفي صحيح البخاري (**٣٦٧١**) عن محمد بن الحنفية أنه قال لأبيه علي بن أبي طالب: يا أبت من خير الناس بعد الرسول ﷺ؟، قال: يا بني أو ما تعرف؟ قلت: لا، قال: أبوبكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، ويروى هذا عن علي بن أبي طالب من نحو ثمانين وجهاً، وأنه كان يقوله على منبر الكوفة، بل قال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا وجلدته حد المفتري، فمن فضله على أبي بكر، وعمر جلد بمقتضى قوله ﵁ ثمانين سوطاً لأن هذا حد المفتري.

فتقديم أبي بكر، وعمر في الفضل والخلافة جاء من وجوه متواترة، فإن لهما من التقدم والفضائل ما لم يشاركهما فيها أحد من الصحابة لا عثمان، ولا علي، ولا غيرهما، وهذا كان متفقاً عليه في الصدر الأول، إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعبأ به حتى إن الشيعة الأولى أصحاب علي لم يكونوا يرتابون في تقديم أبي بكر، وعمر عليه. قاله شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (**٢/ ٧٣**)، فأبو بكر، وعمر، لا يوازنهما أحد كما قال النبي ﷺ: «**اقتدوا** =

أَجْمع الصّحابةُ على تقْدِيمِ عُثْمانُ فِي الْبيْعةِ[(١)].

= باللذين من بعدي: أبي بكر، وعمر» أخرجه أحمد (٢٣٦٣٤) والترمذي (٣٦٦٣)، قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة» في الرد على الرافضي - (٧/ ٣٩٦): والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر، وكانوا يفضلونهما على علي، والنقول عنهم ثابتة متواترة وقد صنف الحافظ أبو الحسن الدارقطني كتاب «ثناء الصحابة على القرابة وثناء القرابة على الصحابة» وذكر فيه من ذلك قطعة، وكذلك كل من صنف من أهل الحديث في السنة مثل «كتاب السنة» لعبد الله بن أحمد و«السنة» للخلال و«السنة» لابن بطة و«السنة» للآجري واللالكائي والبيهقي وأبي ذر الهروي والطلمنكي وأبي حفص بن شاهين وأضعاف هؤلاء الكتب التي يحتج هذا بالعزو إليها مثل كتاب «فضائل الصحابة» للإمام أحمد ولأبي نعيم وتفسير الثعلبي وفيها من ذكر فضائل الثلاثة ما هو من أعظم الحجج عليه فإن كان هذا القدر حجة فهو حجة له وعليه وإلا فلا يحتج به.اهـ

(١) اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٤/ ٤٢٦): قد ثبت بالنقل الصحيح في صحيح البخاري، وغير البخاري أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جعل الخلافة شورى في ستة أنفس: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف - ولم يدخل معهم سعيد بن زيد، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان من بني عدي قبيلة عمر، وقال عن ابنه عبدالله: يحضركم عبدالله، وليس له في الأمر شيء، ووصى أن يصلي صهيب بعد موته حتى يتفقوا على واحد، فلما توفي عمر، واجتمعوا عند المنبر، قال طلحة: ما كان لي من هذا الأمر فهو لعثمان، وقال الزبير: ما كان لي من =

مع أنّ بعْض أهْلِ السُّنّةِ كانُوا قدِ اخْتلفُوا فِي عُثْمان وعلِيٍّ ﵄ - بعْد اتِّفاقِهِمْ على تقْدِيمِ أبِي بكْرٍ وعُمر - أيُّهما أفْضلُ؟ فقدّم قوْمٌ عُثْمان: وسكتُوا، أوْ ربّعُوا بِعلِيٍّ، وقدّم قوْمٌ علِيًّا، وقوْمٌ توقّفُوا. لكِنِ اسْتقرّ أمْرُ أهْلِ السُّنّةِ على تقْدِيمِ عُثْمان، ثُمّ علِيٍّ[1].

= هذا الأمر فهو لعلي، وقال سعد: ما كان لي من هذا الأمر فهو لعبد الرحمن بن عوف، فخرج ثلاثة وبقي ثلاثة، فاجتمعوا، فقال عبد الرحمن بن عوف: يخرج منا واحد، ويولي واحداً، فسكت عثمان، وعلي فقال عبد الرحمن ابن عوف: أنا أخرج. وروي أنه قال: عليه عهد الله، وميثاقه أن يولي أفضلهما، ثم قام عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام بلياليها، يشاور المهاجرين، والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، ويشاور أمهات المؤمنين؛ ويشاور أمراء الأمصار - فإنهم كانوا في المدينة حجوا مع عمر، وشهدوا موته حتى قال عبد الرحمن بن عوف: إن لي ثلاثاً ما اغتمضت بنوم. فلما كان اليومّ الثالث قال لعثمان: عليك عهد الله، وميثاقه إن وليتك لتعدلن، ولئن وليت علياً لتسمعن، ولتطيعن،؟ قال: نعم. وقال لعلي: عليك عهد الله، وميثاقه إن وليتك لتعدلن، ولئن وليت عثمان لتسمعن ولتطيعن؟ قال: نعم. فقال: إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان، فبايعه عليٌ، وعبدُالرحمن، وسائرُ المسلمين بيعة رضاً واختيارٍ، من غير رغبة أعطاهم إياها، ولا رهبة خوفهم بها.اهـ

(١) أما تقديم عثمان على علي ﵁ فقد: أجمع عليه المهاجرون والأنصار قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٦/ ١٥٢) في رد قول الرافضي إن علياً هو الفاضل وعثمان وغيره هم المفضولون قال: وهذا القول خلاف ما أجمع عليه المهاجرون والأنصار، كما قال غير واحد من الأئمة منهم أيوب =

. . . .

= السختياني، وغيره: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال: كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وفي لفظ: ثم ندع أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم، فهذا إخبار عما كان عليه الصحابة على عهد النبي ﷺ من تفضيل أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وقد روي أن ذلك كان يبلغ النبي ﷺ فلا ينكره، وحينئذ فيكون هذا التفضيل ثابتاً بالنص، وإلا فيكون ثابتاً بما ظهر بين المهاجرين والأنصار على عهد النبي ﷺ من غير نكير، وبما ظهر لما توفي عمر، فإنهم كلهم بايعوا عثمان بن عفان من غير رغبة، ولا رهبة، ولم ينكر هذه الولاية منكر منهم. قال الإمام أحمد: لم يجتمعوا على بيعة أحد ما اجتمعوا على بيعة عثمان. وسئل عن خلافة النبوة فقال: كل بيعة كانت بالمدينة. وهو كما قال فإنهم كانوا في آخر ولاية عمر أعز ما كانوا وأظهر ما كانوا قبل ذلك، وكلهم بايع عثمان بلا رغبة بذلها لهم ولا رهبة، فإنه لم يعط أحدًا على ولايته لا مالًا ولا لاية، وعبد الرحمن الذي بايعه لم يوله ولم يعطه مالًا، وكان عبد الرحمن من أبعد الناس عن الأغراض، مع أن عبد الرحمن شاور جميع الناس، ولم يكن لبني أمية شوكة ولا كان في الشورى منهم أحد غير عثمان، مع أن الصحابة ﵃ كانوا كما وصفهم الله ﷻ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] وقد بايعوا النبي ﷺ أن يقولوا الحق حيثما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، ولم ينكر أحد منهم ولاية عثمان؛ بل كان في الذين بايعوه عمار بن ياسر وصهيب وأبو ذر وخباب والمقداد بن الأسود وابن مسعود، وقال ابن مسعود: ولينا أعلانا ذا فوق ولم نألُ. وفيهم العباس بن عبد المطلب، وفيهم من النقباء، مثل عبادة =

. . . .

= ابن الصامت وأمثاله، وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري وأمثاله، وكل من هؤلاء وغيرهم لو تكلم بالحق لم يكن هناك عذر يسقطه عنه، فقد كان يتكلم من يتكلم منهم على عهد رسول الله ﷺ في ولاية من يولى وهو مستحق للولاية، ولا يحصل لهم ضرر، وتكلم طلحة وغيره في ولاية عمر، لما استخلفه أبو بكر، وتكلم أسيد بن حضير في ولاية أسامة بن زيد على عهد النبي ﷺ، وقد كانوا يكلمون عمر فيمن يوليه ويعزله، وعثمان بعد ولايته وقوة شوكته وكثرة أنصاره وظهور بني أمية كانوا يكلمونه فيمن يوليه ويعطيه منهم ومن غيرهم، ثم في آخر الأمر لما اشتكوا من بعضهم عزله، ولما اشتكوا من بعض من يأخذ بعض المال منعه فأجابهم إلى ما طلبوه من عزل ومنع من المال، وهم أطراف من الناس وهو في عزة ولايته، فكيف لا يسمع كلام الصحابة، أئمتهم وكبرائهم مع عزهم وقوتهم، لو تكلموا في ولاية عثمان وقد تكلموا مع الصديق في ولاية عمر، وقالوا: ماذا تقول لربك وقد وليت علينا فظًّا غليظًا فقال: أبالله تخوفوني! أقول: وليت عليهم خير أهلك فلم يحابوا الصديق في عهده لعمر، مع شدته، ومن شأن الناس أن يراعوا من يرشَّح للولاية فيحابونه خوفًا منه أن ينتقم منهم إذا ولي ورجاء له، وهذا موجود، فهؤلاء لم يحابوا عمر ولا أبا بكر مع ولايتهما فكيف يحابون عثمان وهو بعد لم يتولَّ ولا شوكَة له، فلولا علم القوم بأن عثمان أحقهم بالولاية لما ولّوه، وهذا أمر كلما تدبره الخبير ازداد به خبرةً وعلمًا ولا يشك فيه إلا من لم يتدبره من أهل العلم بالاستدلال، أو من هو جاهل بالواقع أو بطريق النظر والاستدلال، والجهل بالأدلة أو بالنظر فيها يورث الجهل، وأما مَن كان عالمًا بما وقع وبالأدلة وعالما بطريقة النظر والاستدلال فإنه يقطع قطعًا لا يتمارى فيه، أن عثمان كان أحقهم بالخلافة وأفضل من بقي =

وإنْ كانتْ هذِه الْمسْألةُ - مسْألةُ عُثْمان وعلِيٍّ - ليْستْ مِن الأُصُولِ الّتِي يُضلّلُ الْمُخالِفُ فِيها عِنْد جُمْهُورِ أهْلِ السُّنّةِ[١].

= بعده، فاتفاقهم على بيعة عثمان بغير نكير دليل على أنهم لم يكن عندهم أصلح منها.اهـ

(١) حصل نزاع بين أهل السنة بعد عصر الصحابة في أيهما أفضل عثمان أو علي؟ وسائر أئمة السنة على تقديم عثمان، وهو مذهب جماهير أهل الحديث، وعليه يدل النص، والإجماع، والاعتبار وعليه استقر أمر أهل السنة. قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٢٢٤): وأما عثمان فكثير من الناس يفضل عليه علياً وهذا قول كثير من الكوفيين وغيرهم وهو القول الأول للثورى ثم رجع عنه.
وطائفة أخرى لا تفضل أحدهما على صاحبه، وهو الذي حكاه ابن القاسم عن مالك عمن أدركه من المدنيين، لكن قال ما أدركت أحداً ممن يقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه، وهذا يحتمل السكوت عن الكلام في ذلك فلا يكون قولاً وهو الأظهر، ويحتمل التسوية بينهما، وذكر ابن القاسم عنه أنه لم يدرك أحدًا ممن يقتدي به يشك في تقديم أبي بكر وعمر على عثمان وعلي.
وأما جمهور الناس ففضلوا عثمان، وعليه استقر أمر أهل السنة، وهو مذهب أهل الحديث، ومشايخ الزهد والتصوف، وأئمة الفقهاء كالشافعي وأصحابه وأحمد وأصحابه وأبي حنيفة وأصحابه وإحدى الروايتين عن مالك وعليها أصحابه..
وقال أيوب السختياني من لم يقدِّم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار! وهكذا قال أحمد والدارقطني وغيرهما أنهم اتفقوا على تقديم عثمان. ولهذا تنازعوا فيمن لم يقدِّم عثمان هل يعد مبتدعًا؟ على قولين، =

لكِنِ الّتِي يُضلّلُ فِيها: مسْألةُ الْخِلافةِ، وذلِك أنّهُمْ يُؤْمِنُون أنّ الْخلِيفة بعْد رسُولِ اللهِ ﷺ: أبو بكْرٍ، ثم عُمرُ، ثُمّ عُثْمانُ، ثُمّ علِيٌّ. ومنْ طعن فِي خِلافةِ أحدٍ مِنْ هؤُلاءِ؛ فهُو أضلُّ مِنْ حِمارِ أهْلِهِ[(١)].

= هما روايتان عن أحمد، فإذا قام الدليل على تقديم عثمان، كان ما سواه أوكد، وأما الطريق التوقيفي فالنص والإجماع، أما النص ففي الصحيحين عن ابن عمر قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حيٌ: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان.اهـ

وقد ذكر غير واحد تنازع السلف فيمن يقدم علياً على عثمان هل يعد من أهل البدعة؟ على قولين: هما روايتان عن أحمد:

إحداهما: من فضل علياً على عثمان خرج من السنة إلى البدعة؛ لمخالفته لإجماع الصحابة. ولهذا قيل: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين، والأنصار، كما تقدم.

والثانية: لا يبدع من قدم علياً، لتقارب حال عثمان، وعلي.

قال شيخ الإسلام: والراجح من هذين القولين أنه لا يبدع؛ لكون أئمة المسلمين متفقين على أن التبديع إنما يكون في مسائل الأصول التي اتفق عليها أهل العلم، بخلاف من نازع في مسائل الاجتهاد التي لم تبلغ هذا المبلغ في تواتر السنن، عن النبي ﷺ. وهذه المسألة مسألة عثمان، وعلي من هذا القبيل، كما أن تقدم أحدهما على الآخر لم يكن ظاهراً، كتقديم أبي بكر، وعمر على الباقين، ولهذا كان في الشورى تارة يؤخذ برأي عثمان، وتارة يؤخذ برأي علي.

(١) اتفق الصحابة والتابعون على صحة خلافة هؤلاء ولم ينازع في الثلاثة إلا ضلال الرافضة وحصل من بعض الناس نزاع في خلافة علي من أهل البصرة وأهل الحديث وأهل الكلام، كالكرامية الذين يقولون: كل من =

٦- محبة أهل بيت رسول الله ﷺ:

ويُحِبُّ [أهلُ السنةِ] أهْلَ بيْتِ رسُولِ اللهِ ﷺ، ويتولّوْنهُمْ، ويحْفظُون فِيهِمْ وصِيّةَ رسُولِ اللهِ ﷺ: حيْثُ قال يوْم غدِيرِ خُمٍّ: «أُذكِّرُكُمُ اللهَ فِي أهْلِ بيْتِي»[(١)]، وقال أيْضًا لِلْعبّاسِ عمِّه - وقدِ اشْتكى إِليْهِ أنّ بعْض قُريْشٍ يجْفُو بنِي هاشِم - فقال: «والّذِي نفْسِي بِيدِهِ؛ لا يُؤْمِنُون حتّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ ولِقرابتِي»[(٢)]. وقال: «إِنّ الله اصْطفى بنِي إِسْماعِيل، واصْطفى مِنْ

= علي ومعاوية كان إماما ويجوزون عقد الخلافة لاثنين، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٣٨) ثم قال: لكن المنصوص عن أحمد تبديع من توقف في خلافة علي وقال: هو أضل من حمار أهله وأمر بهجرانه ونهى عن مناكحته ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة في أنه ليس غير علي أولى بالحق منه ولا شكوا في ذلك.اهـ

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) حسن صحيح بمجموع طرقه وقد أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٥٦، ١٧٥٧)، وفي المسند: (١٧٧٢، ١٧٧٣، ١٧٧٧)، والترمذي (٣٧٥٨) والبزار (٢١٧٥) والحاكم (٣/ ٣٣٣). من طريق يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله ابن الحارث، عن العباس عن النبي ﷺ وقال الترمذي: حسن صحيح. اهـ

وعن عبد الله بن الحارث، عن عبد المطلب بن ربيعة، قال: دخل العباس على رسول الله ﷺ فذكره، وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف.

ورواه ابن ماجة (١٤٠)، والحاكم (٤/ ٧٥) من طريق محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن أبي سبرة النخعي، عن محمد بن كعب القرظي، عن العباس وهذا سند رجاله ثقات، إلا أنه منقطع، محمد بن كعب القرظي لم يسمع =

بنِي إسْماعِيلَ كِنانةَ، واصْطفى مِنْ كِنانةَ قُرَيْشًا، واصْطفى مِنْ قُرَيْشٍ بنِي هاشِمٍ، واصْطفانِي مِنْ بنِي هاشِمٍ»[(١)].

= من العباس فلعله سمعه من عبد الله بن ربيعة كما تقدم أو من عبد الله بن عباس فإن له رواية أخرجها الطبراني في المعجم الكبير (ج١١/ ص ٤٣٣/ ح١٢٢٢٨) عن أبي الضحى عن ابن عباس قال جاء العباس، فذكر الحديث قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٩٢): وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه حسان أنه قال عن أهل بيته: «والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي».

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

فأهل السنة والجماعة يتولون جميع المؤمنين، ويرعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس، والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ، وغير ذلك من الحقوق. وحقهم على الأمة لا يشركهم فيه غيرهم، فإنهم يستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر بطون قريش. قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٩١): واتباع القرآن واجب على الأمة؛ بل هو أصل الإيمان وهدى الله الذي بعث به رسوله وكذلك أهل بيت رسول الله ﷺ تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقهم. وهذان الثقلان اللذان وصى بهما رسول الله ﷺ. فروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول الله ﷺ بغدير يدعى خما بين مكة والمدينة فقال: «يا أيها الناس؛ إني تارك فيكم الثقلين- وفي رواية أحدهما أعظم من الآخر - كتاب الله فيه الهدى والنور» فرغب في كتاب الله وفي رواية: «هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة وعترتي أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي». فقيل لزيد بن أرقم: من أهل =

. . . .

= بيته؟ قال: أهل بيته مَن حُرِمَ الصدقةَ: آل العباس وآل علي وآل جعفر وآل عقيل.
ولو ذكرنا ما روي في حقوق القرابة وحقوق الصحابة لطال الخطاب فإن دلائل هذا كثيرة من الكتاب والسنة. ولهذا اتفق أهل السنة والجماعة على رعاية حقوق الصحابة والقرابة وتبرءوا من الناصبة الذين يكفرون عليّ بن أبي طالب، ويفسقونه وينتقصون بحرمة أهل البيت؛ مثل من كان يعاديهم على المُلك أو يعرض عن حقوقهم الواجبة أو يغلو في تعظيم يزيد بن معاوية بغير الحق.
وتبرءوا من الرافضة الذين يطعنون على الصحابة وجمهور المؤمنين؛ ويكفرون عامة صالحي أهل القبلة. وهم يعلمون أن هؤلاء أعظم ذنبًا وضلالًا من أولئك كما ذكرنا من أن هؤلاء الرافضة المحاربين شرٌّ من الخوارج وكل من الطائفتين انتحلت إحدى الثقلين؛ لكن القرآن أعظم. فلهذا كانت الخوارج أقل ضلالًا من الروافض؛ مع أن كل واحدة من الطائفتين مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ومخالفة لصحابته وقرابته ومخالفون لسنة خلفائه الراشدين ولعترته أهل بيته.اهـ
فالمراد بأهل بيت النبي ﷺ الذين تجب موالاتهم، ومحبتهم هم بنو هاشم كلهم: ولد العباس، وولد علي، وولد الحارث بن عبد المطلب، وسائر بني أبي طالب.
وقد تنازعوا في بني المطلب بن عبد مناف هل تحرم عليهم الصدقة، ويدخلون في آل محمد ﷺ؟ على قولين: هما روايتان عن أحمد.
وأما زوجاته رضي الله عنهن فقد اختلف العلماء هل هن من أهل بيته ﷺ؟ =

. . . .

= على قولين، هما روايتان عن أحمد:
أحدهما: أنهن لسن من أهل البيت، ويروى هذا عن زيد بن أرقم.
والثاني: أن أزواجه من آله، قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٧/ ٧٦):
وهو الصحيح فإنه قد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه علم الصلاة عليه: «**اللهم صل على محمد، وأزواجه، وذريته**»، ولأن امرأة إبراهيم من آله، وأهل بيته، وامرأة لوط من آله، وأهل بيته بدلالة القرآن، فكيف لا يكون أزواج محمد من آله، وأهل بيته؟ ولقوله - تعالى - في خطاب نساء النبي: ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فهذه الآية تدل على أنهن من أهل بيته، وإلا لم يكن لذكر ذلك في الكلام معنى، فنساؤه ﷺ من أهل بيته بنص القرآن، فلهن ما لأهل البيت من حقوق.
وأما ما رواه مسلم عن عائشة أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة، وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي، فأدخله، ثم جاء الحسين، فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة، فأدخلها معه، ثم جاء علي، فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لعلي، وفاطمة، وحسن، وحسين: «**اللهم إن هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**» فهذا يدل على أن علياً، وفاطمة، والحسن والحسين كلهم من أهل البيت، وهم أخص بذلك من غيرهم، ولذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم. وهذا كما أن قوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] نزلت بسبب مسجد قباء، لكن الحكم يتناوله، ويتناول ما هو أحق منه بذلك، وهو مسجد المدينة. وهذا يوجه ما ثبت في الصحيح =

. . . .

= عن النبي ﷺ، أنه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى، فقال: «هو مسجدي هذا».
وقال شيخ الإسلام في «المنهاج» أيضًا (٧/ ٧١): وهكذا أزواجه، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين كلهم من أهل البيت، لكن علياً، وفاطمة والحسن، والحسين أخص من أزواجه ولهذا خصهم بالدعاء. اهـ
وقال: فالتخصيص؛ لكون المخصوص أولى بالوصف.اهـ.
فالحديث لا يفيد لا مفهوماً، ولا منطوقاً أن أزواجه - رضي الله عنهن - لسن من أهل بيته ﷺ.اهـ
قال العلامة الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» له: وقد اختلف أهل العلم فى أهل البيت المذكورين فى الآية فقال ابن عباس وعكرمة وعطاء والكلبى ومقاتل وسعيد بن جبير: إن أهل البيت المذكورين فى الآية هن زوجات النبى ﷺ خاصة قالوا والمراد بالبيت بيت النبى ﷺ ومساكن زوجاته لقوله ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وأيضا السياق فى الزوجات من قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨] إلى قوله ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].
وقال أبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وروى عن الكلبي: إن أهل البيت المذكورين فى الآية هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين خاصة! إلى أن قال: وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلى وفاطمة والحسن والحسين.
أما الزوجات فلكونهن المرادات فى سياق هذه الآيات كما قدمنا ولكونهن الساكنات فى بيوته ﷺ النازلات فى منازله ويعضد ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره وأما دخول عليّ وفاطمة والحسن والحسين فلكونهم قرابته =

٧- أزواج رسول الله أمهات المؤمنين:

ويتولّى أهلُ السنةِ أزْواجَ رسُولِ اللهِ ﷺ أُمّهاتِ الْمُؤْمِنِين[١]، ويُؤْمِنُون بأنّهُنَّ أزْواجُهُ فِي الآخِرةِ: خُصُوصًا خدِيجةُ ﵂ - أُمُّ أكْثرِ أوْلادِهِ، وأوّلُ مَنْ آمنَ بِهِ وعاضَدَهُ على أمْرِهِ، وكان لها مِنْهُ الْمنْزِلةُ الْعالِيةُ- والصِّدِّيقةُ بِنْتَ الصِّدِّيقِ ﵂، الّتِي قال فِيها النّبِيُّ ﷺ: «فضْلُ

= وأهل بيته في النسب ويؤيده ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المصرحة بأنهم سبب النزول.
فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله وأهمل مالا يجوز إهماله وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين، منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما.
وقال جماعة: هم بنو هاشم واستدلوا بما تقدم من حديث ابن عباس وبقول زيد ابن أرقم المتقدم حيث قال ولكن آله من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس فهؤلاء ذهبوا إلى أن المراد بالبيت بيت النسب.اهـ باختصار.

(١) كل واحدة من أزواج النبي ﷺ يقال لها أم المؤمنين: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حيي بن أخطب الهارونية، -رضي الله عنهن-، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وهذا أمر معلوم للأمة علماً عاماً، وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء بعد موته على غيره، وعلى وجوب احترامهن فهن أمهات المؤمنين في الحرمة، والتحريم.

عائِشة على النِّساءِ كفضْلِ الثّرِيدِ على سائِرِ الطّعامِ»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٧٠) ومسلم (٢٤٤٦).

ومما لا ريب فيه أن أفضل نساء هذه الأمة خديجة، وعائشة، وفاطمة رضي الله عنهن، قال شيخ الإسلام «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٩٤): وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع وتفصيل ليس هذا موضعه. وخديجة وعائشة من أزواجه. فإذا قيل بهذا الاعتبار: إن جملة أزواجه أفضل من جملة بناته كان صحيحًا؛ لأن أزواجه أكثر عددًا والفاضلة فيهن أكثر من الفاضلة في بناته.اهـ

وقد اختلف أهل العلم في أيهما أفضل خديجة، أو عائشة؟ ولا شك أن كل واحدة قد اختصت بفضل لم تشاركها فيه غيرها، وقد سئل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: عن (خديجة) (وعائشة): أميّ المؤمنين أيتهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام؛ ونصرها وقيامها في الدين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين. وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة؛ وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها. اهـ من «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٩٣).

أما وجه تفضيل عائشة في قوله ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، فذلك لأن الثريد خبز ولحم، والبر أفضل الأقوات، واللحم أفضل الآدام.

قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة النبوية» (٤/ ١٦٣):

إن أهل السنة ليسوا مجمعين على أن عائشة أفضل نسائه بل قد ذهب إلى ذلك كثير من أهل السنة واحتجوا بما في «الصحيحين» عن أبي موسى وعن =

. . . .

= أنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» والثريد هو أفضل الأطعمه لأنه خبز ولحم كما قال الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريد

وذلك أن البر أفضل الأقوات واللحم أفضل الإدام كما في الحديث الذي رواه ابن قتيبة وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيد إدام أهل الدنيا والاخرة اللحم**» فإذا كان اللحم سيد الإدام والبر سيد الأقوات ومجموعهما الثريد كان الثريد أفضل الطعام، وقد صح من غير وجهٍ عن الصادق المصدوق أنه قال: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» وفي الصحيح عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**» قلت: ثم مَن قال: «**عمر**» وسمّىٰ رجالًا. وهؤلاء يقولون قوله لخديجه ما أبدلني الله بخير منها، إن صح! معناه ما أبدلني بخيرٍ لي منها؛ لأن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعًا لم يقم غيرها فيه مقامَها، فكانت خيرًا له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة، لكن عائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أول زمن النبوة، فكانت أفضل بهذه الزيادة، فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها، وبلّغت من العلم والسنة ما لم يبلغه غيرها، فخديجة كان خيرها مقصورًا على نفس النبي ﷺ لم تبلّغ عنه شيئًا ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعوا بعائشة، ولا كان الدين قد كمل حتى تعلمه ويحصل لها من كمال الإيمان به ما حصل لمن عَلِمه وآمن به، بعد كماله، ومعلوم أن من اجتمع همه على شيء واحد كان أبلغ فيه ممن تفرق همه في أعمال متنوعة فخديجة رضي الله عنها خير له من هذا الوجه، ولكن أنواع البر لم تنحصر في ذلك، ألا ترى =

٨- البراءة من طريقة الروافض:

ويتبرّأُ أهلُ السنةِ مِنْ طرِيقةِ الرّوافِضِ الّذِين يُبْغِضُون الصّحابة

= أن من كان من الصحابة أعظم إيمانًا وأكثر جهادًا بنفسه وماله كحمزة وعلي وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وغيرهم.

هم أفضل ممن كان يخدم النبي ﷺ وينفعه في نفسه أكثر منهم كأبي رافع وأنس بن مالك وغيرهما وفي الجملة الكلام في تفضيل عائشة وخديجة ليس هذا موضع استقصائه لكن المقصود هنا أن أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها، وأن نساءه أمهات المؤمنين اللاتي مات عنهن، كانت عائشة أحبَّهن إليه، وأعلمهن وأعظمهن حرمة عند المسلمين، وقد ثبت في «الصحيح» أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة، لما يعلمون من حبه إياها، حتى إن نساءه غِرْنَ من ذلك، وأرسلن إليه فاطمة رضي الله عنها فقلن له نسألك العدل في ابنة أبي قحافة فقال لفاطمة: **«أي بنية ألا تحبين ما أُحب»** قالت: بلى! قال: **«فأحبى هذه»** الحديث وهو في «الصحيحين» وفي «الصحيحين» أيضًا أن النبي ﷺ قال: **«يا عائشُ هذا جبريل يقرأ عليك السلام»** فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا نرى، ولما أراد فراق سَودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها بإذنه ﷺ، وكان في مرضه الذي مات فيه يقول: **«أين أنا اليوم»** استبطاء ليوم عائشة، ثم استأذن نساءه أن يُمَرَّضَ في بيت عائشة رضي الله عنها فَمُرِّضَ فيه، وفي بيتها توفى بين سَحْرِها ونَحْرِها، وفي حَجْرِها، وجمع الله بين ريقه وريقها، وكانت رضي الله عنها مباركةً على أمته، حتى قال أسيد بن حضير لما أنزل الله آية التيمم بسببها: ما هي بأولِّ بركتكم يا آل أبي بكر، ما نزل بك أمر قطّ تكرهينه إلا جعل الله فيه للمسلمين بركة، وكان قد نزلت آيات برائتها قبل ذلك لما رماها أهل الإفك فبرأها الله من فوق سبع سماوات وجعلها من الطيبات.اهـ

ويسُبُّونهُمْ وطرِيقةِ النّواصِبِ الّذِين يُؤْذُون أهْلَ الْبيْتِ بِقوْلٍ أوْ عملٍ[(١)] .

٩- الإمساك عمار شجر بين الصحابة :

ويُمْسِكُ أهلُ السنةِ، عمّا شجر بيْن الصّحابةِ، ويقُولُون : إِنّ هذِهِ الآثار الْمرْوِيّة فِي مساوِيهِمْ مِنْها ما هُو كذِبٌ، ومنْها ما قدْ زِيد فِيهِ ونُقِص وغُيِّر عنْ وجْهِهِ، والصّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ معْذُورُون : إِمّا مُجْتهِدُون

(١) قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٧٢): أهل السنة يتولون جميع المؤمنين ويتكلمون بعلم وعدل ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء ويتبرءون من طريقة الروافض والنوصب جميعًا ويتولون السابقين والأولين كلهم، ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم، ويرعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم، ولا يرضون بما فعله المختار ونحوه من الكذابين، ولا ما فعله الحجاج ونحوه من الظالمين، ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين فيعلمون أن لأبي بكر وعمر من التقدم والفضائل ما لم يشاركهما فيها أحد من الصحابة، لا عثمان ولا علي ولا غيرهما، وهذا كان متفقًا عليه في الصدر الأول، إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعبأ به. اهـ
والنواصب هم الذين ناصبوا عليَّ بن أبي طالب وآل بيته العداء.
فالرافضة تطعن في جميع الصحابة إلا نفراً قليلاً بضعة عشر، ويجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم.
وأما الناصبة فكانت تبغض علياً، وأصحابه، بل كانوا : يكفرون علياً، أو يفسقونه، أو يشكون في عدالته، فأهل السنة والجماعة سالمون من هاتين الضلالتين؛ لما ثبت من فضائلهم، ولأن القدح فيهم قدح في القرآن والسنة فإنهم هم حملة القرآن والسنة، وباطن هذا المسلك الطعن في الرسالة.

مُصِيبُون، وإِمّا مُجْتهِدُون مُخْطِئُون[١].

وهُم مّعَ ذلِك لا يعْتقِدُون أنّ كُلّ واحِدٍ مِن الصّحابةِ معْصُومٌ عنْ كبائِرِ الإِثْمِ وصغائِرِهِ؛ بلْ يجُوزُ عليْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلةِ، ولهُم مِّن السّوابِقِ والْفضائِلِ ما يُوجِبُ مغْفِرة ما يصْدُرُ مِنْهُمْ - إِنْ صدر -، حتّى إِنّهُمْ يُغْفرُ لهُم مِّن السّيِّئاتِ ما لا يُغْفرُ لِمنْ بعْدهمْ؛ لأنّ لهُم مِّن الْحسناتِ الّتِي تمْحُو السّيِّئاتِ ما ليْس لِمنْ بعْدَهُمْ. وقدْ ثبت بِقوْلِ رسُولِ اللهِ ﷺ أنّهُمْ خيْرُ الْقُرُونِ، وأنّ الْمُدّ مِنْ أحدِهِمْ إِذا تصدّق بِهِ كان أفْضل مِنْ جبلِ أُحُدٍ ذهبًا مِمّن بعْدَهُمْ. ثُمّ إِذا كان قدْ صدر مِنْ أحدِهِمْ ذنْبٌ؛ فيكُونُ قدْ تاب مِنْهُ، أوْ أتى بحسناتٍ تمْحُوهُ، أو غُفِر لهُ بِفضْلِ سابِقتِهِ، أوْ بِشفاعةِ مُحمّدٍ ﷺ الّذِي هُمْ أحقُّ النّاسِ بِشفاعتِهِ، أوْ ابْتُلِي بِبلاءٍ فِي الدُّنْيا كُفِّر بِهِ عنْهُ؛ فإِذا كان هذا فِي الذُّنُوبِ الْمُحقّقةِ؛ فكيْف الأُمُورُ الّتِي كانُوا فِيها مُجْتهِدِين: إِنْ أصابُوا؛ فلهُمْ أجْرانِ، وإِنْ أخْطؤُوا؛ فلهُمْ أجْرٌ

(١) قال شيخ الإسلام في «المنهاج» (٤/ ٤٤٨): مذهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم، ومحبتهم، وما وقع، منه ما يكون لهم فيه عذر، يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفوراً؛ فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضاً، وذماً، ويكون هو في ذلك مخطئاً بل عاصياً، فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك، كما جرى لأكثر من تكلم في ذلك، فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله، ولا رسوله؛ إما مِن ذم من لا يستحق الذم، وإما من مدح أمور لا تستحق المدح، ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف.اهـ

واحِدٌ، والْخطأُ مغْفُورٌ[١].

(١) قال شيخ الإسلام «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٧٦): وأما أهل التأويل المحض الذين يسوغ تأويلهم: فأولئك مجتهدون مخطئون: خطؤهم مغفور لهم وهم مثابون على ما أحسنوا فيه من حسن قصدهم واجتهادهم في طلب الحق واتباعه. كما قال النبي ﷺ «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران. وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر**». ولهذا كان الكلام في السابقين الأولين ومن شهد له النبي ﷺ بالجنة كعثمان وعلي وطلحة والزبير ونحوهم: له هذا الحكم.
بل ومن هو دون هؤلاء الأكابر أهل الحديبية الذين بايعوا تحت الشجرة. وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**». فنقول في هؤلاء ونحوهم فيما شجر بينهم: إما أن يكون عمل أحدهم سعيًا مشكورًا أو ذنبًا مغفورًا أو اجتهادًا قد عفي لصاحبه عن الخطأ فيه؛ فلهذا كان من أصول أهل العلم: أنه لا يُمَكَّن أحد من الكلام في هؤلاء بكلام يقدح في عدالتهم وديانتهم، بل يعلم أنهم عدول مرضيون رضي الله عنهم.اهـ
ومن مذهب أهل السنة أنهم لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب، وعلى الخطأ في الاجتهاد إلا لرسل الله صلى الله عليهم وسلم، ومن سواهم فيجوز عليه الإقرار على الذنب، والخطأ، لكن الصحابة رضي الله عنهم هم كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [الأحقاف: ١٦]، بل يجوز أن يذنب الرجل منهم ذنباً صغيراً، أو كبيراً، ويتوب منه، وهذا متفق عليه بين المسلمين، ولو لم يتب فالصغائر مغفورة باجتناب الكبائر عند جماهيرهم، بل عند الأكثرين منهم أن الكبائر قد تمحى بالحسنات التي هي أعظم منها، وقد يبتلون أيضاً بمصائب يكفر =

١٠- فضائل الصحابة ومحاسنهم:

ثُمّ الْقدْر الّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بعْضِهِمْ قلِيلٌ، نزْرٌ مغْفُورٌ فِي جنْبِ فضائِلِ الْقوْمِ ومحاسِنِهِمْ؛ مِن الإِيمانِ بِاللهِ، ورسُولِهِ، والْجِهادِ فِي سبِيلِهِ، والْهِجْرةِ، والنُّصْرةِ، والْعِلْمِ النّافِعِ، والْعملِ الصّالِحِ. ومن نّظر فِي سِيرةِ الْقوْمِ بِعِلْمٍ وبصِيرةٍ، وما منّ اللهُ عليْهِم بِهِ مِن الْفضائِلِ؛ علِم يقِينًا أنّهُمْ خِيْرُ الْخلْقِ بعْد الأنْبِياءِ؛ لا كان ولا يكُونُ مِثْلُهُمْ، وأنّهُمُ الصّفْوةُ مِنْ قُرُونِ هذِهِ الأُمّةِ الّتِي هِي خيْرُ الأُممِ وأكْرمُها على اللهِ[١].

= الله عنهم بها، وقد يكفر عنهم بغير ذلك، فإن لهم ﷺ من التوبة، والاستغفار، والحسنات ما ليس لمن هو دونهم، وابتلوا بمصائب يكفر الله بها خطاياهم، لم يبتل بها من دونهم، فلهم من السعي المشكور، والعمل المبرور ما ليس لمن بعدهم، وهم بمغفرة الذنوب أحق من غيرهم ممن بعدهم. هذا فيما كان ذنباً محققاً منهم رضي الله عنهم. اهـ.

(١) ما يذكر عن الصحابة من السيئات كثير منه كذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه، ولكن لم يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم، فإنهم خير قرون هذه الأمة كما قال ﷺ: «خير الناس قرني، الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» رواه البخاري (٣٦٥١) ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله ابن مسعود وعمران بن حصين وأبي هريرة وهذه الأمة خير أمة أخرجت للناس والصحابة رضي الله عنهم: كانوا أكمل هذه الأمة عقلاً، وعلماً، وديناً كما قال فيهم عبدالله ابن مسعود - فيما رواه الدارمي وابن عبد البر وغيرهما -: من كان منكم مستناً، فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا، والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه =

. . . .

= فاعرفوا فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.
وهم خير هذه الأمة كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ بخيريتهم وفضلهم، فأصحابه رضي الله عنهم كانوا أفضل قرون الأمة، فهم أعرف القرون بالله، وأشدهم له خشية، ومن دلائل خيريتهم رضي الله عنهم أن كل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان، والإسلام، والقرآن، والعلم، والمعارف، والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار، وعلو كلمة الله فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة الذين بلغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله، فرضي الله عنهم وسلك بنا سبيلهم لا كان، ولا يكون مثلهم.
وقد جعلهم الله شهداء صدق على الناس، بهديهم وسيرتهم يوزن عمل الناس وهديهم، وإليهم يرجع في فهم الكتاب والسنة والشريعة كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فهم شهداء على الأمم يوم القيامة بقيام الرسل بتبليغ الرسالة إلى أممهم، وشهداء على الناس والأمم بنشر العلم وتفسيره بقولهم وهديهم كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] فهو المؤمنون الذي أمرنا باتباع سبيلهم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقد صح عن النبي ﷺ من حديث حذيفة ومن حديث ابن مسعود وأنس وغيرهم أنه قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود**» أخرجها أحمد =

١١- التصديق بكرامات الأولياء:

قال الشيخُ: ومِنْ أُصولِ أهْلِ السُّنّةِ: التّصْدِيقُ بِكراماتِ الأوْلِياءِ وما يُجْرِي اللهُ على أيْدِيهِم مِّنْ خوارِقِ الْعاداتِ فِي أنْواعِ الْعُلُومِ والْمُكاشفاتِ وأنْواعِ الْقُدْرةِ والتّأْثِيراتِ، كالْمأْثُورِ عنْ سالِفِ الأُممِ فِي سُورةِ الْكهْفِ وغيْرِها، وعنْ صدْرِ هذِهِ الأُمّةِ مِن الصّحابةِ والتّابِعِين وسائِرِ قُرُونِ الأُمّةِ، وهِي موْجُودةٌ فِيها إِلى يوْمِ الْقِيامةِ[(١)].

= والترمذي والروياني وحسنه الترمذي وصححه الألباني. روى أحمد وأصحاب السنن عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» صححه الحافظ.

(١) كرامات الأولياء هي ما يكون للمؤمنين المتقين من الأمور الخارقة للعادة، فإن الكرامة هي الأمر الخارق للعادة.
وأما أولياء الله فإنهم الّذِين آمنُواْ وكانُواْ يتّقُون، فقد أخبر الله - سبحانه - أن أولياءه هم المؤمنون المتقون، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، وهي إنما سميت بهذا الاسم؛ لأن الله يكرم بها أولياءه المتقين.
وقد ضل في هذا الباب طوائف:
فقالت طائفة: لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة، والكهان، وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة، وغيرهم كأبي محمد ابن حزم، وغيره.
وقالت طائفة: بل كل هذا حق، وخرق العادة جائز مطلقاً، وكل ما خرق لنبي من العادات يجوز أن يخرق لغيره من الصالحين، بل ومن السحرة، والكهان، ولكن الفرق أن هذه تقترن بها دعوى النبوة، وهو التحدي. =

. . . .

= وقد يقولون: إنه لا يمكن لأحد أن يعارضها بخلاف تلك، وهذا قول جهم، ومن اتبعه من النفاة للحكمة، والأسباب في أفعال الله - تعالى.

وممن ضل فيها أيضاً المتفلسفة الملاحدة الذين يقولون: أسباب الآيات القوى الفلكية، والقوى النفسانية، والطبيعية.

والصواب ما تقدم من إثبات الكرامة لأولياء الله تعالى دون غيرهم، أما ما يكون للسحرة، والكهان، فليس من ذلك في شيء، فإنه يوجد بين كرامات الأولياء، وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة:

١- منها أن كرامات الأولياء سببها الإيمان، والتقوى. والأحوال الشيطانية سببها ما نهى الله عنه، ورسوله.

٢- ومنها أن الأحوال الشيطانية تبطل أو تضعف إذا ذكر الله، وتوحيده، وقرئت قوارع القرآن لا سيما آية الكرسي، فإنها تبطل عامة هذه الخوارق الشيطانية، وأما آيات الأنبياء، والأولياء، فتقوى بذكر الله، وتوحيده.

٣- ومنها أن ما تأتي به السحرة والكهان وكل مخالف للرسل تمكن معارضته بمثله وأقوى منه، أما كرامات الصالحين لا تعارض لا بمثلها، ولا بأقوى منها.

٤- ومنها أن ما يأتي به السحرة، والكهان مقصوده الكفر، والفسوق، والعصيان أما كرامات الصالحين فمقصودها عبادة الله، وتصديق رسله، فهي آيات، ودلائل، وبراهين متعاضدة على مطلوب واحد.

ومما ينبغي التنبه له الفرق بين آيات الأنبياء، وكرامات الأولياء، فإن آيات الأنبياء عليهم السلام التي دلت على نبوتهم هي أعلى مما يشتركون فيه هم، وأتباعهم.

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣١٩): الخارق كشفًا كان =

. . . .

= أو تأثيرًا إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينًا وشرعًا إما واجب وإما مستحب، وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرًا، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم، أو نهي تنزيه، كان سببًا للعذاب أو البغض كقصة الذي أوتي الآيات فانسلخ منها، بلعام ابن باعوراء؛ لكن قد يكون صاحبها معذورًا لاجتهاد أو تقليد أو نقص عقل أو علم أو غلبة حال أو عجز أو ضرورة. فيكون من جنس برح العابد.

و(النهي) قد يعود إلى سبب الخارق وقد يعود إلى مقصوده فالأول مثل أن يدعو الله دعاء منهيا عنه اعتداء عليه. وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] ومثل الأعمال المنهي عنها إذا أورثت كشفًا أو تأثيرًا.

والثاني أن يدعو على غيره بما لا يستحقه أو يدعو للظالم بالإعانة ويعينه بهمته: كخفراء العدو وأعوان الظلمة من ذوي الأحوال؛ فإن كان صاحبه من عقلاء المجانين والمغلوبين غلبة بحيث يعذرون والناقصين نقصًا لا يلامون عليه كانوا (برحية). وإن كانوا عالمين قادرين كانوا (بلعامية) فإن من أتى بخارق على وجه منهي عنه أو لمقصود منهي عنه فإما أن يكون معذورًا معفوًا عنه (كبرح) أو يكون متعمدًا للكذب (كبلعام). فتلخص أن الخارق (ثلاثة أقسام):

محمود في الدين، ومذموم في الدين، ومباح لا محمود ولا مذموم في الدين؛ فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة وإن لم يكن فيه منفعة كان كسائر المباحات التي لا منفعة فيها كاللعب والعبث. قال أبو علي الجوزجاني: كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة. فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة =

. . . .

= وربك يطلب منك الاستقامة. قال الشيخ السهروردي في «عوارفه»: وهذا الذي ذكره أصل عظيم كبير في الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب. وذلك أن المجتهدين والمتعبدين سمعوا عن سلف الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات فأبدًا نفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك ويحبون أن يرزقوا شيئًا من ذلك، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب، متهمًا لنفسه في صحة عمله، حيث لم يكاشَف بشيء من ذلك، ولو علموا سرَّ ذلك، لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابًا، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة تفننًا، فيقوى عزمه على هذا الزهد في الدنيا والخروج من دواعي الهوى، وقد يكون بعض عباده يكاشَف بصدق اليقين ويرفع عن قلبه الحجاب، ومن كوشف بصدق اليقين أُغنِيَ بذلك عن رؤية خرق العادات؛ لأن المراد منها كان حصول اليقين، وقد حصل اليقين، فلو كوشف هذا المرزوق صدق اليقين بشيء من ذلك لازداد يقينًا، فلا تقتضي الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع، استغناءً به، وتقتضي الحكمة كشف ذلك لآخرَ، لموضعِ حاجتِه، وكان هذا الثاني يكون أتم استعدادًا وأهلية من الأول. فسبيلِ الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهي كل الكرامة. ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع فما يبالي ولا ينقص بذلك. وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة. فتعلم هذا؛ لأنه أصل كبير للطالبين والعلماء الزاهدين ومشايخ الصوفية.اهـ

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١١/ ٣١١) في «قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات»: وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة =

. . . .

= في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره - ويسمونها: الآيات - لكن كثيرًا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعُهما الأمر الخارق للعادة. فنقول: صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم والقدرة والغنى. وإن شئت أن تقول: العلم والقدرة. والقدرة إما على الفعل وهو التأثير وإما على الترك وهو الغنى، والأول أجود.

وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده؛ فإنه الذي أحاط بكل شيء علمًا وهو على كل شيء قدير وهو غني عن العالمين. وقد أمر الرسول ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠] وكذلك قال نوح عليه السلام. فهذا أول أولي العزم وأول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض. وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم كلاهما يتبرأ من ذلك. وهذا لأنهم يطالبون الرسول ﷺ تارة بعلم الغيب كقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس: ٤٨] و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: ١٨٧] وتارة بالتأثير كقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ إلى قوله ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣] وتارة يعيبون عليه الحاجة البشرية كقوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧-٨]. فأمره أن يخبر أنه لا يعلم الغيب ولا يملك خزائن الله ولا هو مَلَك غني عن الأكل والمال =

. . . .

= إن هو إلا متبع لما أوحي إليه، واتباع ما أوحي إليه هو الدين، وهو طاعة الله وعبادته علمًا وعملًا بالباطن والظاهر، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى، فيعلم منه ما علمه إياه، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه، ويستغني عما أغناه الله عنه، من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة غالب الناس.

فما كان من الخوارق من باب العلم فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره. وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومنامًا. وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحيًا وإلهامًا، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة، ويسمى كشفًا ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات، فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله كشفًا ومكاشفة أي كُشِفَ له عنه.

وما كان من باب القدرة فهو التأثير وقد يكون هِمَّةَ وصدقًا ودعوةً مجابةً، وقد يكون من فعل الله الذي لا تأثير له فيه بحال، مثلُ هلاك عدوه بغير أثر منه، كقوله «**من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحَرِب**». ومثل تذليل النفوس له ومحبتها إياه ونحو ذلك.

وكذلك ما كان من باب العلم والكشف؛ قد يكشف لغيره من حاله بعض أمور كما قال النبي ﷺ في المبشرات: «**هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له**» وكما قال: النبي ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**».

وكل واحد من الكشف والتأثير قد يكون قائمًا به، وقد لا يكون قائمًا به، بل يكشف الله حاله ويصنع له من حيث لا يحتسب، كما قال يوسف بن أسباط: ما صدق اللهَ عبدٌ إلا صنع له، وقال أحمد بن حنبل: لو وضع الصدق على جرح لبرأ. لكن من قام بغيره له من الكشف والتأثير فهو سببه أيضًا، وإن =

١٢- إتباع آثار رسول الله ﷺ:

ثُمَّ مِنْ طرِيقةِ أَهْلِ السُّنّةِ والْجماعةِ اتِّباعُ آثارِ رسُولِ اللهِ ﷺ باطِنًا وظاهِرًا[(١)]، واتِّباعُ سبِيلِ السّابِقِين الأوّلِين مِن الْمُهاجِرِين والأنْصار.

واتِّباعُ وصِيّةِ رسُولِ اللهِ ﷺ، حيثُ قال: «عليْكُمْ بِسُنّتِي وسُنّةِ الْخُلفاءِ الرّاشِدِين الْمهْدِيِّين مِنْ بعْدِي، تمسّكُوا بِها، وعضُّوا عليْها بِالنّواجِذِ،

= كان خرق عادة في ذلك الغير فمعجزات الأنبياء وأعلامهم ودلائل نبوتهم تدخل في ذلك...إلخ.

(١) قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عِمرَان: ٣١] هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في «الصحيح» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «منْ عمِل عملًا ليْس عليه أمْرُنا فهُو ردٌّ» ثم قال آمرًا لكل أحد من خاص وعام: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: خالفوا عن أمره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٣٢] فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب الله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، الذي لو كان الأنبياء؛ بل المرسلون، بل أولو العزم منهم في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه، والدخول في طاعته، واتباع شريعته. وقال ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النُّور: ٥٤].

وإِيّاكُمْ ومُحْدثاتِ الأُمُورِ؛ فإِنّ كُلّ بِدْعةٍ ضلالةٌ»[(١)].

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النِّساء: ١١٥] قال ابن كثير: أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمْد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له. وقوله: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النِّساء: ١١٥] هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفًا لهم وتعظيما لنبيهم ﷺ وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة.اهـ
وقال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم في «مقدمة الجرح والتعديل»: فأما أصحاب الرسول ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله ﷻ لصحبه نبيه ﷺ ونصرته، وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم له صحابةً وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة، فحفظوا عنه ﷺ ما بلّغهم عن الله ﷻ وما سن وشرع وحكم وقضى وندب، وأمر ونهى، وحظر وأدّب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده، بمعاينة رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرفهم الله ﷻ بما مَنَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز، وسماهم عدول الأمة فقال عز ذكره في محكم كتابه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] ففسر النبي ﷺ عن الله عز ذكره قوله (وسطاً) قال: (عدلاً) فكانوا عدول الأمة وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقلة الكتاب والسنة، =

. . . .

= وندب الله ﷻ إلى التمسك بهديهم والجري على منهاهجم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم فقال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النِّساء: ١١٥] الآية، ووجدنا النبي ﷺ قد حض على التبليغ عنه في أخبار كثيرة، ووجدناه يخاطب أصحابه فيها منها أنه دعا لهم فقال: «**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره**» وقال ﷺ في خطبته: «**فليبلغ الشاهد منكم الغائب**» وقال: «**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عني ولا حرج**» ثم تفرقت الصحابة رضي الله تعالى عنهم في النواحي والأمصار والثغور، وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام، فبث كلٌّ واحد منهم في ناحية، وبالبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول ﷺ، وحكموا بحكم الله ﷻ، وأمضوا الأمور على ما سَنّ رسول الله ﷺ، وأفتوا فيما سئلوا عنه مما حضرهم من جواب رسول الله ﷺ عن نظائرها، من المسائل وجردوا أنفسهم مع تقدمة حسن النية والقربة إلى الله تقدس اسمه، لتعليم الناس الفرائض والأحكام، والسنن والحلال والحرام، حتى قبضهم الله ﷻ رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين. فخلف بعدهم التابعون الذين اختارهم الله ﷻ لإقامة دينه، وخصهم بحفظ فرائضه وحدوده، وأمره ونهيه وأحكامه، وسنن رسوله ﷺ وآثاره، فحفظوا عن صحابة رسول الله ﷺ ما نشروه وبثوه، من الأحكام والسنن والآثار، وسائر ما وصفنا الصحابة به، رضي الله تعالى عنهم، فأتقنوه وعلموه وفقهوا فيه، فكانوا من الإسلام والدين، ومراعاة أمر الله ﷻ ونهيه بحيث وضعهم الله ﷻ ونصبهم له، إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التّوبَة: ١٠٠] الآية حدثنا محمد بن يحيى أخبرنا العباس بن الوليد النرسي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة قوله ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التّوبَة: ١٠٠] التابعون.اهـ

١٣- أصدق الكلام كلام الله:

ويعْلمُون أنّ أصْدقَ الْكلامِ كلامُ اللهِ، وخيْرَ الْهدْيِ هدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، ويُؤْثِرُونَ كلامَ اللهِ على غيْرِهِ مِنْ كلامِ أصْنافِ النّاسِ، ويُقدِّمُونَ هدْيَ مُحمّدٍ ﷺ على هدْيِ كُلِّ أحدٍ، ولِهذا سُمُّوا أهْلَ الْكِتابِ والسُّنّةِ، وسُمُّوا أهْلَ الْجماعةِ؛ لأنّ الْجماعةَ هِي الاِجْتِماعُ، وضِدُّها الْفُرْقةُ، وإِنْ كان لفْظُ الْجماعةِ قدْ صار اسْمًا لِنفْسِ الْقوْمِ الْمُجْتمِعِين.

والإِجماعُ هُو الأصْلُ الثّالِثُ الّذِي يُعْتمدُ عليْهِ فِي الْعِلْمِ والدينِ.

وهُمْ يزِنُون بِهذِه الأُصُولِ الثّلاثةِ جمِيع ما عليْهِ النّاسُ مِنْ أقْوالٍ وأعْمالٍ باطِنةٍ أوْ ظاهِرةٍ مِمّا لهُ تعلُّقٌ بِالدِّينِ[١].

---

(١) الأصول التي يستند إليها أهل السنة والجماعة في طريقتهم ثلاثة أصول:
الأول: وهو أصل الأصول ورأسها كتاب الله، فإنه مبين للدين كله، موضح لسبيل الهدى، كافٍ من اتبعه، لا يحتاج معه إلى غيره من الآراء، يجب اتباعه دون اتباع غيره من السبل.
والثاني هذه الأصول السنة المطهرة، فإن الرسول ﷺ بين للناس لفظ القرآن ومعناه. وهي الحكمة التي أنزل الله على نبيه لتبيين القرآن كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٤] وقال: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] قال الإمام الشافعي في «الرسالة» (ص ٣٢): كل ما سنَّ رسول الله مما ليس فيه كتاب، وفيما كتبنا في كتابنا هذا من ذكر ما منّ الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة =

والإِجْماعُ الّذِي ينْضبِطُ هُو ما كان عليْهِ السّلفُ الصّالِحُ ؛ إِذْ بعْدَهُمْ كثُرَ الاخْتِلافُ، وانْتشرت الأُمّةُ[١].

= دليل على أن الحكمة سنة رسول الله ﷺ، مع ما ذكرنا مما افترض الله على خلقه من طاعة رسوله، وبيّن من موضعه الذي وضعه الله به مون دينه. اهـ.

والثالث الإجماع، وهو متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء، والصوفية، وأهل الحديث، والكلام، وغيرهم في الجملة، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة، والشيعة، لكن المعلوم منه هو ما كان عليه الصحابة. وأما بعد ذلك فتعذر العلم به غالباً.

ولا يوجد مسألة يتفق الإجماع عليها إلا وفيها نص، فإن ما دل عليه الإجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة.

وبهذا يتبين أن دين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله، وسنة رسوله، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة أصول معصومة بنى عليهاً أهل السنة والجماعة عقدهم، وقولهم، وعملهم.

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٠): معنى الإجماع: أن يجتمع علماء المسلمين على حكم من الأحكام.

وإذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم؛ فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة ولكنْ كثير من المسائل يظن بعض الناس فيها إجماعاً، ولا يكون الأمر كذلك، بل يكون القول الآخرَ أرجح في الكتاب والسنة. وأما أقوال بعض الأئمة كالفقهاء الأربعة وغيرهم فليس حجة لازمة ولا إجماعًا باتفاق المسلمين، بل قد ثبت عنهم رضي الله عنهم أنهم نهوا الناس عن تقليدهم؛ وأمروا إذا رأوا قولًا في الكتاب والسنة أقوى من قولهم، أن يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويدعوا أقوالهم... فإذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول فأي القولين دل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه.اهـ

١٤- الفضائل الأخلاقية الدينية لأهل السنة:

قال الشيخ: «ثُمَّ هُمْ مَّع هّذِهِ الأُصُولِ يأْمُرُونَ بِالْمعْرُوفِ، وينْهونَ عنِ الْمُنْكرِ على ما تُوجِبُهُ الشّرِيعةُ[(١)]».

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الاستقامة» (٢/ ١٩٨وما بعدها): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو من الدين... وقوله سبحانه في صفة نبينا ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعرَاف: ١٥٧] هو لبيان كمال رسالته فإنه ﷺ هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف ونهى عن كل منكر وأحل كل طيب وحرم كل خبيث ولهذا روى عنه ﷺ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق**»... وكذلك وصف الله هذه الأمة بما وصف به نبيها حيث قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠] وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التّوبَة: ٧١]... فبين الله سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم لهم، وأعظمهم أحساناً إليهم؛ لأنهم كمّلوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر، لكلِّ أحد، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم وهذا كمال النفع للخلق... والله ﷻ -كما أخبر بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر- فقد أوجب ذلك على الكفاية منها بقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤]... ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه، بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن... فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه، أثِم كل قادر =

. . . .

= بحسب قدرته، إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته، كما قال النبي ﷺ **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»** وإذ كان كذلك فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أُمِرنا به ... والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر.

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أوالمستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب، والله لا يحب الفساد؛ بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات وذم الفساد والمفسدين في غير موضع.

فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به؛ وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم إذِ المؤمن عليه أن يتقى الله في عباد الله وليس عليه هداهم، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المَائدة: ١٠٥]، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضال.

وذلك يكون تارة بالقلب وتارة باللسان وتارة باليد.

فأما القلب فيجب بكل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: **«وذلك أدنى أو أضعف الإيمان»**، وقال: **«ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**، وقيل لابن مسعود رضي الله عنه: من ميت =

. . . .

= الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً. وهذا هو المفتون الموصوف بأن قلبه كالكوز مُجخِّيًا، في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في الصحيحين: «**تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير**»، الحديث.

وهنا يغلط فريقان من الناس:

فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي تأويلاً لهذه الآية! كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المَائدة: ١٠٥]، وإنكم تضعونها في غير موضعها! وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**».

والفريق الثاني من يريد أن يأمر وينهى، إما بلسانه وإما بيده مطلقاً! من غير فقهٍ ولا حكم ولا صبر ولا نظر في ما يصلح من ذلك وما لا يصلح وما يقدر عليه وما لا يقدر، كما في حديث أبي ثعلبه الخشني سألتُ عنها - أي الآية - رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً ودنياً مؤْثرةً وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ، ورأيت أمراً، لا يدانِ لك به، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوامِّ، فإن من ورائك أيام الصبرِ الصبرُ فيهن مثلُ قبضٍ على الجمر، للعامل فيهن كأجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**»، فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ورسوله وهو معتدٍ في حدوده، كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسه للأمر والنهي كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم، ممن غلِط فيما أتاه من الأمر والنهي والجهاد وغير ذلك، فكان فساده أعظم من صلاحه.

ولهذا أمر النبي ﷺ بالصبر على جور الأئمة ونهى عن قتالهم ما أقاموا =

. . . .

= الصلاة، وقال: «أدوا إليهم حقوقهم وسلوا الله حقوقكم»، ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة وأما أهل الأهواء كالمعتزلة، فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم... وجماع ذلك: داخل في القاعدة العامة، فيما اذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها، فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد فإن الأمر والنهى وإن كان متضمنا لتحصل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به؛ بل يكون محرماً، إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته؛ لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقلّ أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام.

وعلى هذا إذا كان الشخص أوالطائفة جامعين بين معروف ومنكر، بحيث لا يفرقون بينهما؛ بل إما أن يفعلوهما جميعاً أو يتركوهما جميعاً لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر؛ بل ينظر، فإن كان المعروف أكثر أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر. ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه؛ بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله ﷺ وزوال فعل الحسنات.

وإن كان المنكر أغلب، نهي عنه وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر وسعياً في معصية الله ورسوله ﷺ. =

. . . .

= وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما.
فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المنكر والمعروف متلازمين وذلك في الأمور المعينة الواقعة.
وأما من جهة النوع، فيؤمر بالمعروف مطلقاً وينهى عن المنكر مطلقاً، وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها ويذم مذمومها بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات معروف أكبر منه، أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر منه أو فوات معروف أرجح منه.
وإذا اشتبه الأمر استثبت المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يقدِم على الطاعة إلا بعلم ونية، وإذا تركها كان عاصياً، فترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية، وهذا باب واسع ولا حول ولا قوة إلا بالله.
ومن هذا الباب إقرار النبي ﷺ لعبد الله بن أُبَي وأمثاله من أئمة النفاق والفجور، لما لهم من الأعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزاله معروف أكبر من ذلك، بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمداً يقتل أصحابه، ولهذا لما خطب الناس - في قصةالإفك - بما خاطبهم به واعتذر منه وقال له سعد بن معاذ قوله - الذي أحسن فيه - حمِي له سعد بن عبادة، مع حسن إيمانه وصدقه وتعصّب لكلٍ منهم قبيلُه حتى كادت تكون فتنة.
وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر وإرادته لهذا وكراهته لهذا، موافقاً لحب الله وبغضه وإرادته وكراهته الشرعيتين، وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها وقد قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التّغابُن: ١٦]. =

. . . .

= فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكراهته، فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان، وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل.
فإن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسولهﷺ، وهذا من نوع الهوى فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القَصَص: ٥٠]، فإن أصل الهوى هو محبة النفس ويتبع ذلك بغضها.
والهوى نفسه - وهو الحب والبغض الذي في النفس - لا يلام العبد عليه، فإنّ ذلك لا يملكه، وإنما يلام على اتِّباعه، كما قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القَصَص: ٥٠]، وقال النبي ﷺ: «**ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى وكلمة الحق في الغضب والرضا، وثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه**».
والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض ووجد وإرادة، وغير ذلك فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله بل قد يتمادى به الأمر إلى أن يتخذ إلهُهُ هواه...
ولما كان العمل لا بد فيه من شيئين النية والحركة كما قال النبي ﷺ: «**أصدق الأسماء حارث وهمام**» فكل أحد حارث وهمام، له عمل ونية، لكن النية المحمودة التي يتقبلها الله ويثيب عليها هي أن يراد الله وحده بذلك =

. . . .

= العمل، والعمل المحمود هو الصالح وهو المأمور به.. وإذا كان هذا حد كل عمل صالح فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون كذلك، هذا في حق الآمر الناهي بنفسه، ولا يكون عمله صالحاً إن لم يكن بعلمٍ وفقهٍ، كما قال عمر بن عبد العزيز: من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح. وكما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**العلم إمام العمل والعمل تابعه**».

وهذا ظاهر فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعاً للهوى، كما تقدم.

وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الإسلام، فلابد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولابد من العلم بحال المأمور وحال المنهي.

ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق الى حصول المقصود، ولابد في ذلك من الرفق كما قال النبي ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا كان العنف في شيء إلا شانه**»، وقال ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**» وقال: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**».

ولابد أيضا أن يكون حليماً صبوراً على الأذى، فلا بد أن يحصل له أذى فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، كما قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ولهذا أمر الله الرسل - وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - بالصبر... فلابد من هذه الثلاثة، العلم والرفق والصبر، العلم قبل الأمر والنهي والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لابد أن يكون =

ويَرَوْنَ إِقامةَ الْحجِّ والْجِهادِ والْجُمعِ والأعْيادِ مع الأُمراءِ أبْرارًا كانُوا أوْ فُجّارًا[1] **.**

= مستصحباً في هذه الاحوال، وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف - ورووه مرفوعاً، ذكره القاضي أبو يعلى في «المعتمد»: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فما ينهي عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه» ...اهـ ملخصاً من «الاستقامة»

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٠٦): من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر؛ فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور؛ فإنه لا بد من أحد أمرين:
١- إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا.
٢- وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام؛ وإن لم يمكن إقامة جميعها. فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها؛ بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه. وثبت عن النبي ﷺ «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم**» فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود في سننه من قوله ﷺ «**الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**»، وما استفاض عنه ﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة**» إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء =

. . . .

= أبرارهم وفجارهم؛ بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجماعة. هذا مع إخباره ﷺ بأنه «**سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة. فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه، ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض**». فإذا أحاط المرء علما بما أمر به النبي ﷺ من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم: علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسئول عنهم مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله؛ بل يطيعهم في طاعة الله، ولا يطيعهم في معصية الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديمًا وحديثًا، وهي واجبة على كل مكلف، وهي متوسطة بين طريق الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقًا وإن لم يكونوا أبرارًا. ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل. والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ.

وقال الإمام البخاري في «صحيحه»: باب: الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر، لقول النبي ﷺ: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**» حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكرياء، عن عامر، حدثنا عروة البارقي: أن النبي ﷺ قال: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم**».اهـ

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٥٦): قوله باب الجهاد ماض =

ويُحافِظُون على الْجماعاتِ(١) .

= مع البر والفاجر» : هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه بنحوه أبو داود وأبو يعلى مرفوعاً وموقوفا عن أبي هريرة ، ولا بأس برواته ؛ إلا أن مكحولاً لم يسمع من أبي هريرة وفي الباب عن أنس أخرجه سعيد بن منصور وأبو داود أيضًا ، وفي إسناده ضعف. قوله «لقول النبي ﷺ الخيل معقود» إلخ . . . سبقه إلى الاستدلال بهذا الإمام أحمد ؛ لأنه ﷺ ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة ، وفسره بالأجر والمغنم ، والمغنمُ المقترن بالأجر إنما يكون من الخيل بالجهاد ولم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً ، فدل على أن لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر ، وفي الحديث الترغيب في الغزو على الخيل وفيه أيضا بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين ، وهم المسلمون وهو مثل الحديث الآخر : «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق**» الحديث.اهـ

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٨٠) : ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم ، فإن كان الإمام مستورًا لم يظهر منه بدعة ولا فجور ، صلى خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين ، ولم يقل أحد من الأئمة : إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره ، بل ما زال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور ؛ ولكن إذا ظهر من المصلي بدعة أو فجور ، وأمكن الصلاة خلف من يعلم أنه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره ، فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم ، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد. وأما إذا لم يمكن =

ويدِينُون بِالنّصِيحةِ للأُمّةِ(١)، ويعْتقِدُون معْنى قوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ

= الصلاة إلا خلف المبتدع أو الفاجر كالجمعة التي إمامها مبتدع، أو فاجر وليس هناك جمعة أخرى فهذه تصلى خلف المبتدع والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة. وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم. وكان بعض الناس إذا كثرت الأهواء يحب أن لا يصلي إلا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب، كما نقل ذلك عن أحمد أنه ذكر ذلك لمن سأله. ولم يقل أحمد إنه لا تصح إلا خلف من أعرف حاله.

ولما قدم أبو عمرو عثمان بن مرزوق إلى ديار مصر، وكان ملوكها في ذلك الزمان مظهرين للتشيع، وكانوا باطنية ملاحدة، وكان بسبب ذلك قد كثرت البدع وظهرت بالديار المصرية - أمر أصحابه أن لا يصلوا إلا خلف من يعرفونه؛ لأجل ذلك ثم بعد موته فتحها ملوك السنة، مثل صلاح الدين، وظهرت فيها كلمة السنة المخالفة للرافضة، ثم صار العلم والسنة يكثر بها ويظهر.

فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين ومن قال إن الصلاة محرمة أو باطلة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة ابن أبي معيط، وكان قد يشرب الخمر، وصلى مرة الصبح أربعًا، وجلده عثمان بن عفان على ذلك، وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد وكان متهمًا بالإلحاد وداعيًا إلى الضلال.اهـ

(١) كما صح عن النبي ﷺ أنه كان يأخذ البيعة من أصحابه على النصيحة ففي =

. . . .

= صحيح مسلم (٥٦) عن جرير البجلي قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإتاء الزكاة والنصح لك مسلم وعلى السمع والطاعة فيما استطعت.
ولمسلم أيضًا (٥٥) عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» قال النووي في شرحه: وأما نصيحة عامة المسلمين - وهو من عدا ولاة الأمر - فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحولهم بالقول والفعل، وحِثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط هممهم إلى الطاعات.
وقال أيضًا: وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم.
قال الخطابي رحمه الله: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور =

لِلْمُؤْمِنِ كالْبُنْيانِ الْمرْصُوصِ؛ يشُدُّ بعْضهُ بعْضًا»، وشبّك بيْن أصابِعِهِ[(١)]

وقوْلِهِ ﷺ: «مثلُ الْمُؤْمِنِين فِي توادِّهِمْ وتراحُمِهِمْ وتعاطُفِهِمْ كمثلِ الْجسدِ إِذا اشْتكى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تداعى لهُ سائِرُ الْجسدِ بِالْحُمّى والسّهرِ»[(٢)]

ويأْمُرُون بِالصّبْرِ عِنْد الْبلاءِ، والشُّكْرِ عِنْد الرّخاءِ والرِّضا بِمُرِّ الْقضاءِ[(٣)]

= المسلمين من أصحاب الولايات. وهذا هو المشهور، وحكاه أيضًا الخطابي ثم قال: وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين، وأن من نصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم في الأحكام وإحسان الظن بهم. اهـ.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٩): الصبر واجب باتفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها والصبر عن اتباع أهواء النفوس فيما نهى الله عنه. وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البَقَرَة: ٤٥] ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣] وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هُود: ١١٥]، ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ﴾ [طه: ١٣٠] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غَافر: ٥٥] الآية، وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدَة: ٢٤]، فإن الدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به =

ويدْعُون إِلى مكارِمِ الأخْلاقِ، ومحاسِنِ الأعْمالِ، ويعْتقِدُون معْنى قوْلِهِ ﷺ: «أكْملُ الْمُؤْمِنين إِيمانًا أحْسنُهُمْ خُلُقًا»(١).

وينْدُبُون إِلى أنْ تصِل منْ قطعك، وتُعْطِي منْ حرمك، وتعْفُو عمّنْ ظلمك.

ويأْمُرُون بِبِرِّ الْوالِديْنِ، وصِلةِ الأرْحامِ، وحُسْنِ الْجِوارِ، والإِحْسانِ

= لا بد فيه من الصبر، بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾... ولهذا قال علي: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد - فإذا انقطع الرأس بان الجسد - ثم رفع صوته فقال ألا لا إيمان لمن لا صبر له.

وأما الرضا، فقد تنازع العلماء والمشايخ، من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضا بالقضاء: هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين:

فعلى الأول يكون من أعمال المقتصدين.

وعلى الثاني يكون من أعمال المقربين.

قال عمر بن عبد العزيز: الرضا عزيز ولكن الصبر معول المؤمن... ولهذا لم يجئ في القرآن إلا مدح الراضين لا إيجاب ذلك وهذا في الرضا بما يفعله الرب بعبده من المصائب كالمرض والفقر والزلزال كما قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٤]، فالبأساء في الأموال والضراء في الأبدان والزلزال في القلوب.اهـ المقصود

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢).

إلى الْيتامى والْمساكِينِ وابْنِ السّبِيلِ، والرِّفْقِ بِالْممْلُوكِ.

وينْهوْن عنِ الْفخْرِ، والْخُيلاءِ، والْبغْيِ، والاسْتِطالةِ على الْخلْقِ بِحقٍّ أوْ بِغيْرِ حقٍّ. ويأْمُرُون بِمعالِي الأخْلاقِ، وينْهوْن عنْ سفْسافِها.

وكُلُّ ما يقُولُونهُ ويفْعلُونهُ مِنْ هذا وغيْرِهِ؛ فإِنّما هُمْ فِيهِ مُتّبِعُون لِلْكِتابِ والسُّنّةِ.

وطرِيقتُهُمْ هِي دِينُ الإسْلامِ الّذِي بعث اللهُ بِهِ مُحمّدًا ﷺ؛ لكِنْ لمّا أخْبر النّبِيُّ ﷺ أنّ أُمّتهُ ستفْترِقُ على ثلاثٍ وسبْعِين فِرْقةً؛ كُلُّها فِي النّار؛ إلاّ واحِدةً، وهِي الْجماعةُ، وفِي حدِيثٍ عنْهُ أنّهُ قال: «هُمْ منْ كان على مِثْلِ ما أنا عليْهِ الْيوم وأصْحابِي»، صارَ الْمُتمسِّكُون بِالإسْلامِ الْمحْضِ الْخالِصِ عنِ الشّوْبِ هُمُ أهْلَ السُّنّةِ والْجماعةِ[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٤/ ص ١): قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النِّساء: ١١٥]، وقد شهد الله لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان. فعلم قطعا أنهم المراد بالآية الكريمة فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال تعالى: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [الفتح: ١٨].

فحيث تقرر أن من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم. =

. . . .

= فمن سبيلهم في الاعتقاد: (الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه) التي وصف بها نفسه وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين؛ ولا سمات المحدثين بل أمروها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها؛ ومعناها إلى المتكلم بها. وقال بعضهم - ويروى عن الشافعي -: آمنت بما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله. وعلموا أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدقوه ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه. وأخذ ذلك الآخر عن الأول ووصى بعضهم بعضا بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف أولهم وحذروا من التجاوز لهم والعدول عن طريقتهم وبينوا لنا سبيلهم ومذهبهم ونرجو أن يجعلنا الله تعالى ممن اقتدى بهم في بيان ما بينوه؛ وسلوك الطريق الذي سلكوه. والدليل على أن مذهبهم ما ذكرناه: أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها مؤمن بها قابل لها؛ غير مرتاب فيها؛ ولا شاك في صدق قائلها ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ولا تأولوه ولا شبهوه بصفات المخلوقين إذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم ولم يجز أن يكتم بالكلية. إذ لا يجوز التواطؤ على كتمان ما يحتاج إلى نقله ومعرفته لجريان ذلك في القبح مجرى التواطؤ على نقل الكذب وفعل ما لا يحل. بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا: أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف؛ وتارة بالضرب وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته. ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن صبيغا يسأل عن المتشابه أعد له عراجين النخل فبينما عمر يخطب قام فسأله عن: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ وما بعدها. فنزل عمر =

. . . .

= فقال: لو وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف (ثم أمر به فضرب ضربا شديدا وبعث به إلى البصرة وأمرهم أن لا يجالسوه فكان بها كالبعير الأجرب لا يأتي مجلسا إلا قالوا: (عزمة أمير المؤمنين) فتفرقوا عنه حتى تاب وحلف بالله ما بقي يجد مما كان في نفسه شيئا فأذن عمر في مجالسته فلما خرجت الخوارج أتي فقيل له: هذا وقتك فقال: لا نفعتني موعظة العبد الصالح. ولما سئل مالك بن أنس رحمه الله تعالى فقيل له: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك وعلاه الرحضاء - يعني العرق - وانتظر القوم ما يجيء منه فيه. فرفع رأسه إلى السائل وقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأحسبك رجل سوء، وأمر به فأخرج، ومن أول الاستواء بالاستيلاء فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك وسلك غير سبيله، وهذا الجواب من مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات. مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها. فيقال في مثل النزول: النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وهكذا يقال في سائر الصفات إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة.اهـ

وقال شيخ الإسلام في مناظرة الواسطية كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٠) الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره وابتلي بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره: كان كلامه وعلمه في هذا الباب أكثر من غيره فصار إماما في السنة أظهر من غيره وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة - العلماء الصلحاء - قال: المذهب لمالك والشافعي والظهور لأحمد بن حنبل يعني أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان =

وفِيهِمُ الصِّدِّيقُون، والشُّهداءِ، والصّالِحُون، ومِنْهُمُ أعْلامُ الْهُدى، ومصابِيحُ الدُّجى، أُولو الْمناقِبِ الْمأْثُورةِ، والْفضائِلِ الْمذْكُورةِ، وفِيهِمُ الأبْدالُ[1].

= وإظهار الحق ودفع الباطل ما ليس لبعض.اهـ

وقال فيها أيضاً - مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٩) -: قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي بالنجاة حيث قال: «**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، فهذا الاعتقاد: هو المأثور عن النبي وأصحابه ﷺ وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: الإيمان يزيد وينقص وكل ما ذكرته في ذلك فإنه مأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة لفظه ومعناه وإذا خالفهم من بعدهم لما يضر في ذلك. ثم قلت لهم: وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك: فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا وقد لا يكون ناجيا كما يقال من صمت نجا.اهـ

(١) قوله رحمه الله: (وفيهم الأبدال) الأبدال جمع بدل، وهو لفظ تكلم به بعض السلف، ويروى فيه عن النبي ﷺ حديث ضعيف، وفيه أنهم أربعون رجلاً، وأنهم بالشام، وهو في مسند الإمام أحمد (٨٩٦) من حديث علي رضي الله عنه، =

. . . .

= بلفظ «الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً»، وهو حديث منقطع ليس بثابت ضعفه شيخ الإسلام وغيره.
قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٦٧): كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة وثلاثة عشر أو القطب الواحد فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال. وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلا وأنهم بالشام وهو في المسند من حديث علي رضي الله عنه وهو حديث منقطع ليس بثابت، ومعلوم أن عليا ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي.اهـ
وقال شيخ الإسلام - كما في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٣٣) -: أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى؛ ولا هي أيضا مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال.
فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «إن فيهم - يعني أهل الشام - الأبدال الأربعين رجلًا كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً»، ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب؛ ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولا عاماً؛ وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ؛ وقد قالها إما آثرا لها عن غيره أو ذاكرًا. =

. . . .

= وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقه بباطله فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله، ومن الباطل ما يوجب رده، وصار كثير من الناس على طرفي نقيض! قوم كذبوا به كله لما وجدوا فيه من الباطل، وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق، وإنما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل...

ثم إن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين؛ بل من الصديقين السابقين المقربين عدد لا يحصي عدده إلا رب العالمين لا يحصرون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف ولما انقرضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الخالية من أولياء الله المتقين؛ بل من السابقين المقربين من لا يعرف عدده وليسوا بمحصورين بعدد ولا محدودين بأمد...

فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل...

وأما الأوتاد فقد يوجد في كلام البعض أنه يقول: فلان من الأوتاد يعني بذلك أن الله تعالى يثبت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم الله به كما يثبت الأرض بأوتادها وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة من العلماء فكل من حصل به تثبيت العلم والإيمان في جمهور الناس كان بمنزلة الأوتاد العظيمة والجبال الكبيرة ومن كان بدونه كان بحسبه وليس ذلك محصورا في أربعة ولا أقل ولا أكثر بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة بقول المنجمين في أوتاد الأرض.

وأما القطب فيوجد أيضا في كلامهم فلان من الأقطاب أو فلان قطب فكل من دار عليه أمر من أمور الدين أو الدنيا باطنًا أو ظاهرًا فهو قطب ذلك =

. . . .

= الأمر ومداره سواء كان الدائر عليه أمر داره أو دربه أو قريته أو مدينته أمر دينها أو دنياها باطنًا أو ظاهرًا ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر؛ لكن الممدوح من ذلك من كان مدارا لصلاح الدنيا والدين، دون مجرد صلاح الدنيا؛ فهذا هو القطب في عرفهم فقد يتفق في بعض الأعصار أن يكون شخص أفضل أهل عصره وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله سواء ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقا.

وكذلك لفظ البدل جاء في كلام كثير منهم فأما الحديث المرفوع فالأشبه أنه ليس من كلام النبي عليه السلام فإن الإيمان كان بالحجاز وباليمن قبل فتوح الشام وكانت الشام والعراق دار كفر ثم لما كان في خلافة علي رضي الله عنه قد ثبت عنه عليه السلام أنه قال: «**تمرق مارقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»، فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام؛ ومعلوم أن الذين كانوا مع علي رضي الله عنه من الصحابة مثل عمار بن ياسر وسهل بن حنيف ونحوهما كانوا أفضل من الذين كانوا مع معاوية وإن كان سعد بن أبي وقاص ونحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهما فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام هذا باطل قطعا وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة فقد جعل الله لكل شيء قدرا. والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط...

والذين تكلموا باسم البدل فسروه بمعان: منها أنهم أبدال الأنبياء ومنها أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا ومنها أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ولا تحصر بأهل بقعة من الأرض؛ وبهذا =

وفِيهِمُ أَئِمّةُ الدِّينِ، الّذِين أجْمع الْمُسْلِمُون على هِدايتِهِمْ ودِرايتِهِمْ، وهُمُ الطّائِفةُ الْمنْصُورةُ الّذِين قال فِيهِمُ النّبِيُّ ﷺ: «لا تزالُ طائِفةٌ مِنْ

= التحرير يظهر المعنى في اسم النجباء.

فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف مثل تفسير بعضهم الغوث هو الذي يغيث الله به أهل الأرض في رزقهم ونصرهم فإن هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب وهو معدوم العين والأثر شبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو أربعمائة وأربعين سنة.

وكذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل؛ بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم، ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر...

وكذا لفظ خاتم الأولياء لفظ باطل لا أصل له وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء: كابن حموية وابن عربي وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي عليه السلام من بعض الوجوه إلى غير ذلك من الكفر والبهتان وكل ذلك طمعا في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء وقد غلطوا... فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه ثم علي رضي الله عنه وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس وليس ذلك بخير الأولياء ولا أفضلهم بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنهما ثم عمر: اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما. اهـ

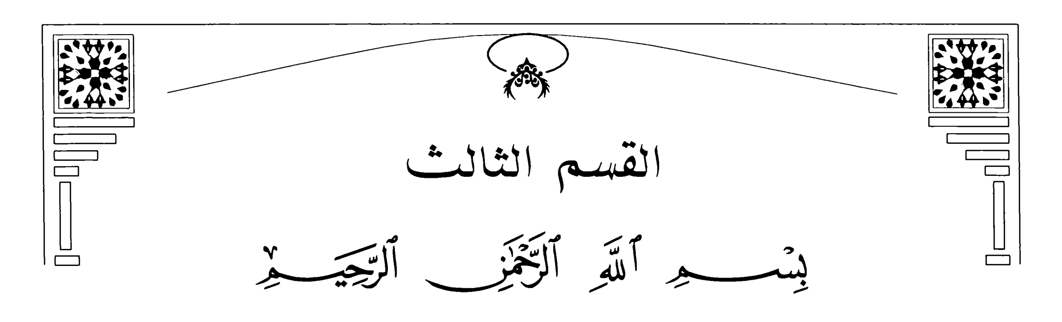
أُمّتِي على الْحقِّ منْصُورةً، لا يضُرُّهُم مّنْ خالفهُمْ، ولا منْ خذلهُمْ؛ حتّى تقُوم السّاعةُ»[(١)]، نسْألُ الله أنْ يجْعلنا مِنهُمْ وأنْ لا يُزِيغ قُلُوبنا بعْد إِذْ هدانا، وأنْ يهب لنا مِن لّدُنْهُ رحْمةً إِنّهُ هُو الوهّابُ.

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى سائر النبيين وآل كل، وسائر الصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) قال البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من «صحيحه»: «باب قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**» وهم أهل العلم» حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ، قال: «**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»، حدثنا إسماعيل، حدثنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، أخبرني حميد، قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة، أو: حتى يأتي أمر الله**». اهـ

قال ابن حجر: قوله وهم أهل العلم هو من كلام المصنف وأخرج الترمذي حديث الباب ثم قال سمعت محمد بن إسماعيل هو البخاري يقول سمعت علي بن المديني يقول هم أصحاب الحديث وذكر في كتاب «خلق أفعال العباد» عقب حديث أبي سعيد في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ هم الطائفة المذكورة في حديث: «**لا تزال طائفة من أمتي**» ثم ساقه وقال وجاء نحوه عن أبي هريرة ومعاوية وجابر وسلمة بن نفيل وقرة بن إياس انتهى وأخرج الحاكم في «علوم الحديث» بسند صحيح عن أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ومن طريق يزيد بن هارون مثله.اهـ



القسم الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ذكر ما وقع في هذه العقيدة المباركة من الأبحاث التي جلاها جامعها للمعترضين

نقل الشيخ علم الدين[١] . . . .

(١) هو الشيخ علم الدين البرزالي الشافعي كان من مناصري شيخ الإسلام ومحبيه، لعله ذكر ذلك في تاريخه أو كتاب الوفيات له، وهو الإمام القاسم ابن محمد بن يوسف بن محمد ابن أبي يداس البرزالي الاشبيلي ثم الدمشقي، أبو محمد، علم الدين: محدث مؤرخ.أصله من إشبيلية، ومولده بدمشق سنة ٦٦٥ هـ وتوفي سنة **٧٣٩** هـ. قال في الأعلام: زار مصر والحجاز وألف كتابا في التاريخ - جعله صلة لتاريخ أبي شامة، وبلغ به إلى سنة **٧٣٨** هـ. ورتب أسماء من سمع منهم، ومن أجازوه في رحلاته، وهم نحو ثلاثة آلاف، وجمع تراجمهم في كتابين مطول ومختصر - وله الوفيات - والشروط - ومختصر المئة السابعة - والعوالي المسندة - ومجاميع وتعاليق كثيرة. وكان فاضلا في علمه وأخلاقه حلو المحاضرة. تولى مشيخة النورية ومشيخة دار الحديث بدمشق، ووقف كتبه، وعقارا جيدا على الصدقات، وتوفي محرما في خليص (بين الحرمين) ونسبته إلى برزالة من بطون البربر.اهـ

قلت: الوفيات طبع قسم منها إلى سنة **٧١٨**هـ

أن الشيخ[١] - قُدس سرُّهُ - قال في مجلس نائب السلطنة الأفرم لما سألة عن اعتقاده[٢]، وكان أحضر الشيخ عقيدته «الواسطية»، قال: هذه كتبتها من نحو سبع سنين، قبل مجيء التتار إلى الشام، فقُرِأتْ في المجلس، ثم نقل علم الدين عن الشيخ أنه قال: كان سبب كتابتها بعض قضاة واسط، من أهل الخير والدين شكى ما الناس فيه ببلادهم في دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة، فقلت له: قد كتب الناس عقائد أئمة السنة فألحّ في السؤال وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت فكتبت له هذه العقيدة، وأنا قاعدٌ بعد العصر، فأشار الأمير لكاتبه، فقرأها على الحاضرين حرفاً حرفاً، فاعترض بعضهم على قولي فيها: «**ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل**»، ومقصوده أن هذا ينفي التأويل، الذي هو صرف اللفظ عن

---

(١) يعني ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) تعرف باسم (مناظر الواسطية) وقد طبعت مع الواسطية في المكتب الإسلامي. وطبعها قصي بن محب الدين الخطيب في «المكتبة السلفية» وطبعها رشيد رضا في «المنار» ضمن «مجموعة الرسائل الكبرى» لابن تيمية (١/ ٤٢١) وطبعها ابن قاسم في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٩٤) وهي منقولة من «تاريخ» الذهبي مما نقلة عن «تاريخ» علم الدين البرزالي مما نقله من حكاية الشيخ المصنف رَحِمَهُ اللهُ في رسالته لأصحابه كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٠ - ١٩٢).

ظاهره، إما وجوباً وإما جوازاً، فقلت: إني عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، **وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة**، فنفيت ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل لأنه لفظ له عدة معان كما بينته في موضعه من القول، فإن لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف.

وقلت لهم: ذكرت في النفيِّ التمثيلَ ولم أذكر التشبيهَ لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: ١١].

وأخذوا يذكرون نفى التشبيه والتجسيم ويطنبون في هذا، ويعرِّضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك.

فقلت: قولى «**من غير تكييف ولا تمثيل**» ينفى كل باطل، وإنما اخترت هذين الأسمين لأن التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول، «**الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة**»، فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا، فنفيت ذلك اتباعًا لسلف الأمة، وهو أيضاً منفي بالنص، فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف، وحقيقة صفاته غير معلومة، وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله كما قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في

التأويل والمعنى، والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله(١)

(١) انظرها في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٦ما بعدها) وتكلم على التأويل في (١٧/ ٣٦٧)، في رسالة «الإكليل في المتشابه والتأويل» وخلاصة ما قال فيه قوله رحمه الله: إن قدماء المفسرين لفظ التأويل والتفسير عندهم سواء.. ولما كان هذا معنى التأويل عند مجاهد وهو إمام التفسير جعل الوقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عِمرَان: ٧] فإن الراسخين في العلم يعلمون تفسيره وهذا القول اختيار ابن قتيبة وغيره من أهل السنة.
وكان ابن قتيبة يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق وقد بسط الكلام على ذلك في كتابه في «المشكل» وغيره.
وأما متأخرو المفسرين كالثعلبي فيفرقون بين التفسير والتأويل. قال: فمعنى التفسير هو التنوير وكشف المغلق من المراد بلفظه. والتأويل: صرف الآية إلى معنى تحتمله، يوافق ما قبلها وما بعدها، وتكلم في الفرق بينهما بكلام ليس هذا موضعه؛ إلا أن التأويل الذي ذكره هو المعنى الثالث المتأخر وأبو الفرج بن الجوزي يقول: اختلف العلماء هل التفسير والتأويل بمعنى واحد، أم يختلفان؟ فذهب قوم يميلون إلى العربية: إلى أنهما بمعنى وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين. وذهب قوم يميلون إلى الفقه: إلى اختلافهما! فقالوا: التفسير إخراج الشيء عن مقام الخفاء إلى مقام التجلي والتأويل: نقل الكلام عن وضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك آل الشيء إلى كذا. أي صار إليه فهؤلاء لا يذكرون للتأويل إلا المعنى الأول والثاني، وأما التأويل في لغة القرآن فلا يذكرونه وقد عرف أن التأويل في القرآن هو الموجود الذي يئول إليه الكلام وإن كان ذلك موافقاً المعنى الذي يظهر من اللفظ؛ بل لا يعرف في القرآن لفظ التأويل مخالفاً لما يدل عليه اللفظ بخلاف اصطلاح المتأخرين. =

. . . .

= والكلام نوعان: إنشاء وإخبار، فالإنشاء: الأمر والنهي والإباحة، وتأويل الأمر والنهي نفس فعل المأمور ونفس ترك المحظور، كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن. فكان هذا الكلام تأويل قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النّصر: ٣].

قال ابن عيينة: السنة تأويل الأمر والنهي.

والنوع الثاني: الخبر كإخبار الرب عن نفسه تعالى بأسمائه وصفاته وإخباره عما ذكره لعباده من الوعد والوعيد وهذا هو التأويل المذكور في قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾... فإن ما وعدوا به في القرآن لما يأتهم بعد وسوف يأتيهم.

فالتفسير هو الإحاطة بعلمه، والتأويل هو نفس ما وعدوا به إذا أتاهم، فهم كذبوا بالقرآن الذي لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله؛ وقد يحيط الناس بعلمه ولما يأتهم تأويله، فالرسول ﷺ يحيط بعلم ما أنزل الله عليه وإن كان تأويله لم يأت بعد وفي الحديث عن النبي ﷺ لما نزل قوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعَام: ٦٥] الآية: قال: «**إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد**».... ومنه قول كثير من السلف في آيات: هذه ذهب تأويلها وهذه لم يأت تأويلها مثل ما روى أبو الأشهب عن الحسن والربيع عن أبي العالية أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المَائدة: ١٠٥] الآية. فقال ابن مسعود: ليس هذا بزمانها، قولوها ما قُبِلتْ منكم، فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن نزل حيث نزل، فمنه آيٌ قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه آيٌ وقع تأويلهن على عهد =

وكذلك التمثيل منفيٌّ بالنص والإجماع القديم، مع دلالة العقل على نفيه ونفي التكييف إذ كنه[(١)] الباري غير معلوم للبشر.

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي[(٢)] الذي نقل مذهب السلف

= النبي ﷺ، ومنه آيٌ وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير، ومنه آيٌ يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه آيٌ يقع تأويلهن في آخر الزمان، ومنه آيٌ يقع تأويلهن يوم القيامة، ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة، ولم تُلبسوا شيعاً، ولم يذق بعضكم بأس بعضٍ، فأمروا وانهوا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء وأُلبسْتم شيعاً، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤٌ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية!. فابن مسعود رضي الله عنه - قد ذكر في هذا الكلام تأويل الأمر وتأويل الخبر، فهذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المَائدة: ١٠٥] من باب الأمر، وما ذكر من الحساب والقيامة من باب الخبر وقد تبين أن تأويل الخبر هو وجود المخبر به، وتأويل الأمر هو فعل المأمور به، فالآية التي مضى تأويلها قبل نزولها هي من باب الخبر، يقع الشيء فيذكره الله كما ذكر ما ذكره من قول المشركين للرسول وتكذيبهم له وهي وإن مضى تأويلها فهي عبرة ومعناها ثابت في نظيرها، ومن هذا قول ابن مسعود: خمس قد مضين ومنه قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القَمَر: ١].اهـ

(١) قال في شرح القاموس: الكُنْهُ: جوْهرُ الشّيْءِ ونِهايتُه.

(٢) هو الإمام حمْدُ بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان: من أهل «بست» من بلاد كابل، من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب ولد سنة **٣١٩هـ**، له من الكتب: «معالم السنن في شرح سنن أبي داود»، و«إعلام الحديث شرح صحيح البخاري» و«بيان إعجاز القرآن» و«إصلاح =

وهو إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، إذا الكلام في الصفات فرعُ الكلام في الذات، يحتذي حذوه ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف.

فقال أحد كبراء المخالفين: فحينئذ يجوز أن يقال: هو جسم لا كالأجسام، فقلت له: أنا وبعض الفضلاء: إنما قيل إنه يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، وليس في الكتاب والسنة أنّ الله جسم، حتى يلزم هذا، وأول من قال إن الله جسم هشام بن الحكم الرافضي.

وأما قولنا: «فهم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة».

فقيل لي: أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد، وأرادوا قطع النزاع لكونه مذهباً متبوعاً، فقلت: ما خرّجت إلا عقيدة السلف الصالح، جميعِهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا.

وقلت: قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين، فإن جاء

= غلط المحدثين» طبع باسم «إصلاح خطأ المحدثين» و«غريب الحديث». و«شأن الدعاء»، و«العزلة». وتوفي سنة ٣٨٨هـ.

بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته، فأنا أرجع عن ذلك، وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته، من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث وغيرهم.

ثم طلب المنازع الكلام في «مسألة الحرف والصوت»، فقلت: هذا الذي يحكى عن أحمد وأصحابه أن صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مفترى! لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين وأخرجت كراساً فيه ما ذكره أبو بكر الخلال في «كتاب السنة» عن الإمام أحمد، وما جمعه صاحبه أبو بكر المرّوذي من كلام أحمد، وكلام أئمة زمانه، في أنّ من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع.

قلت: فكيف بمن يقول لفظي أزلي؟ فكيف بمن يقول صوتي قديم؟

فقال المنازع: إنه انتسب إلى أحمد أناس من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام.

فقلت: المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم، فهؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعية، وفيهم من التشبية والتجسيم مالا يوجد في صنف آخر! وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم، والكرامية المجسمة كلهم حنفية.

وقلت له: مَنْ في أصحابنا حشوي بالمعنى الذي تريده؟ الأثرم؟! أبو داود؟! المروذى؟! الخلال؟! أبو بكر عبد العزيز؟![1] أبو الحسن التميمي؟! ابن حامد؟! القاضي أبو يعلي؟! أبو الخطاب؟! ابن عقيل؟! ورفعت صوتي، وقلت: سمهم، قل لي منهم؟ أبكذب ابن الخطيب[2] وفي افترائه على الناس في مذاهبهم، تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين؟

كما نقل هو وغيره عنهم، أنهم يقولون: القرآن القديم هو أصوات القارئين، ومداد الكاتبين، وأن الصوت والمداد قديم أزلي!

من قال هذا؟ وفي أي كتاب وجد منهم هذا؟ قل لي!

وكما نقل عنهم: أن الله لا يرى في الآخره باللزوم الذي أدعاه والمقدمة التي نقلها عنهم.

ولما جاءت «مسألة القرآن الكريم» وأنه كلام الله، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، نازع بعضهم في كونه منه بدأ وإليه يعود وطلبوا تفسير ذلك.

فقلت: أما هذا القول، فهو المأثور والثابت عن السلف، مثل ما

---

(١) في المطبوعة (أبو بكر بن عبد العزيز) وهو خطأ، والصواب (أبو بكر عبد العزيز) كما في نسخة المناظرة في الفتاوى وفي ترجمته، وهو غلام الخلال.

(٢) هو الشيخ أبو عبد الله الرازي صاحب التفسير الكبير.

نقله عمرو بن دينار، قال أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق، إلا القرآن، فإنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

ومعنى منه بدأ، أي هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقوله الجهمية إنه خلق في الهواء أو غيره وبدأ من غيره.

وأما إليه يعود، فإنه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف، ووافق على ذلك غالب الحاضرين(١).

---

(١) قال القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات (ص: ٤٠٠ - ٤٠١): رواهُ أبو عبد اللّه ابْن بطة بِإِسْنادِهِ، عن عثمان بْن عفان، قال: قال رسُول اللّهِ ﷺ **«إن فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل اللّه على خلقه، وذلك أن القرآن مِنْهُ خرج وإليه يعود»**. وأما قوله: **«مِنْهُ خرج»** فمعناه مِنْهُ خرج تنزيله وظهوره والابتداء، وإليه يعود حكمه لأنّ ما تضمنه القرآن من الأحكام الّتِي هِي العبادات واجتناب المحرمات إنما يفعل لله ﷻ فيكون الحكم عائد إِلَيْهِ بمعنى مفعول لهُ ولأجله، وقد قال أبو بكر الخلال: سمعت عبد اللّه بْن أحمد قال: ذكر أبو بكر الأعين قال: سئل أبو عبد اللّه أحمد بْن حنبل عن تفسير قوله: **«القرآن كلام اللّه مِنْهُ خرج وإليه يعود»**، فقال أحمد: مِنْهُ خرج هُو المتكلم به، وإليه يعود فقد فسر قوله: **«مِنْهُ خرج»** على أنّهُ صفة من صفات ذاته، مبتدي به، ولم يفسر قوله: **«وإليه يعود»** وتفسيره ما ذكرنا من أن أحكامه عائدة إِلَيْهِ. اهـ

فقلت: هكذا قال النبي ﷺ: «**ماتقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه**»[(١)] يعني القرآن، وقال خباب بن الأرت: ياهنتاه تقرب إلى الله بما استطعت فلن يتقرب إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٠٦) والترمذي (٢٩١١) وابن نصر في «تعظيم الصلاة» (١٧٨) والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٥١/ ح ٧٦٥٧) عن ليث عن زيد بن أرطاة عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ ما أذن لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما وإن البِرَّ ليذرُّ فوق رأس العبد ما دام في صلاته وما تقرب العباد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه» قال أبو النضر: «يعني القرآن».
قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه في آخر أمره وقد روي هذا الحديث عن زيد بن أرطأة عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ مرسل.اهـ
قال شيخ الإسلام في «التسعينية» (١/ ٣٦٣): المرسل أثبت. اهـ.

(٢) أخرجه: الحاكم ٢/ ٤٤١ عن خبّاب بن الأرت، به.
قال شيخ الإسلام في «التسعينية» (١/ ٣٦١ط العجلان) = (الفتاوى الكبرى ٦/ ٤٠٠ط عطا):
قال الخلال وسمعت عبد الله بن أحمد قال ذكر أبو بكر الأعين قال سئل أحمد بن حنبل عن تفسير قوله، القرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود فقال أحمد منه خرج هو المتكلم به وإليه يعود قال الخلال أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم يعني ابن راهويه، عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال أدركت الناس منذ سبعين سنة أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم يقولون الله خالق وما سواه مخلوق إلا القرآن فإنه كلام الله منه خرج وإليه يعود.. عن ابن عباس أنه كان في جنازة فلما وضع الميت في اللحد قام رجل وقال اللهم رب القرآن اغفر له فوثب =

وقلت: وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقه، لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة، بل إذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبلغا مؤدياً، فامتعض بعضهم من إثبات كونه

= إليه ابن عباس فقال مه القرآن منه. وفي الرواية الأخرى فقال ابن عباس: القرآن كلام الله وليس بمربوب منه خرج وإليه يعود. وقد رواه الطبراني في «كتاب السنة» أيضًا: حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور الجوهري حدثنا عاصم ابن علي حدثنا أبي عن عمران بن حدير عن عكرمة قال كان ابن عباس في جنازة فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: اللهم رب القرآن أوسع عليه مدخله اللهم رب القرآن اغفر له فالتفت إليه ابن عباس فقال: مه القرآن كلام الله وليس بمربوب منه خرج وإليه يعود، وقال الخلال حدثني المروذي في الكتاب الذي عرضه على أحمد بن حنبل، قال وقد أخبرني شيخ أنه سمع ابن عيينة يقول القرآن خرج من الله قال وحدثنا أبو عبد الله يعني أحمد بن حنبل، حدثنا ابن مهدي، عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله: «**إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه**» يعني القرآن قال وحدثنا عباس الوراق وغيره عن أبي النضر هاشم بن القاسم حدثنا بكر بن حنيس عن ليث بن أبي سليم عن زيد بن أرطاة عن أبي أمامة قال قال رسول الله: «**ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه**» يعني القرآن الحديث. قلت: والأول المرسل أثبت من هذا، وقد رواهما الترمذي. اهـ

وقد ألف فيها الحافظ ضياء الدين المقدسي كتاب «إختصاص القرآن بعوده إلى الرحمن».

كلام الله حقيقة بعد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة، ثم إنه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه، وهذا لايصح نفيه، وأن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم، وشعر الشعراء المضاف إليهم، هو كلامهم حقيقة، ولما ذكر فيها أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً، استحسنوا هذا الكلام وعظموه.

وذكرت ما أجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق العرش وأنه معنا، حقٌّ على حقيقته، لايحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف مافطر الله عليه الخلق؛ بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان.

ولما ذكرت أن جميع أسماء الله التى يسمى بها المخلوق كلفظ الوجود الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن، تنازع كبيران، هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطيء(١)، فقال أحدهما: هو متواطئ،

---

(١) الاشتراك هو اتحاد اللفظ وتعدد الحقيقة، فالمشترك هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعًا أولا، من حيث هما كذلك. ولا يسمى مشتركا إلا إن كان اللفظ وضع حقيقةً للمتعدد لا مجازاً في أحدهما، كلفظ القَرء مشترك بين الطهر والحيض. وكذا العين تطلق على الذهب والعين =

وقال آخر: هو مشترك، لئلا يلزم التركيب! وقال هذا: قد ذكر فخر الدين[١] أن هذا النزاع مبني على أن وجوده هل هو عين ماهيته أم لا؟ فمن قال: إن وجود كل شيء عين ماهيته، قال: إنه مقولٌ بالاشتراك، ومن قال: إن وجوده زائد على ماهيته، قال: إنه مقول بالتواطؤ، فأخذ الأول يرجح قول من يقول: إن الوجود زائد على الماهية، لينصر أنه مقول بالتواطؤ.

فقال الثاني: مذهب الأشعري وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته، فأنكر الأول ذلك.

فقلت: أما متكلمو أهل السنة فعندهم، أن وجود كل شيء عين ماهيته، وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة، أن وجود كل شيء قدر

= الباصرة في حقيقة اللغة.

والتواطيء حصول معنى اللفظ في أفراده الذهنية أو الخارجية على السواء كلفظ الإنسان، يحصل على كل فرد من بني آدم على السواء.

وإن لم يكن على السواء بل في بعض أفراده أقدم وأولى وأشد فهو المشكك، وسمي بذلك لأنه يشكك الناظر هل هو متواطئ لوحدة الحقيقة فيه أو مشترك لما بينهما من الاختلاف وذلك كالبياض الذي هو في الثلج أشد منه في العاج.

وأما الترادف فهو أن يتعدد اللفظ دون المعنى، كالبر والقمح المسمى به الحب المعروف.

(١) يعني: الرازي.

زائد على ماهيته، وكل منهما أصاب من وجه، فإن الصواب أن هذه الأسماء مقولة بالتواطؤ، كما قد قررته في غير هذا الموضع، وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته أو ليس [عين وجود ماهيته][١] فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب[٢]، فإنا وإن قلنا إن وجود الشيء عين ماهيته لا يجب أن يكون الاسم مقولًا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع أسماء الأجناس، فإن اسم السواد مقول على هذا السوادِ وهذا السوادِ بالتواطؤ، وليس عينُ هذا السوادِ هو عين هذا السوادِ؛ إذ الاسم دالٌّ على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلي، لكنه لا يوجد مطلقاً بشرط الإطلاق إلا في الذهن، ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج، فإنه على ذلك تنتفى الأسماء المتواضئة، وهى جمهور الأسماء الموجودة في اللغات، وهى أسماء الأجناس اللغوية، وهو الاسم المعلق[٣] على الشيء وما أشبهه، سواء كان اسم عين أو اسم صفة، جامداً أو مشتقاً، وسواء كان جنساً منطقياً أو فقهياً، أو لم يكن، بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع ونحو ذلك، وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة.

---

(١) سقطت من المطبوعة واستدركتها من حكاية المناظرة في طبعة المنار و«الفتاوى» (٣/ ٢٠١).

(٢) الفخر الرازي.

(٣) وكذا في نسخة المنار والفتاوى! ولعل الصواب (المطلق)

[هذا آخر بعض ماعلقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والفقهاء وغيرهم][(١)].

قال الحافظ الذهبي: ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفى جيد[(٢)].

❀ ❀ ❀

---

(١) ما بين المعقوفين ليس في نسخة الفتاوى، ولا في طبعة «المناظرة» التي طبعها مع «الواسطية» قصي بن محب الدين الخطيب. وهو ثابت في طبعة رشيد رضا ضمن «مجموعة الرسائل الكبرى» لابن تيمية (١/ ٤٢١).

(٢) تمت الرسالة بهذا، وهو يدل على أن هذه الجملة الملحقة منقولة من تاريخ الذهبي عن تاريخ علم الدين البرزالي. وهي حكاية المناظرة التي حكاها شيخ الإسلام نفسه كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٠-١٩٢) ورواها عنه من رواها.

✎ وتمت بحمد الله الحاشية بقلم

سعد بن شايم الحضيري

السعودية - عرعر - ١٤٣٤/٢/١٢هـ

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊